روازين تراثية
في الادب والتراث الشعبي

روازين تراثية

في الادب والتراث الشعبي

طلال سليم آل جعفر

الطبعة الأولى

2025

الفهرس

الإهداء

إلى آبائنا ..

الذين تركوا لنا ما نعتز به

وعجزنا أن نترك لأبنائنا ما يضاهيه

روازين* تراثية

تمهيد

لم اكن قد وظفت قلمي لمعاودة الكتابة من جديد في التراث الشعبي ومواده ومخرجاته بعد أن وضعته إثر آخر نتاج لي في هذا المجال متمثلاً بعدد من الاصدارات كان آخرها الطبعة الثانية من كتابي (شعراء شعبيون لم يقرأ لهم أحد) الصادر عن دار العراب في دمشق عام 2017 م حين اتصل بي الاخ الشاعر خلف الحديثي صيف 2019 م ليبلغني بأنه قد اعطى اسمي وهاتفي للاستاذ جاسم عبد شلال في الموصل والذي كان يبحث عن المهتمين بالتراث الشعبي العراقي ليضمه الى كتّاب مجلته الجديدة (صدى الريف) ، وحاولت الاعتذار عن ذلك لمشاغلي وضعف همتي قبل أن يتصل بي الاستاذ جاسم صاحب المجلة ورئيس تحريرها معرّفاً بمجلته الجديدة وطلبه المساهمة فيها مُلزِماً إياي الحجة في التعاون معه خدمة للتراث والادب الشعبي (العامي) او المحكي كما يسميه البعض وضرورة ذلك لقلة الاصدارات التي تعني وتخص هذا الباب الذي دخل اليه فكان ان تناولت قلمي مسطراً له على وجه السرعة مقالاً يخص شعر النواح عند المرأة العراقية والمسمى بـ (العدودة) متمنياً ان لا يوافق هواه كي اجد لي عذراً في الانصراف عن الموضوع كوني قد انكفأت الى نفسي وارتحت لعزلتي إلا أنه فاجئني باعجابه بالموضوع وضرورة الاستمرار فغدوت مجبراً على مواصلة الكتابة التي أحجمت عنها لقلة مصادري بعد عودتي من رحلة نزوح ممضة أكلت فيما أكلته من جهدي مكتبتي وكل ما فيها وهي الثرية كانت في ذلك فاضطررت الى الاعتماد على ما تحتفظ به ذاكرتي من حكايات واشعار الادب العامي اضافة لمسودات مقالات لم تكن قد نشرت من قبل مع الإتكاء على كتابات سابقة لي

---

* وازين : جمع رازونة .. وهي الكوة غير النافذة التي كان الآباء من قبل يحدثوها في جدران الغرف وتهيأتها على شكل رفوف تستخدم في حفظ حوائجهم

واستلال بعضها بعد تصويبها وتحسينها وإعادة نشرها في المجلة فكان أن نالت رضى القارئ وادارة المجلة قبل ذلك لأواصل رفدها بين حين وآخر قد يطول لفترات متباعدة يصاحبها أحياناً عتباً من الاستاذ جاسم رئيس تحرير المجلة الذي غدا لي أخاً وصديقاً أحببت فيه علو همته وإصراره على إنجاح مشروعه رغم المعوقات التي كانت تقف في طريقه وقلة المتعاونين معه والمعينين إياه حتى إذا ما دخلنا السنة الخامسة من عمر المجلة وجدت اني قد رفدتها بما يزيد على عشرين مقالاً رأيت من باب الفائدة والتوثيق ان المّها في إصدار خاص بها تمنيت لو كان للمجلة القدرة على إصدارها ضمن مطبوعاتها غير أن ضعف إمكانيات المجلة معذورة يحول دون ذلك . ولقلة مواردي أنا المتقاعد المثقل باحتياجات طلبة جامعيين هم أولادي اضافة لمتطلبات السكن والالتزامات العائلية والشخصية كانت تحول دون تحقيق ذلك وبالشكل الذي أتمناه ، وحتى لا يضيع جهدنا معاً قررت اصدارها بكتاب محدود النسخ بغية التوثيق بدءاً عسى ان تعينني الايام على إعادة طبعها بشكل أوسع .. وعليه أضع بين يدي القراء المهتمين ما استطعت اليه السبيل من مقالات منحتها إسماً شعبياً يتوافق مع محتواها وهو (روازين تراثية) مؤطراً إياها بجزيل الشكر والامتنان لمن كان له الفضل الاول في تدوينها وأعني به مجلة (صدى الريف) ورئيس تحريرها ثم للاخ الشاعر عبد المنعم الامير ومطبعة ماشكي والعاملين فيها شاكراً تعاونهم ومهدياً إياهم جميعاً تقديري واعترافي بفضلهم إذ لو لم يكونوا ما كان هذا الاصدار ، فلهم ولمن يهتم بإحياء التراث وبعث الروح في أعلامه كل الحب.. وللقراء الرجاء بالقبول والرضى عما نقدمه على ضعف امكانيات وقلة حيلة ومن الله التوفيق.

الفلوجة

2025/5/21 م

شعر النواح عند المرأة في حديثة

(العدودة)

تعريف .. ونصوص

هممت ولأكثر من مرة في معالجة هذا الموضوع بشكل شامل غير أن ندرة مصادره حالت دون خروجه للضوء رغم كتابة أكثر من مسوّدة فيه ، ولأني أراه فناً شعرياً يستحق المتابعة والتدوين بعد ان كاد يسير نحو الإنقراض وغدا معظمه من الفولكلور الشعبي المجهول القائل ارتأيت اعتماد السماع والمداولة الشفاهية المباشرة مع المهتمات والناظمات لهذا الفن في مدينتي (حديثة) بغية إخراج ما يتوفر منه الى الواقع المقروء لا المسموع وحسب ، وهذا ما حدا بي لاعتماد هذا النمط من الأدب النسوي الباكي والاقتصار على ما توفر من نصوص معلومة القائل بالنسبة لي وإن اضطررت الى تغييب أسماء الشواعر الناطقات به حذراً من أن يثير ذكر أسمائهن حفيظة عوائلهن اذ ما زال مجتمعنا يعيش حالة من التوجس في مثل هذه الأمور . ولو لم يمر بنا ما مر من سنين عجاف فقدنا فيها – وعن نفسي اتكلم – جراء احتلال مدننا ونزوحنا عنها مجبرين وما رافق ذلك النزوح من ضياع لمصادرنا المكتوبة مع ما ضاع لكان لهذا الموضوع اتساعا وشمولاً لا يلجئني الى الإيجاز الذي اعتمدته واعتمدت فيه نصوصاً صارت في حوزتي كما اسلفت عبر لقاءات وحوارات مع أكثر من امرأة من (عجائزنا) استخلصت من أفواههن (العدودات) المدونة مع شروح مبسطة وإيضاح لمعاني مفرداتها ومناسباتها أحياناً .

لقد توصلت بعد قراءة النصوص المتوفرة ومراجعتها على قلتها الى أن شعر النواح عند المرأة وما يسمى بـ (العدودة) تختلف في طريقة ادائها وعملية إيصالها الى المتلقي الذي يكون عادة امرأة أو مجموعة نساء في مجالس عزاء النساء المسماة في مدينتنا (معادة) عند اهل المدن الكبيرة عمّا هو عند أهل الريف

والمدن الصغيرة والمجمعات السكنية المحاذية أو المجاورة للقرى الريفية حيث يؤثر بعضها بالآخر نتاج التواصل والتزاور فيما بين سكانها . ففي حين تعتمد نساء المدن على (مُلايات .. جمع مُلاية) مختصات بالقراءة والنواح وإثارة لواعج ذوي المتوفين وبأجور محددة أو مفتوحة تتبنى هذا الموضوع في الريف والمدن الصغيرة نساء من أهل العزاء أو من أقاربهم مأخوذات بآلام الفقد الذي يعدونه عاماً ولا يخص بيتا دون سواه إذ انهم بنوا مفاهيمهم على (ان الشر يعم) مستمدين ذلك من تراثهم ولا أشرَ من فقد عنصر من عناصر مجتمعهم .

وشعر النواح لدى النساء في مجتمعنا يقسم الى قسمين هما :-

أولاً – العد .. او (العدودة) :- وتعني عد وحساب وذكر محاسن الموتى ، وتؤديه مجموعة من النساء يجتمعن في صحن الدار او غرفة منتقاة منه يتوسطهن مجموعة من ذوات المتوفي حاسرات عن شعورهن ضاربات صدورهن خامشات خدودهن وقد يكنَّ ممزقات الثياب مرددات خلف (العدادة) الشاعرة التي تتوسط الجمع لازمة تسمى (الردة) تبدأ بها (عدودتها) مثل :- ((على اهل المرتبه والسيط عالي ... عمد بلوط بيت الشيخ عالي)) وهذه العدودة مما تقال في الشيوخ ووجهاء القوم وتعني (حزناً على صاحب المرتبة وواسع الشهرة من اصحاب البيوت التي عمادها من خشب البلوط) .. ثم تضيف ما يحلو لها اضافته من النظم الباكي لتردد الجوقة خلفها اللازمة (الردة) أعلاه ..، او قول أخرى نادبة أحد رجال عائلتها وقد يكون صاحب الدار :- ((وين اروح بأم الزرد ... چم دوب الولح بيها)) .. وتعني الشاعرة فيما تقول (انها حائرة ببندقية الفقيد – أم الزرد – التي لا يعطيها حقها سواه لذلك ستظل تلوّح بها باحثة عمن يستحقها ولا تجد) .. وقول ثالثة :- (حس النجر لو رنّه ... والمجبلين أهلنه) .. وهي لازمة لعدودة طويلة تعني ان (صوت النجر وهو الهاون الذي تدق فيه القهوة في ديوان المتوفي له رنين يميزه عن سواه ويجلب اهله اليه) .. وهذه (اللازمات) او اللوازم الثلاثة التي ترددها النساء النادبات خلف الشاعرة وترافقها إيماءات وإشارات وحركات نسائية ملائمة للموقف الشجي يصاحبها (النديب) واللطم والصراخ والعويل ويؤدى وقوفا وبشكل هستيري آخذة أحياناً في بعضها طابع (الهوسة) عند الرجال في مناسبات مشابهة .

ثانيا– النوح .. او النواح :- وهذا الفن الشعري البكائي ينتشر بين أهل المدن خاصة وتزاوله النساء الريفيات بعد استراحة تعقب (النديب وعدوداته) .. وتؤديه النساء جالسات واحدة جنب الأخرى تختص بإداءه واحدة وقد تشاركها اثنتان او ثلاثة بصوت شجي يصاحبه الأنين والنشيج والبكاء المتقطع ، ويتألف (النوح) من ثلاثة أشطر في الغالب وقد تزيد المؤدية عليها احيانا ، ولكل مقام فيه مقال ، فما يقال في كبار السن من الرجال غير ما يقال في الشباب ، وما يقال في عجائز النساء غير ما تؤبن به الشابة او البنت الباكرة . وشعر النواح او (النوح) كما يحلو لهن تسميته موجع سماعاً وقراءة تذرف خلاله الدموع وتتباكى فيه من لا تبكي من النساء الحاضرات ، ولا تلتزم الشاعرة او المؤدية له بضوابط لغوية او عروضية كقول إحداهن في مأتم رجل متقدم في عائلتها :- ((يا اهلنه وين رحتوا / ورحيل البدو يهلي رحلتوا / ولا مريتوا بينه ولا سألتوا)) والمعنى العام لها (يا اهلنا اين ذهبتم؟ لقد فاجأتمونا برحيلكم على طريقة البدو دون إخبار أو إعلان ، ولم تمروا بنا وتسألوا عنّا) وفي هذا من العتاب ما يوجع وتذرف له الدموع . او قول أخرى نادبة امرأة تخصها :- ((يا زاكيه موتي براحه / ماتت ولا سوّت گباحه / وعليچ الولي رامي سلاحه)) والمعنى العام لها (ايتها الزكية موتي بهدوء وسلام ، لقد ماتت دون عمل ما يشينها ، وحزناً عليك رمى ولي امرك الرصاص من سلاحه في وداعك) .

وغير هذه الأمثلة سأدرج في أدناه نصوصا من (العدودات) بفرعيها مع شروح مبسطة لمعانيها محجماً عن ذكر الشاعرات رغم توفر اسمائهن لدي حفاظاً على خصوصيتهن عساني أوفق في ذلك وعسى أن لا أثير شجون القارئ .

نصوص

اولا .. العد (العدودة) • :-

الچـــوخ عـــاتبني علـــى لبّاســـه وبـــاب الحكومـــه يريـــدلوا ردّاســـه

والمعنى العام:- (لقد عاتبني الچوخ وهو من ثمين الثياب التي يرتديها الوجهاء لأن من ارتداه لم يكن ممن له مكانته التي يجالد بها ويدق باب السلطة مطالبا بحقوق معيته) .

شـدّو لـه على اليجـدح جـدمها نـار وأهلنـا مـن زمـان مطـالبين بثـار

والمعنى العام لها :- (أسرجوا للكريم الشجاع على فرس سريعة تقدح من أقدامها النار حين تغير ، انه شجاع أهلنا الذين لا يسكتون عن ثأرهم مهما طال الزمن) . وقد قيلت في سيد لقومه .

يگرنـة دارهـم تشـرف على الثرثـار شـمعجل مـا بنوهـا وامتلـت خطـار

والمعنى :- (يا زاوية دارهم التي تطل على الثرثار،عجبي لسرعة بنائها وامتلائها بالضيوف) وقيلت في كريم كان بيته يطل على الفرات مقابلا للجانب الجزري من المدينة حيث يكون الثرثار.

تسـعين خاشـوگه التگـت بسـفاره وملحـة زادهـا تغـاره علـى تغـاره

والمعنى:- (التقت على مائدته او سفرته في كل مرة تسعون ملعقة ، ولسعة هذه السفرة كان ملحها تغار على تغار. والتغار او الطغار وحدة وزن قديمة تعادل ما يزيد على الطن . اي ان الطباخ يحتاج لملح مائدته طغار فوق طغار) وقيلت في سيد لقومه وشيخهم .

على ظهـر الحصـان الخـط يگرونـه (ابو غفير) سبع يخسا السبع دونه

والمعنى:- (ان من نبكيه فارس عشيرتنا الذي يقرأ الرسالة وهو على ظهر حصانه مغيراً لأنه السبع الذي تخشى السباع صولته) وقيلت في تأبين - ابو غفير- المرحوم مسلم العبدالله أحد رجال (الجعفر- شمر) في حديثة .

• نشرت في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 4 لشهراب 2019م

الخيــل بالــگمــره حلــو ممشــاها　　الخيـــل عافتنـــه ومـــا عفناهـــا

والمعنى:- (ما اجمل مسير الخيول بفرسانها في الليالي المقمرة ، لقد غادرنا الفرسان بخيولهم ولم تغادرنا ذكراهم) وقيلت في شاب متميز في مدينته توفاه الله في زهو شبابه .

مشــرّع الربعــه وحايفتــه ضــيوف　　وبــاني مثولــث وبعيــني أشـــوف

والمعنى :-(شرّع مضيفه والتف حوله ضيوفه ، وأقام المثولث ورأيت ذلك بعيني.والمثولث:هو بيت شعر كبير يقوم على ثلاثة أعمدة رئيسية ويختص بالمثولث الشيوخ وعلية القوم) وقيلت في رجل كريم متقدم في قومه .

حطّـو بسـفرته خواشـيگ اعجميـه　　وخاصـم الحكـام أبـو عـين الگويـه

والمعنى:- (ضعوا في مائدته ملاعق ثمينة من صنع العجم ، لأنه قوي الإرادة شجاع خاصم الحكام ولم يبالي) وقيلت في رجل من اهل الحل والعقد .

يا حمرا دگي عانيه

أهــل العبــد والعبــده　　مــن ابغـــداد مســـريه

أهــل العبـدة الســوده　　وأهــل الــدرده الغنيــه

طبيـــت لبيـــتهم جـــوّا　　لگيـت مناسـف مرچيـه

طبيـــت لبيـــتهم جـــوّا　　وشـفت جـدور مچفيـه

المعنى:- (الحمرا: الناقة الأصيلة– دگي عانيه : سيري مسرعة قاصدة بيت الشيخ – مسريه : سرى وعبيده معه مبكراً – الدردة الغنيه : العبدة الدرداء العاجزة التي لم يتخل عنها وأبقاها في حماه غنية عن السؤال – طبيت .. الخ : دخلت بيتهم ووجدت داخله مناسف الطعام مركاة ، ورأيت قدوره منكفأة حزنا عليه) قيلت في شيخ عشيرة اشتهر بكرمه .

آســى البغيــت المــوت مــن ســبايبه　　گولــوا عليــه الگــول يــا حبايبــه

الشــيخ الأشــگر موجعــات مصــايبه

المعنى :- (من شدة أساي عليه وبسببه تمنيت الموت فقولوا عنه يا احبائه ما تقولون ولا تبخسوه حقه فهو الشيخ الأشقر الذي أوجعنا مصابه وما اصابنا بفقده) وقيلت في شيخ عشيرة جواد .

علگـت يمفتـول الشـوارب يسـمر   علگـت يبـو عيـاده يگـانوص الـبر

مـن سحول راوه جـت تجـر بخطاهـا

صـيحوا لبـو عيـاده جنـب وياهـا

وضـباع (صريصـر) بـالزلم عشـاها

المعنى:- (حمى الوطيس وبدأت المعركة يا مفتول الشارب يا قناص البراري وجاءت جموع المعتدين من وديان مدينة راوة تجر خطاها فنادوا على ابو عيادة ليتصدى لها ويوقفها . انه الشجاع الذي أولم لضباع وادي صريصر الولائم من جثث الرجال الذي قنصهم في معركة سابقة) .. قيلت في تأبين المرحوم جاسم الباقي الشهير بالرودة من عشيرة الملا عبدالله في حديثة وتستذكر الشاعرة فيها موقف سابق له في معركة على الحدود السورية العراقية .

حـنّي يـا نبايـب وامـتحن يـا بـزار   هذا مضاع الجومه وهذا مضاع الطيار

المعنى:- (حني يا نبايب : جمع نبوبة وهي بكرة يلف عليها الحائك خيوطه وعاني المحنة يا بزار – مضاع : مكان – الجومة : آلة الحياكة - بزار ، طيار : من اجزاء الجومة) وهذه قيلت في حائك بسيط .

ثانيا .. النوح او (النواح)

حجـيره ورمـوني مـن گفـا الجـال   ولا وكّلـــــو عـــــم ولا خـــــال

ولا خلـــــــتي بـــــــيّن علـــــيّ

المعنى :- (صرت بعده كحجارة صغيرة ملقاة گفا الجال: خلف شاطئ النهر ، وقد تعني به الچول : وهي الارض الخالية ، ولم يوكل امري لعم ولا خال ولا خليل يصلني) قالته شاعرة نادبة حضها بعد وفاة وليها وتركها منقطعة ولا من يقوم على شؤونها .

لا انـــــت نـــــذل تســـــلاك دوم   ولا انـــت جعيـــده يـــم الهـــدوم

يــا ذيــب يمشمشــم روس الحــزوم

المعنى:- (لست الرجل الخسيس كي انساك ولا انت من القاعدين مع النساء أيها الذئب الذي يجوس الاراضي العاليات) .. قيلت في رجل متميز عن أقرانه .

هنـــــا يهـــــالمجفي عرفنـــــاك   دروبنـــه حنّـــت علـــى خطـــاك

علّـــوا علـــى شـــوفك وملگـــاك

المعنى :- (انت يا من ذهبت وتركتنا خلفك لقد حنت دروبنا لخطاك ، ليتنا نراك ونلتقي بك)

يـــــداروبـــــن العمـــــروك   يـــــدارخلـــــوني وخلـــــوك

يـــداروبـــن أهلـــك مـــا لفـــوك

المعنى :- (اين من أقاموك يا دار ، لقد تركونا وتركوك واهلك لم ولن يعودوا اليك)

معاميـــــل گهـــــوتكم صـــــدت   ويجـــــواد غيبـــــتكم بطـــــت

بطـــــت علـــــيّ وازعلـــــني

المعنى:- (لقد صدأت دلال قهوتكم، وطالت غيبتكم، طالت عليّ وقهرتني) والابيات الثلاثة قيلت في رجل كريم وتداولتها الألسن، ولم أصل لمعرفة قائلتها الأصلية .

.. أما العدودات الثلاثة التالية فقد ناحت بها امرأة كريمة مؤبنة اختاً لها وهي :

حبايـــب تجونـــه لـــو نجـــيكم   لـــو نبعـــث الطـــارش علـــيكم

لـــــو نگطـــع الرجـــا بـــــيكم

المعنى:- (أتأتون يا أحبابنا أم نأتي اليكم أم نرسل بيننا طارش: مرسال– أم نقطع الأمل في عودتكم) .

تـــونين يـــا ناگـــة كحيـــل   يمحمّلـــه مـــن المســـچ والهيـــل

محمّلــــــه وبـــــاچر رحيــــــل

المعنى:- (تأنين ايتها الناقة الأصيلة وأنت محملة بالمسك والهيل ، محملة وغدا موعد الرحيل) .

يــــا دار ويــــــن العمــــــروچ   وبــــــالعز والهيبــــــه بنــــــوچ

راحــــــوا وخلــــــوني وخلــــــوچ

المعنى:- (أين يا دار من أقاموك وبالعز والهيبة شادوك ؟ لقد رحلوا وتركوني وتركوك) .

النايـــل•

رديف العتابة .. وغناء المكلومين••

النايل.. من أشد أنماط الشعر العامي وجعاً ومكابدة ومكابرة وتأثيراً بالنفس . وقد يختلف آخرون معي في ذلك وشفيعي فيما أدّعي انه أحب الشعر الغنائي العامي لنفسي كما أحسه اكثر وجعاً وابلغ صوراً .. ومما قيل في النايل الذي يتمركز وجوده بين قبائل الجبور والعبيد والعزة في الموصل وكركوك وصلاح الدين و(ديالى .. منشأه الأصلي) كما يقال اذ لا وجود لتوثيق بذلك إلا حكاية سنوردها لاحقاً. وينتشر كذلك في مناطق غرب العراق (الغربية منها وبالأخص حديثة) ، لذلك سآخذ نماذج منها اكثر من سواها. وهو ليس موغل في القدم بل يكاد ان يكون مستحدثاً ، ويتألف بيت النايل من شطرين فقط على وزن الموال ويماثله في العروض بحر البسيط . وليس من اللزوم الاحتفاظ في شطريه (الشطر والعجز) بمفردة واحدة مختلفة المعنى كسواه من انماط الشعر الغنائي العامي بل تستعمل في النايل القافية وحرف الروي كقصائد الشعر العربي ، وغالبا ما يؤدّيه مغنو العتابة بعد إداء بيت او بيتين منها مباشرة ويرى بعضهم ذلك من اللزوم وما يجب ان يكون ، ومن شاء التيقن من ذلك فليصغ الى المغنين من اهل البادية كـ (احمد عزيز وابو جيشي مطلگ الفرحان وسلطان احمد .. وسواهم) ، وقد يستعيض المغني عن النايل بأبيات من (السويحلي) وهو نمط شعري قريب من النايل وان اختلف عنه وزناً كالبيت الذي يرد كثيرا على السن المغنين من اهل البادية ومنهم الملا ضيف الجبوري:-

شالوا ضواها .. وامست ظلام الدار   حگهـا وعفاهـا .. شـما بچـت عيـني

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 6 لشهر تشرين اول 2019 م

•• ملاحظة: غلبت الاستعانة بشعر الحديثي سليم العبدالله دون سواه لخلود شعره في الذاكرة وتوفر ديوانه تحت يدي .

ومما يميز النايل عن السويحلي عدا وزنه عروضيا اقتصار النايل تقريبا على مواضيع الالم والترحال وفراق الأحبة والديار ومناجاتهم بنفس باكٍ لا كالسويحلي الذي ينصرف الى مواضيع مختلفة منها الغزل ، وهو من بحر الرجز ومأخوذ معناه من الغناء في (السحول) .. وهي الوديان المستوية الطويلة الممتدة في الصحاري حتى ليقال عن مغنيه انه (يسوحل) أي يؤدي السويحلي غناءً تسرية للنفس عن امتداد المكان ووحشته كقول احدهم :-

برمــال (كيتــو) .. غــدّر دمــع عيــني ــــ مــا دام جيتــو .. كـل العتـب مرفـوع

و(كيتو : ك/2) هي محطة لضخ النفط تقع في منطقة رملية بالقرب من البيجي – صلاح الدين ولو أبدلنا مكان الاول بالثاني (غدّر دمع عيني ما دام جيتو ...الخ) لتحول السويحلي الى (الدارمي) . ومن أمثلة ذلك بيتان من السويحلي الحديثي حصراً اولهما :-

مريـت عمـدهْ .. بلكي اشـوف الـزينْ ــــ عيــني يرمــدهْ .. إبچـي علــيهم دومْ

ولم اتيقن من اسم قائله ، اما الثاني :-

شــدوا المكينــهْ .. جـاكم دمـع عيـني ــــ ظلـي حزينــهْ .. مـن عگـبهم يـا روح

فهو من شعر الشاعر الحديثي جاسم الباقي الملقب بـ (راعي الروده) . ولأن البعض يخلط بين النايل والسويحلي اللذان ينتشران في مناطقنا وهما اقرب للشعر البدوي (مفردات ومعاني) عرّجت لما سبق بغية التوضيح .

اما الآن.. وبعودة الى النايل فقد ورد في المصادر الشفاهية وأخذ عنها بعض اهل الاختصاص في الأدب الشعبي كعلي الخاقاني ان أول ما عُرف منه بيت قالته امرأة من بني عذرة القحطانية التي اتصف اهلها بالشعر العذري والهيام حباً كمجنون ليلى وجميل بثينة وكثير عزة ، ولقبيلتهم تنتسب المرأة المجهولة التي اتخذت من عشيرة العبيد في منطقة ديالى سكناً لها وهامت بفتى منها اسمه (نايل) وفيه غنت بأول بيت هو :-

نايــل چتلــني ، نايــل غــيّر الــواني ــــ نايـل بشـوگه سـقيم الحـال خلانـي

ولأنه لون جديد غير مطروق من قبل اخذ اسم فتاها (نايل) وتداوله الناس وأحبه الشعراء وكتبوا فيه وكان على انواع صنّفها الباحث علي الخاقاني

الى ثلاثة هي (الغرباوي ، العراگي) الذي يسمى أيضا (السنيه) نسبة لموقع يحمل هذا الاسم في ديالى ، و(السويحلي) الذي يعتبره ثالثهما رغم اختلافه وزناً وكان هذا واحد من أسباب الخلط بينهما . واستخدم بعضهم النايل في الألغاز والأحاجي أثناء جلسات أسمارهم الليلية (التعاليل) مثل قول حردان الثاري الدليمي من سكنة حديثة ملغّزا في البلبل :-

أكلفت كل من داوا و(الساهر) آزوده

وهمي سراب السهل ما تنگضي حدوده

ومعناه (انني اتعبت كل من (داوا) عالج سهدي الذي تفوقت به على (الساهر) الذي عنى به البلبل كونه اول من يستيقظ فجرا ويوقظ سواه بتغريده بسبب همّي الذي امتد امتداد سراب السهل الذي لا تبين نهاية له) . كما يدخل (النايل الغربي) العفيف باب الغزل وهو قليل جدا كقول سليم العبدالله في بيت له :-

وجنات خدك ورد جوري يساهي العين

يا بو گلب من صفا گلي الگطاعه منين

ورغم وفرة ما قاله الشاعر في النايل المدرج في ديوانه (ديوان سليم العبدالله) الصادر عام 2013م عن مطبعة ومكتبة اليسر في حديثة غير ان ما فيه من الغزل لا يزيد على ثلاثة أبيات وحسب ، وفي الغزل سمعت من (طلب السبعاوي) واظنه من حويجة كركوك على آلة تسجيل بيتاً جميلاً من الغزل مزاوجاً إياه بالمفاخرة والتحدي يقول فيه :-

الليل ما بي فخر بس الهدان يفوت

وآجيك شبة الضحى وآجالسك بثبوت

والشاعر هنا لا يفاخر بزيارة حبيبه ليلاً وسط الظلام لأن هذا من فعل الجبان (الهدان) بل يواجهه ضحى النهار وبشهود دون خوف وخجل .

وقد يأتي النايل أحياناً عند قائليه في محاورة او مناجاة وسؤال وجواب مثل قول الشاعر :-

ارد اســأل المبتلي شــيگول ابــو نايــل؟

تسـعين حمـل ابغلـه گلبي هضـم شـايل

وجوابه من الشاعر نفسه :-

تعـادل جهـنم سـبع نوبـات نـار چلاي   ولحـد يلـوم الگلـب لمـن يصـيبه داي

وفي مكان آخر يقول :-

جيـت يـم الـوني أســايلوا عالجــار   يگول ما لي خبر إنشـد هـوادي الـدار

وجوابه :-

سـلت الهـوادي انكرنـي لا يـاالجـواد   ومـا يممـولي الضـعن تاحـث الجيـاد

والأبيات الاربعة لشاعرها سليم العبدالله وهي واضحة المعنى باستثناء مفردتا (الوني) الذي هوعبارة عن ساقية تحفر حول بيت الشعر لمنع تسرب مياه المطر اليه، و(الهوادي) التي تعني الأثافي الثلاثة وهي الأحجار التي توضع تحت قدر الطعام المراد انضاجه بإيقاد النار تحته وتكون في العادة مسوّدة ملطّخة بسخام النار..

ولأني اخيراً أجد في النايل جمالاً وصوراً شعرية أخّاذة وحرقة لا تتوفر في سواه من الشعر العامي المغنّى ألمس حرص مؤدي العتابة على مزاوجتها مع النايل وأجده يستهوي محبيه فيقال عمن يؤديهما معا باقتدار انه (يگول عتابه ويكسرها بنايل ياخذ الگلب) .. ولأنه كذلك أحفظ الكثير منه وأدرج في ادناه ابياتا من شعر الحديثي سليم العبدالله المنشورة في ديوانه مع شروح مبسطة لها عساها تنال رضى القارئ .

نايل .. من الذاكرة

(1)

ظليت شبه اللعب بيه الهوى والروج

وبعيد عنّو الجرف ما لو جناح يفوج

المعنى العام :- لقد أبقاني زمني كطير وقع في نهر تتلاعب فيه الرياح وأمواج النهر وتنأى به عن جرفه وما له جناح يعينه على السباحة فيه .

(2)

بطلي ربيان الدرب يا عين ما يازيچ ؟

اهل الهوى گوطروا مجفين ما هم بيچ

المعنى العام :- توقفي يا عين عن مراقبة طريق الراحلين .. أما اكتفيت ؟ لقد هجرك المحبون وعنك ما سألوا .

(3)

ما اعن واشفي العدو أچمي بدلالي

يا مصعب فراگهم عنّوا على بالي

المعنى العام :- لن أظهر انيني وأشمت بي عدوي بل سأكتمه داخل قلبي ، يا لقسوة فراقهم وقد تذكرتهم الساعة ويا لصعوبة ما أعاني جراء ذلك .

(4)

أشچي لهم ما شچى المصيوب بخريساه

والما درى بحالتي يگول حگه جاه

المعنى العام:- انهم لا يفهمون شكايتي التي يصعب عليّ إفهامهم إياها حتى لتبدو وكأنها نطق مصاب بالخرس ، ومن لا يدري بحالي وما اعانيه يقول شامتاً لقد نال جزاءه وجاءه ما يستحق .

(5)

محد درى بالجرح غير الگلب وآني

واربع مجاري اسكنن صارن ترجمان

المعنى العام:- لا احد درى بجرحي غيري وقلبي الذي سكتت (مجاريه : اقسامه) الاربعة (البطينين والاذينين) التي سكنت وماتت فصارت المترجم (الترجمان) المعبر عن معاناته وجراحي .

(6)

شـــالوا بعــادي وچبــدي حــارب الــزاد

أحّـــوه مـــن محـــور دچّـــوه بفـــادي

المعنى العام :- لقد رحلوا بعيدا وحارب كبدي الزاد حزناً عليهم ، آهٍ من محور دفعوه داخل قلبي بقسوة . (وللمحور اكثر من معنى غير ان المعني هنا هو : الشيش الحديدي الدقيق الرأس) .

(7)

شـالوا اعـزاز الگلـب واظلـم وراهـم ليـل

شـدّوا لنـا عـالهجن مـا تلحگلهـم خيـل

المعنى العام:- لقد رحل أعزاء قلبي فأظلم خلفهم ليلي بعد ان كانوا أقماراً يضيئون ظلمته، فهيأوا لنا الابل بدل الخيول التي ستقصر عن اللحاق بهم كونها معرّضة للتعب عكس الابل التي تتحامل على نفسها وتطاول في سيرها مهما بعدت المسافات .

وفي الختام تحيات لصدى الريف وقرائها عسى ان لا اكون قد اثقلت عليهم او أثرت شجون أحدهم .

الهوسة

نظرات وملاحظات ونصوص[•]

تمهيد

حاولت في هذا البحث المتواضع سبر تأريخ (الهوسة) والتعرف على أصولها من خلال المهتمين بهذا النمط من الشعر الشعبي . فدرست في **القسم الأول** منه - المنشور في مجلة التراث الشعبي الفصلية الصادرة في دمشق عن وزارة الثقافة السورية بعدديها (8-9) في 2018م - و بإيجاز الهوسة في العراق مستعينا بنماذج من الهوسات العراقية التي شاعت في مناطق الفرات الأوسط وجنوب العراق بشكل خاص كون المنطقتين شكلتا الحاضنتين الأصليتين لهذا اللون الشعري متتبعا تأريخها وجذور نشأتها وهل كانت الهوسة من فنون الشعر التحريضي ام هي نتاج فعل وردود لفعل ؟ وهل كانت موقوفة على تسجيل احداث المواجهة والقتال ام هي لون شعري يتسع لبقية اغراض الشعر من وصف وغزل وسواهما ؟ واستنرت بآراء الباحثين الذين تعرضوا لهذا الفن الشعري كعلي الخاقاني وخليل رشيد وغيرهما من الباحثين مستعينا بنصوص شعرية من داخل الحاضنة الاصلية لها ، وخلصت الى ان الهوسة مأخوذة عن (الهوس) .. ومنها (المهووس) اي المصاب به ، و(المهوّس) وأعني به منشد هذا (الرجز) الشعبي المتأجج الذي يحوّل منشده الى رجل اشبه ما يكون بالمهووس المشدود الأعصاب الذي يغدو في بعض الحالات على استعداد لإلقاء نفسه في التهلكة ودون مبالاة منتهيا الى نتيجة وجدت من خلالها ان الهوسة كفن شعري هي اقرب الى المشاركة في الحدث منها الى صنعه ، وانها نتاج رد فعل لأحداث وقعت محرضة على تأجيجها اكثر منها فاعلة لها مستدلاً على ذلك وكما اسلفت بعدد من النصوص ومناسباتها في مناطق نشأتها الأولى في الفرات الأوسط وجنوب العراق على وجه الخصوص.

[•] نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 7 لشهر تشرين ثاني 2019 م

اما في **القسم الثاني** منه الذي انا بصدده الآن (الهوسة في حديثة) فقد سلطت الضوء من خلاله على شعرائها وإن لم أجد في هذه المدينة من يحفظ (هوساتهم)على الرغم من وجود أكثر من عشر شعراء مشهورين في هذا المجال، حصلت لبعضهم على نص واحد أو نصين احتفظت بها ذاكرتي نقلا عن رواة ليسوا بالضرورة من ذوي الشاعر باستثناء هوسات المرحوم عبد الرزاق محمد العبيد التي أفادني بها أحد أبنائه السيد أركان عبد الرزاق ، ومثلت بما وجدته من نصوص لهؤلاء على قلتها باغيا من ذلك التعريف بنمط مهم من انماط ادبنا الشعبي (العامي) في مدينتنا (حديثة) عساني اكون موفقا فيه .

الهوسة في حديثة الفرات

حديثة الفرات.. مدينة ليست ككل المدن . انها قرية كبيرة تلم الحديثيين بين ذراعي الفرات في حويجتها (الحديثة القديمة) وعلى كتفيه في جانبيها الجزري والشامي . ليس فيها غريب ، وان دخلها لغاية او سبب ما رجل من غير اهلها لا يخرج منها الا حديثيا أكثر من الحديثيين انفسهم . يذكرها زائروها والمقيمون فيها لسبب او آخر اكثر مما يذكرها اهلها احيانا[1] لأنهم اعتادوها بكل ما فيها ، وما فيها إلا الخير والحب والتداخل العائلي بين جميع سكانها . ليست بأرض عشائر وقبائل متميزة ليقال عنها : حديثة الفلانيين او مدينة العلانيين لكنها بيوت للحديثيين . كلهم حديثيون : شمر، العبيد ، البيات ، المولى ، السادة... وسواهم . تخلوا جميعهم عن نسبهم العشائري وانضموا اليها فغدوا حديثيون ببيوتات متقاربة متجاورة متصاهرة.. بيت عبد الستار ، بيت خليفة ، بيت ملا عبدالله ، بيت هاشم ، بيت جعفر بيت قرقاش ، بيت محمد الحسن ، بيت خالد ، بيت شويخ ، اهل القلعة ، اهل الخان ، اهل الشيخ حديد ، أهل بني داهر ، اهل الحقلانية ، اهل آلوس ... وهكذا ... بيت وبيت ... واهل واهل ... لا تجد نفساً عشائرياً اوقبلياً بين أي من هؤلاء انهم (صبيان حادث) نخوتهم جميعاً وبدون استثناء . حتى (اهل السنجگ) من العشائر المحيطة بحديثة قبل بناء سد حديثة وضياع سنجقها من المعاضيد

([1])تراجع كتابات وأحاديث الكاتب العراقي الأستاذ حسن العلوي .

والجغايفة والغرير والمشاهده والبو حيّاة شرقاً وغرباً وسواهم ، كانوا اهل سنجق ، بل ان معظمهم كانوا يحملون اسماء قراهم فيقال مثلا اهل السوسة ، اهل السواري ، اهل صريافة ... وهكذا . يمرون بحديثة ويقيمون في بيوت اهلها ويشاركون في افراحها وأتراحها ويربطهم بها (اهل وبيت) وظلوا كذالك الى ان (خربت الدنيا) مذ اثيرت في المرحلة السابقة للاحتلال النعرة القبلية عند العراقيين وروّج للأنساب والمشايخ فتحولت للأسف بيوت واهل حديثة الى شمر وعنزة ومولى وجنابيين وسادة حسنيين وسادة حسينيين وطائيين وهاشميين. وسوى ذلك من القاب انتهت مع نهاية النظام ليعود الحديثيون حديثيين كما كانوا بكل بيوتاتهم وعوائلهم .

في هذه البيوت الحديثية كانت تقام الأعراس وتقام المآتم وتمد المآدب ويشارك الجميع فيها ، في ساحاتها وبين ازقتها . اذكر وانا صغير الهو مع اللاهين في (زفّة) احد العرسان ولم يكن ابن عم لي ولا ابن خال ولكنه حديثي وحسب . انبرى المرحوم بيرم عبد القادر العيفان بعد ان حمل على الاكتاف وكان شاباً ليرتجز شعرا لم اعد اذكره لكني اذكر (ربطاته) أي هوساته .. (مرغوبة يا أم دگ الناعم) و (معروفة يخدود التصبغ) .. وهوسات اخرى ما عدت اذكرها . وكنا جميعاً (نهوّس) بها ولا نفهم لصغر اعمارنا معانيها او ما ورائها ، وان كان الشاعر او (المهوال) كما يسميه اهلنا في الجنوب يعرف ما يقول ويعني ، ومما علق بذاكرتي غير هذه الهوسات هوسات اخرى في (زفة) عريس ثان (وشجابك عا لصل تدوسه) وتحمس مجموعة من الشباب لهذه الهوسة التي كانت على ما فهمناه فيما بعد تغمز من مجموعة محتفلة ضمن المحتفلين فما كان من احدهم إلا ان صاح : ها ها ها.. ثم هوّس : (واندوسه وهم نسحگ راسه) وكنت والكثير من المجموعتين من الاطفال نردد الهوستين ولا نعي شيئاً اذ ان هذا الخلاف الشكلي انتهى عند بيت العريس حيث زفّت العروس على مائدة واحدة اجتمع عليها الفريقان وتفرقوا معاً محملين بالأنس والفرح والطيب وكأنهم ليسوا هم الذين كادوا ان يشتبكوا عراكاً بالأيدي قبل ساعات ولا سلاح سوى الأيدي في اشد الخصومات ولا غرابة في ذلك فهم ابناء عمومة كما تقول (هوستهم) التي تتردد في جميع الاعراس دون استثناء (جبناهه وجينا يا ابن العم). هذه هي الذكريات الاولى لي عن الهوسة في حديثة وان

سبقت بهوسة أخرى اذكرها كالحلم وكنت حينها دون السادسة من العمر . لا ادري ماهي مناسبة اجتماع الناس في الساحة التي يطل عليها بيتنا ولكنها بالتأكيد اجتماع فرح خرج من بين صفوفه رجل بيشماغه وعقاله وتكلم عن ابي سرحان والعظم واللحم والشبع والجوع ثم هتف : - ها ها ها (سنتين نظل ناكل بيها) وضحك الجميع عالياً وهوّسوا معه فرحين بتلك الهوسة التي لم اجد من المعاصرين من يحفظ الابيات المتقدمة على الهوسة (الرباط) ولم تحتفظ ذاكرتي بسوى تلك الكلمات وجو البهجة الطاغي على الجميع حينها . ولم افهم لم كان المحتفلون يضحكون ! أعلى النص الشعري ام على الشاعر ؟ ولا يهمني ان ادري فكل ما يهمني عن اهلي الحديثيين انهم كانوا بالصورة التي اسلفت ، وليتهم يعودون الى ما كانوا عليه . تلك هي الاجواء التي كانت عليها حديثة وفيها وبها تربينا وكبرنا وأحببنا حديثة وهوسات حديثة وشعرائها وأهلها دون استثناء .

لقد ظهر في حديثة شعراء للهوسة كثيرون . اذكرهم بالأسماء ، لكني لم احصل لأي منهم على شيء اذ لم يحتفظ ابناءهم لهم بشيء لكني اتذكرهم في حفلات الاعراس واراهم الان رأي العيان كأنهم امامي (جاسم الباقي ، احمد المگيطف ، محمد جميل ، اسماعيل الوهيب ، قدوري العيفان ، زعل طه ، رزيك محمد العبيد) .. وآخرون رحمهم الله جميعاً . لم ادرك شيئاً لهم الا القليل لكني ادركت ابناءهم ولم يكونوا مثلهم باستثناء ابن احدهم المرحوم (بيرم عبد القادر العيفان) وهذا شاعر وابن شاعر. متحدث لا يشق له غبار وابن متحدث ممن يذكر حين يعد الرجال . وهو غير ذلك شاعر شعبي من الطراز الاول . اما الآخرون فحصلت على اشياء قليلة لهم عن طريق ابنائهم . فعن المرحوم زعل طه عاشور ... حدثني كل من سألته عن طرائفه وهوساته الكثيرة غير ان كل من حدثني لم يذكر لي شيئاً من نتاجه سوى هوستين حصلت على احداهما من المحامي الأستاذ ياسين عبد الكريم الخليل وأعطاني الثانية ابن الشاعر البكر عزام وهي تنم عن قابلية شعرية كبيرة وان كان ما حصلت عليه سياسياً اذ كان الشاعر رحمه الله على ما يبدو من المحبين للزعيم الركن عبد الكريم قاسم زعيم العراق بعد ثورة 14/تموز. 1958 م ومن المعجبين به وبثورته لذلك له في مدحه في عام :1958 م

كريـم انـت الزعيـم وسـور للأوطـان   والطاغي نگص عظمه برصاص ودان

مـن دگـة الرميثـه تشـهد الگيـعان

اليتجـــاوز حدنـــه نگـــص ايـــده

انه شاعر حديثي من الغربية في الأنبار يفاخر بأهله في الرميثة في الديوانية ابطال ثورة العشرين . فهل يعي ذلك من يتحدث الآن بالطائفية ويتطلع الى تقسيم العراق شمالاً وجنوباً؟ يخسأ من يفكر في ذلك. وستقطع يده ويد من يتجاوز حدود عراقنا اياً كان ومن يكون إن لم يكن اليوم فغدا اذ ان العراق عند اهله لا يقبل القسمة، انه واحد وسيظل واحداً عصياً على التقسيم والتقسيميين.. وللشاعر في نفس الزعيم وبعد مرور سنة على الثورة أي في عام 1959 م وفي تظاهرة احتفالية وقف زعل طه ليقول : -

الرياسة بس الى عبد الكريم تلوگ   وغيره للشعب ما يحصل حگوگ

نـوري چـان سـنبل بعـد مـو مـدگوگ

(كـــريم الدگـــه واحنـــا الـــذريناه)

وربطة اخرى لنفس المقدمة الشعرية :-

(سنبل بعده مو مدگوگ كريم دگه)

ولم أجد لهذا الشاعر الذي ولد في 1920 م وتوفي في 2004 م سوى هاتين الهوستين لكني وجدت لصنوّه المرحوم عبد الرزاق محمد العبيد نصوصاً اكثر احتفظ بها ولده السيد اركان الذي أفادني ان والده الذي ولد في 1907 م وتوفي 1997م انتمى الى حزب قومي واشتغل عاملاً في محطة ك/ 3 لضخ النفط التابعة لشركة نفط العراق في حديثة ثم طرد من الوظيفة في 1947 م لمشاركته في اضراب شنور[1] في العهد الملكي . ثم أعيد الى العمل بموجب قرار عودة المفصولين الذي

([1]) اضراب شنور - :(شنور) هو حميد عودة الوالي . صابئي مندائي ولد في العمارة اواسط العشرينات . وعُيِّن معلما فيها بعد تخرجه من دار المعلمين عام 1945 م وفي نفس العام انتظم في صفوف الحزب الشيوعي العراقي . فُصل من التعلم عام 1946 م وتقدم للعمل بصفة حدّاد في شركة نفط العراق/ محطة ك/3 – حديثة . وقبل عاملاً في قسم البرادة . وفي نيسان 1948 م بعد استقالة وزارة صالح جبر على اثر وثبة كانون ضد معاهدة بورت سموث وبناءاً على توجيهات الحزب الشيوعي العراقي قاد اضرابا عن العمل في محطة ك/3 مطالباً بتحسين اجور العمال وأحوالهم المعيشية وانظم الى اضرابه الكثير من

صدر بعد ثورة / 14 تموز 1958 م وطرد ثانية لانتمائه لحزب البعث وحورب سياسياً لحين عودة الحزب الى الحكم سنة 1968 م . وعبد الرزاق وجه اجتماعي من وجوه حديثة فهو أحد اعضاء المجلس البلدي فيها لفترات مختلفة ، وشغل منصب (المختارية) في محلة السراي بديلاً لمختارها المرحوم شويش عبد الباقي اثر وفاته سنة 1951 م ولحين تعيين المرحوم محي عبد المجيد البياتي سنة 1951 م وقد فكر القائمون على الامر اعادته الى المختارية بعد وفاة المختار محي سنة 1981 م غير انه اعتذر لأسباب صحية واقترح اضافة محلة السراي الى المرحوم نافع احمد سعيد البياتي مختار محلة القلعة حينها . والمرحوم عبد الرزاق رجل كريم طيب الشمائل له علاقات واسعة داخل حديثة وخارجها وهو شاعر سياسي اشتهرت له هوسات منها (ترسوله الجنطة وهز ذيله) [1] والتي قالها معرضاً بمتصرف لواء الرمادي حينها سنة 1947 م لثبوت رشوته وتغيير موقفه الذي كان عليه في مناصرة المتظاهرين والمضربين عن العمل . وشاعرنا هذا غمرته السياسة فلم ينشد إلا لها . ولعل لعمله في مجال النفط واحتكاكه بالعمال من فئات مختلفة علاقة بذلك . فهو يشارك في اضراب شنور سنة 1946 م ويستهين بمدير محطة ضخ النفط ك/3 التي يعمل فيها (المستر كنج) فيهوّس : (يا كينج انت وسير نعالي)[2] ويبايع الشيخ فتيخان ابو ريشة المتمرد على الوضع السياسي بعد موقعة

العمال. كان شنور رئيسً اللجنة العليا للمضربين الذين سيطروا على المحطة . بدأ اضرابه في 23 / نيسان 1948 م وانتهى في 5 ايار 1948 م حيث غادر المضربون بقيادته المحطة متوجهين الى بغداد سيراً على الاقدام مطالبين بحقوقهم وانتهت مسيرتهم بتفرقهم في الفلوجة . واعتقل شنور لعدة سنوات ثم اطلق سراحه وفتح محلاً للصياغة في بغداد . وفي اذار 1963 . م بعد ثورة 8 شباط اعيد اعتقاله ونقل الى الخالص ليعدم هناك ويدفن في احد بساتينها . وقد سميت تلك الحقبة من الزمن بـ (زمن حكومة شنور) وأرخ لأحداث المحطة تلك بـ (اضراب شنور).

([1])ترسوله الجنطة ... الخ: - نشرت هذه الهوسة في كتاب الاغنية الفلكلورية في العراق لمؤلفه عبد الامير جعفر دون الاشارة الى قائلها .ونقل لي السيد بندر عبد الجبار الحديثي وهو من المهتمين بالأدب الشعبي نقلاً عن اخيه المرحوم الحاج نجيب ان الهوسة هذه للمرحوم رغيان المولى الحديثي .

([2]) يا كنج انته .. الخ :- نسب الدكتور وثاب خالد آل جعفر نقلا عن ابيه هذه الهوسة للمرحوم مرزا حسب الله آل جعفر الحديثي وانه قالها متحدياً (المستر كنج) مدير محطة ك 3 وفصل من العمل على اثرها وعمم على جميع المحطات التابعة لشركة نفط العراق بعدم تشغيله جراء تعرضه للمستر كينج .

سن الذبان[1] سنة 1941 م وخسارة الجيش العراقي امام القوة العظمى (بريطانيا) وجيشها فهوّس :

أصيح وأومي وبالقدس ننخان   واطلب برد الشام من عالي الشان

واطالب بجيش العرب والقايد فتيخان

(يـــرچيهـــا كـــل مـــا تتمايـــل)

وينتفض مع العراقيين مزهواً بجيشه الذي ذهب الى فلسطين لنجدتها عام 1948م فيباهى بحكومة العراق وملكها فيصل الثاني :-

فيصل گمر والشعب كله نجوم   وخاله الوصي مثل الاسد ويحوم

من فلسطين العزيزة للعراق اليوم

(بچفوفـــــة دگ اعـــــلان العــــز)

وحين يتغير نظام الحكم في العراق وتقوم الجمهورية مقام الملكية عام **1958**م يهتف (الله يديم الجمهورية) ويبتهج لقانون الاصلاح لزراعي الذي شرعته الجمهورية الجديدة بعد الثورة وضربت به على يد الاقطاعيين والشيوخ فهوّس شامتاً مع المهوسين :- (كل عشر شيوخ بگونيه) ويظل على هذا النهج في هوساته وأهازيجه حتى اذا أمم النفط سنة **1973** م رأى ان حلماً كبيراً قد تحقق لأهل العراق فهتف امام المتظاهرين لمن اعلن التأميم (ابو هيثم) الرئيس العراقي احمد حسن البكر مهوساً :-

يجري النفط وبسبة الاحرار   رغم كل عميل وخادم للاستعمار

وصوت أبو هيثم بلندن أشعل نار

(ونزيــــده هالنــــار الشـــبت)

وهوسات (نفطية) اخرى كثيرة حصلنا منها على : (كل المكاين صيّحت .. التوربين عربي) و (انگص ايد اللي يگص البايب) رداً على تهديد الشركات المؤممة ومن ورائها بإفشال قانون التأميم ولم احصل من شعر الشاعر على شيء غير ما ذكرته ويبدو ان ما خفي منه او ضاع يدور بمجمله في هذا المضمار وذات

([1]) موقعة سن الذبان :- الواقعة التي حدثت قرب الفلوجة بين الجيش العراقي والجيش الانجليزي اثر تمرد العقداء الاربعة (حركة الگيلاني)عام 1946 .. م وهزم فيها الجيش العراقي وانتهى تمردهم .

الموضوع السياسي حاله حال من سبقه من شعراء الهوسة الذين لم احصل الا على جذاذات من شعرهم امثال المرحوم عبد القادر عيفان المولى الذي استقبل رئيس الوزراء العراقي طاهر يحيى عام 1963 م في حديثة بهوسته الشهيرة بعد ان هدد طاهر يحيى الحديثيين او المسيئين منهم بتقليم اظفارهم رادا عليه بـ:-

احنه اهل المعاني والشرف والدين وچثير النه عليكم طلبات ودين

اظن سفك الدماء يسيل واديين

(يتنحـــــى اليعـــــرف ماضـــــينا)

ومن هوسات الحديثيين ونحن نستعرض شعراء الهوسة فيها نذكر حادثة استقبال الاهالي في حديثة لصبحي عبد الحميد وزير الداخلية عام 1964 م مطالبين الزائر لمدينتهم بتحويلها الى مركز قضاء وفتح دائرة للتجنيد فيها وتوزيع اراضي سكنية لأهلها بثمن رمزي واموراخرى أجملها المرحوم فوزي راشد آل جعفر بهوسته الشهيرة : (بيعونه المتر بدرهم .. خلصونه من روحة عانه) وكانت معظم الدوائر الرئيسية في عانه مركز القضاء الذي تتبع له ناحية حديثة ادارياً آنذاك. وقد تحقق المطلب وتخلص الحديثيون من السفر الى قضاء (عانه) في كل شاردة وواردة بعد ان غدت حديثة قضاءاً مستقلاً عنها وقبل هذا التأريخ وفي الثلاثينيات من القرن الماضي هوّس المرحوم علي الحميد الداود آل جعفر (عدلتك يا ميل حدودي) بعد ازالته لتجاوز حصل على أملاكه في قرية (صريافه) من قبل شركائه من الجغايفة آنذاك ، واثناء البحث عن الهوسات الحديثية عثرت على هوسة قبلية للمرحومة نجود الظاهر من بيت صگر من شمر زوجة المرحوم وهيب عبد الحميد آل جعفر مفاخرة بأهلها وأهل زوجها في حفلة ختان اولاد مسلم عبدالله آل جعفر سنة 1919 م تقول فيها (الدوم الدوم احنّه العيّاله .. وشمّر بظهور الخياله) . ومن الهوسات الطريفة ما رواه لي المرحوم نزيه نايف الخنور وهو من المهتمين بالأدب الشعبي عن الهوسة التي اطلقها المرحوم احمد المگيطف الباقي في مكة المكرمة في موسم الحج وكان الحجاج قد لجّو بالدعاء ولم يكن الشاعر ممن يحفظ الادعية ويتقنها فهتف حينها مخاطباً الله جلّ وعلا (تغفر تغفر لابد تغفر .. وان ما تغفر جنتك تصفر) أي لابد لك يا ربنا من مغفرة ذنوبنا وإلا فستظل جنتك فارغة

تصفر فيها الريح ولن يدخلها احد ... وهي مأخوذة من مقولة مشابهة لبدوي من اليمن حج الى بيت الله الحرام وكان يجهل ما يردده الحجاج في الدعاء وأثناء الطواف فردد هذا القول في معنى مشابه وصياغة نثرية لا حظّ للشعر فيها كالذي صاغه حميد المكيطف في هوسته . وقبل الختام لا بد من الأشارة الى تراث الشيخ الشهيد بيرم عبد القادر - الذي غدر به القاعديون في 6/ 3 / 2007م - من الهوسات التي تأخذ معظمها الطابع السياسي وتربو على ثلاثين نصا القى واحدة منها في عمان - الاردن معقبا على شكوى باح بها الملك حسين امام جمع من ضيوفه وكان شاعرنا الشهيد واحد منهم فما كان منه إلا ان رفع كفه مهوسا :-

إحنــه حزامـك يزيــزوم الســبايا وبينــه تتحــزم

انــدوس اعلــه المنايــا عمــد عالمــوت نتقــدم

بــس صيــح لصيحتــك كلهــا الزلــم تلتــم

(احنه الصنعنه العابد واسرائيل احتارت بيه)

وله في مجزرة ملجأ العامرية التي ارتكبها الطيران الامريكي عام 1991م

احنه اهل الرمح والسيف والغارات   من سابج النه ونمشي على الصعبات

نطلــب بالعامــرية والنــه بعــد ثــارات

(تدرونــــه بالــــذل مــــا نرضــــه)

وفي موقف آخر مرحبا بالجيش العراقي الذي دخل حديثة متوجها الى الحدود السورية بعد احداث لبنان في سبعينات القرن الماضي هتف مهوسا :-

هلـه بجيش الشعب حيّاه من گام وزحـف روجـه

هلـه وهـاي (الحديثه) ويـاك كلها خيـول مسـروجه

يلــو بــس النســا تبقــى لــزوم نعــدّل العوجــه

(العوجــــــه انصــــــد الهــــــا انعــــــدلها)

(العوجه انصد الها انعدلها) وفي الختام اقول هذا ما وصلت اليه بعد بحث ومتابعة في مجال الهوسة الحديثية على وجه الخصوص أدوّنها هنا للتوثيق والتذكير عساها توقظ النائمين عن حقوقهم من اهل العراق .

ملاحظة: يبدو ان (ربطات) معظم الهوسات متكررة ومتشابهه لدى شعراء الهوسة في كل مدن العراق ... اذ ترد (الربطة) لدى شعراء مختلفين .. كما وجدت ان معظم الهوسات متشابهة وتكاد تكون نصّية غير ان مقدمة الهوسة تختلف من شاعر لشاعر .

من شعر حديثة البدوي•

يغلب على حديثة الفرات او حديثة النور كما جاء في احد مسمياتها القديمة الطابع الثقافي الذي يميز سكانها الذين يشتغل جلهم بالأدب ومجالسه التي تتولد عنها ومن خلالها حكايات تراثية وقصص وقصائد فصيحة وشعبية (عاميّة) وبدوية لا تكاد تخلو حافظة حديثي من شيء منها . كما أن لارتباط المدينة الجغرافي بالبادية وتوسطها بين الباديتين الشامية والجزرية وجذور أغلب سكانها الأصليين الممتدة الى قبائل بدوية اصيلة أججت في سكانها حب الشعر وحفظه وتداوله فصيحاً وعامياً وبدوياً ، ولأننا في مجال الحديث عن الشعر البدوي فسنعرض عن سواه اليه وننوه بذكر احد اسباب انتشاره وأسبابه كثيرة إلا ان لموقع المدينة وكما أسلفنا على حافة الصحراء التي لا يفصلها عن مركز المدينة إلا بضع تلال ووديان تكاد تشكل جسوراً للتواصل لا للقطع بين المجتمعين الصحراوي والمدني او البدوي والحضري الذي يوفر للأول سوقاً للبيع والشراء وملاذا متمثلاً في دواوين الحديثيين التي كانت تشكل مضافات تستقبل القادمين من البادية ويستأنس اهلها بهم ويسمعون منهم ، وبحكاياتهم وأشعارهم (گصيدهم) يتأثرون . ولذا برز في المدينة شعراء ينظمون (الگصيد البدوي) بألفاظ بدوية صرفة ومطعمة احيانا بمفردات حديثية او فصحى مفهومة من البدو والحضر على السواء ولأدلل على ذلك سأمر سريعا بمقاطع وأبيات لحديثيين حتى وان انتسبوا لعشائر محددة كـ : ال إجعفر والمولى والجغايفة والمعاضيد على سبيل المثال لا الحصر ولكي لا اطيل على القارئ سأذهب به الى البادية لنشم معاً عطر نسائمها من خلال ما نتمثل به لأبرز شعرائها البدويين مبتدئين بالشاعر المعاصر **سمران گيصوم الجغيفي وجميل شعره الذي منه :**

گالت تحب بهالعمر گلت وش فيه؟ حب بهذا السن ما هو عجايب
الحب ماحد سالم من بلاويه گبلي ومثلي كم شافوا مصايب

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 8 لشهر كانون اول 2019 م

كيان جسمي الكامل اصبحت مدريه ولا چـن هـذا اللي تشـوفوه شـايب

لنستعرض بعد الدخول من هذا الباب منتخبات لشعراء البادية في (الحديثة) وموضوع (الدار) الذي كتب به معظم الشعراء وإن تميز به الشاعر منادي الفتنه المعاضيدي الذي ارتجل قصيدته حين مروره بأرض كان اخيه الشيخ مطر الفتنه قد اقام فيها داره (خيمته) ومضيفه في سالف الزمان وتوفي فيه فأثار ذلك المرور لواعج الشاعر التي تشكلت بالقصيدة المذكورة ومنها :

يـا ونـتي ونـة خلـوج علـى حـوار حنـين هنفـه مسـاهره بـالحنين
اللـي يتوجـدهم عزيـزين للجـار يـوم الغـلا مـن جـيلهم نافـلين
تگـلط الدلـه وفناجـين وبهـار سـمن وسـمين لضـيفهم دافجـين
نـوب اتوجـدهم ونوبـين محتـار ونـوب اگـول بخـاطري منـت حـين
غـدا بهـم والـي المجـادير جبـار واگـفت تـنحيهم غـبار السـنين
مـروا على الـدنيا تگـل جـو خطـار ولاعـد شـايفهم ولا شـايفـيني

والشاعر منادي من الشعراء المجيدين ومن شعره في الحكمة البيتان ادناه من احدى قصائده الجميلة :

من شگ جيب الناس شگوه بعدال ومن داس عود الگيش داس الخصايل
الطـيب جـزا لا تحطـه بالانـذال النـذل مـا رد الجـزا بالمثايـل

ومثل معناه في الفصيح قول المتنبي :

اذا انـت اكرمـت الكـريم ملكتـه وان انـت اكرمـت اللئـيم تمـردا

وبعودة الى (قصيدة الدار) تلك نقرأ لشاعر آخر قصيدة بذات العنوان وبمناسبة مشابهة ارتجلها شاعرها الجغيفي صباح بديوي اسود وهي جميلة رقيقة وان كانت دون الاولى جودة ومنها :

يـا داروين اللي مشـو بيـچ يـادار صـرت لنـا يـا دار مسـرح طلابـه
عـالي جنـابچ يـا ام بعيـدين الاخبـار واليـوم بـس البـوم فـوگ الخرابـه
وجـدي علـيهم وخـايف الصـبر ينهـار وگلـبي عگـبهم مالـفات حرابـه

ولا تحضرني الساعة قصائد اخرى في ذات الموضوع لكنما تستوقفني قصيدة غزلية جميلة للشاعر صبار العبدالله الجغيفي المولود عام 1924م

والمتوفي عام 2008م والتي قالها متغزلاً بامرأة جمعته الصدفة بها في طريق سفره قرب (مقهى محمود) على طريق الموصل في سبعينات القرن الماضي ولم يلتق بها من قبل ولا من بعد ومنها قوله :

خشف نحرني اليوم بگهوة محمود ... لو ما صدفني الدرب ما هو ابالي
مبرومة الـذرعان وعيونهـا سـود ... شـبه العنود اللي تـگود الجمـال
سايلت انا المجمول مزبور النهود ... من اي العمام تكون يابو دوالي
گالت تفضل منت عن شي مسنود ... فوگ الصحيح اعد الك ما جزا لي
عگلي شرد وياك يا ذابل العود ... عد لي بگلبك واللي ابالك ابالي
بيني وبينك ما اخبر كل لادود ... إرد وترى ميك گراح زلالي
يا گلب ياللي صايبك غيظ ولهود ... عذبتني يا شين شيبت حالي

وهي من جيد شعره وله سواها الاجود . وحين نطرق باباً آخر من ابواب شعر البادية نقف بمواجهة الشاعر عبد القادر عيفان المولى المتوفي سنة 1972م وقصيدته الجميلة متعددة القوافي التي قالها متغزلاً ومن ابياتها اخترنا :

ياالله يارب المخالج والعباد ... تهدي لعبدك من مطاليب ما راد
زين ومزيون واصلو من الاجواد ... وحسنو من حواري العين مخلوگ

***

يا هيه يا زينه علامج تزعلون ... صعب علي يوم عني تبعدون
الشعر زافات الحرير وكلبدون ... وريح الهوى غطاه من تحت ليفوگ

***

عديت وصفك بي صحيح الكلام ... وگمت اتزازي في محاذر منامي
عذبتني يا شوگ بنگش الوشام ... ابيض من الگرطاس والصدر مفهوگ

الى آخر القصيدة التي يصف بها من يحب وينحو في نظمها منحى الكثير ممن سبقه في التفنن في نظم الشعر على اكثر من قافية تكون لازمتها موحدة . وقد سبقه الى ذلك من شعراء حديثة الشاعر سليم العبدالله ال جعفر المتوفي سنة 1976م عن عمر ناهز الثمانين في قصيدة له متغزلاً ايضا وناظماً إياها

على حروف الابجدية ، وما كان ذلك اسلوباً خاصاً به بل كان من الاساليب التي سار الكثير من شعراء البادية عليه .. ومنها الابيات :

ابـدي بـذچر الله گبـل كـل بـادي يـــالرافع ســـبعه وســـبعه بعـــاد

يـــالله يـــا عـــالم ســـراير افـــادي تلطــف لعبــدك بالطــاف خفيــه

***

الالـف: آه مـن الهـوى فـت الكبـود نـيران گلـبي تسـعر وزايـده وگـود

علـى زغـير الســن مزبــور النهــود مـا نمـت طـول الليـل نومـه هنيـه

ثم يستعرض احرف الابجدية ويمر عليها جميعا دون تسلسل منتظم وبقواف مختلفة لينهيها بـ :

الشـين: شـت العگل مني والبصيره يـا صاحــبي نيـران گلــبي ســعيره

تعــادل جهــنم نــار گــلبي زفــيره تسـعر بوسـط حشـاي زايـد صـليه

والشاعر سليم هو الوحيد الذي احتفظ بكامل نتاجه وجمعت ما استطعت جمعه من شعره ومنه هذه المقطوعة التي اسميتها (عرض حال) والتي يطلب من خلالها نقله الى حديثة حيث سكنه من محل عمله في القائم فيقول في مطلعها :

ابــدي بذچــر الــله الــف اليفــه اللـي رفــع ســبعه بســبعه بثنتــين

واللـي منــور لـي الفــلاة المخيفــه تعجــل بــدلنا بجــاه طــه وياســين

الى اخر القصيدة التي لم تكن الاجود في شعره وان كانت الاقرب الى قلبي.. وله في موضوع مشابه قصيدة يخاطب فيها زميلا له اسمه خليف او خلف نقل الى حديثة فحملّه الرسالة القصيدة شاك من خلالها ما يعانيه قائلاً :

يخليـف يـا ماشـي بجـيش البغـال فـي عربـاين حامــلات الرواگيــس

ودي ســـلامي لخلتـــي ولعيـــالي واشچي لهم ضيم الجرى والهواجيس

وتستمر شكواه مع ابيات القصيدة التي ينهيها بـ..:

اللـي يخــدم الكفــر مــالو تــوالي لو معاشو يصير خمس وعشر چيس

مشيراً من خلالها الى انه كان يعمل في الشرطة العراقية بداية تشكيلها وانه ملّ الخدمة فيها ، او خدمة الاجنبي (الكافر) حسب تصوره من خلال انضمامه الى الشرطة .

وسوى هذا الشاعر هناك شعراء عاصروه وكتبوا في القصيد البدوي كحردان الثاري واحمد افندي ابن محمد بيك العبيدي وفليح الحسن الشعبان ورزيج الحياني الذي يعد اجودهم شعرا وله قصائد رصينة منها في عتاب احد رجالات شمر وكان بينهما عهد ونقض :

يا راچب اليا مشى مشية الذيب يمسك مجاويد الگطا حين ما فر

ما يعوزه خطم العصا والمشاغيب وليا فگع يگطع عباعيب وادير

وقد نشرت كاملة مع قصائد اخرى له ولسواه في كتابي (شعراء شعبيون لم يقرأ لهم أحد) الصادر عام 2009م في عمان و2017م في دمشق بطبعتيه الأولى والثانية .

وقبل ان نترك ساحة الشعر وقد أوجزت فيه حتى لا يصاب القارئ بالملل أهيب بالمهتمين الكشف عن ذخائر القصائد البدوية التي حزت على مجموعة منها آمل في تقديمها بمطبوع مستقل ان اسعف الحال ومن الله التوفيق

العتابة•

مواعظ وابتسامات .. ونسمات عليلة

عن العتابة اكتب.. ولمحبي االعتابة والمولعين بها وما نظم فيها وقيل وكتب، لكني ساتجنب عتابات الحزن والحنين ، والنوح والبكاء او النحيب على غياب الأحبة وخلو الديار كما معروف عنها وشائع بين الناس ، كما اني لن اكتب عن اصل العتابة وجذورها ومن اين اتت ومن اول القائلين بها اذ اشبعها سواي بحثاً وتتبعاً وكثرت فيها الآراء واختلفت . بل سأورد عتابات اخرى غير مطروقة ولا شائعة ولا تخطر على بال المعنيين . انها عتابة الوعظ والموعظة والغزل والمباهلة والطرائف الجميلة *التي لا يرضاها* اخي الشاعر العراقي مهند ناطق الحديثي الذي اشبعتنا مختاراته منها في الفيسبوك وجعا حتى غدا مقتنعا ان لا عتابة الا (ما ينزل منها على الجرح) كما يقول هو والكثير من عشاق العتابات التي اندثر او غاب عن ما ينشر فيها جانب مهم تطرق اليه (المعتبون) والكثير من شعرائها وأبدأ حديثي ببيت (ثماني) من العتابة الغريب في تكوينه وموضوعه ايضاً مما باح به احد رجال البادية كما تقول الرواية التي استقيتها من اهم واشهر شعرائها في الغربية والانبار من العراق الشاعر الحديثي سليم العبدالله - له ديوان مطبوع يضم منها وسواها من الشعر العامي الكثير- وهو يحدثني عن بدوي قاطع طريق امتهن السلب في صحرائه المقفرة طريقا للحياة قبل ان يهتدي الى الطريق القويم حين قطع طريق قافلة صغيرة وجهتها مكة المكرمة وغاية اصحابها الحج لبيت الله من بين افرادها امرأة جميلة اقترب منها قاطع الطريق بعد ان جرد رجال القافلة مما يمتلكون ويحملون فتجاهلته دون الترجل عن ناقتها منشغلة بمرآة صغيرة كانت تتطلع فيها معرضة عما حل برفاق رحلتها من هوان ليدور بينهما

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 9 لشهر كانون ثاني 2019م

حديث قصير افضى به الى التوبة واعادة ما سلب ومرافقة المسافرين لمكة بالانظمام لقافلتهم طالبا المغفرة حين خاطبها قائلاً :

- يا بنت ... هاتي المرا (اعطني المرآة يا امرأه)

- خاوي ... وتوب (طلبت منه الامان باتخاذها اختا له ..

- والمؤاخاة معروفة - ... واطلب التوبة عن ضلال طريقك)

ووافق الرجل كأي بدوي تستجير به امرأة على مؤاخاتها مؤجلا التوبة فناولته المرآة وحين حدق بها وتملى طلعته ولحيته التي غزاها الشيب قال مشهراً توبته البيت الثمامي التالي من العتابة كما رواه الراوي :-

لفى الغرنوگ واگفى غراب المتاه (1)

وعاسنّه الزمان الصعب لمتاه (2)

سعيد اللزم درب الحگ لمتاه (3)

ودلاه الطريج الخير لمتاه (4)

وحگ السن درب الحاج لمتاه (5)

وجداهم على المعروف لمتاه (6)

ترى الفردوس موقوفه لمن آتاه (7)

وحور العين موصوفه جزاه (8)

وحين أبدأ حديثي بهذه الموعظة الحسنة من العتابة التي غدت بداية طريق هداية لمذنب عاص ولا ازيد عليها تجنباً للاطالة انتقل لأمثلة جميلة من العتابات وردت ضمن حواريات بعضها جاد وبعضها هازل من جميلها الحوارية التي دارت بين رجلين مرّا بقرية وقصدا غدير ماء فيها بغية الورد منه ووجدا

---

(1) الغرنوك :طائر ابيض ، اكفى : ذهب واختفى ، لمتاه : ذقن الرجل (اللحية)

(2) لمتاه :الى متى ... يستمر هذا الزمن؟

(3) لم تاه : ما تاه عنه ولاضل

(4) لمتاه : الى مماته ... ارشده طريق الخير لحين حلول اجله

(5) لمتاه : لأمته ... قسم بمن سن الحج لأمته

(6) لمتاه : الى نهايته .. . اوجد لهم المعروف بتمامه والى منتهاه

(7) لمن آتاه : لمن اتى اليه ... الجنة موقوفة لمن سلك طريقه

(8) ... والحور موصوفة جزاءا له

بضع حسناوات عليه فكان ان تحرك الهوى بأولهما المدعو حمد البلاش الذي التفت لصاحبه سالم الجغيفي قائلاً :-

علـى شــط الهــوى شــرعنا وردنــه[1]
وخــرّب بــاگـــة الجــوري وردنـــه[2]
يسـالـــم لـــو تبلشنـــه وردنـــه[3]
وراســك مــا يخيــب النــه جــواب[4]

فما كان من سالم الأبعد نظراً منه الا ان رد عليه قائلاً :-

حمـد هـالفهم منـك لـو مـن آبـاك[5]
لـــولا الـــرب مـــن عنـــدو منابـــاك[6]
اخـــاف تـــگول يـــا عـــمي منابـــاك[7]
وعلينـــه يضـــحكون اهـــل الهـــوى

والشاعران من عشيرة الجغايفة القاطنة غرب الأنبار وبين حديثة والموصل تحديدا . . . اما الحوارية الثانية فيما ادونه فقد حدثت بين شاعرين من قبائل الجبور والجنابيين والقبيلتان عراقيتان لهما امتدادهما فتختلف عن الاولى اذ يدّعي كل منهما اسبقية قومه بنظم العتابة مذ يبدأ الجنابي مفاخراً ومتحدياً :-

---

(1)وردنا : المورد ... وردنا مياه شط الهوى

(2) ظهر الشيب برؤوسنا كباقة ورد الجوري فأساء لورد شبابنا وخربه

(3)تبلش : انغمس في الامر... لو حاولنا واردنا التواصل معهن

(4)ممن فهمك هذا ؟ اهو اجتهاد ام علم ورثته عن ابيك؟

(5) ام انه اوحي لك من الرب فأنبأك به ؟

(6) اخشى اجابة احداهن بـ (يا عمي) فتشعرني بكبر سني ونغدو اضحوكة للمحبين وطالبي الهوى

(7) بدينه : بدينة وكبيرة وقوية

تجيـك بيـوت مـن عنـدي بدينـه[1]
كبـــار وعـــاد لبّاســـة بدينــه [2]
العتابــه ابضــاعة صــارت بدينــه [3]
وكـــل مـــن گام يضـــربها عصـــا [4]

فيرد عليه الشاعر الجبوري قائلاً :-

تجيـك بيـوت مـن عنـدي فحلهـا[5]
وكـل مـن شـالها بصـدرو فحلهـا [6]
العتابــه مسيســه وجــدي فحلهــا [7]
وعليهـا شـهود مـن گالـوا بـلا [8]

اما الطرفة الثالثة والأخيرة من العتابات فهي على شكل حوارية تدور كما يتحدث بها مزارع من قبيلة الجبور بينه وبين ثوره الذي يستخدمه في ادارة الجرد(الناعور) لرفع المياه من مجراها الى الساقية وقد اتهمه بالتقصيرفرد الثور مدافعاً عن نفسه ملق باللائمة على الساقية التي تنقل تلك المياه محملاً اياها التهمة وتدافع الساقية عن نفسها هي الاخرى بحوارية طريفة يضعها المزارع على السنتهم وبالشكل المدون ادناه :-

(1) بدينه : البدينه نوع من اللباس الفاخر الذ يرتديه وجهاء القوم

(2) بأيدينا غدت بضاعة خاصة بنا

(3) كل من جاء بعدنا يقلد ما نقول ويضرب بعصاه واسلوبه على طريقتنا مقلدا

(4) تأتيك منّا بيوتا (ابياتا) فحولا من العتابة

(5) مسيسة : اخذها الماء بمجراه لضعفها ، فحلها : سيدها

(6) كالوا بلا : قالوا نعم ... يشهد على ذلك الخلق منذ بدأ الخليقة

(7) البقر يملأ المزارع بالماء وانت ايها الثور بطيء بعملك وما ترميه من ماء ضئيل لا يروي الارض فتظل عطشى يابسة

(8) عسى الله ان يسلط عليك لبوة (انثى الاسد) متوحشة ربت في ارض قفراء يابسة

المزارع .. مخاطباً الثور :-

البـگر يرمـي مـرج وانـت تـرم يبسـان[1]
يمـــال اللبـــوة الرابيـــه بيبســـان [2]
لـــواح الـــچـــرد يمهـــدوم يبســـان [3]
سنــــــه وانــــــت تلولــــح بالرشـــــا

وحين يرى الثور ان المزارع تجنى والقى عليه باللائمة يعتذر قائلاً :-

الثور :-

علـــيّ الجــــر بـــس ارشـــي الغــــربهن
گذلــــة ريـــش نعـــام الغــــاربهن [4]
انا خوفي من الساجي ما يدك الغار...بهن،
ولا يحـــط عالنـــاگصــــه تــــراب [5]

وحين يبريء الثورنفسه من التقصير ويلقي المسؤلية على الساقية التي يتسبب اهمالها بضياع الماء وعدم وصوله الى (لواح الزرع) تصر على انها تؤدي عملها على أحسن ما يكون قائلة :-

---

([1]) (لواح .. جمع لاحة) وهي القطعة المزروعة من الارض التي تسقى بماء الجرد (الناعور) جفت ويبس زرعها

([2]) انت في حركتك بطيء ولا ترفع (رشا :الحبل) والدلو المشدود اليه الا مرة في السنة

([3])أرشي : اربط من (الرشا : الحبل) ، الغارب : أعلى المياه في البئر او حيث تكون ، والمعنى العام : اجر الدلو الممتليء بالمياه من اعاليها .

([4]) غاربهن : غار بهن .. شن غارته ... وعلامة عقيد الجيش وقائده عند العرب حمله لريش النعام في مقدمة عمامته او جبينه .

([5]) اخاف من الساقية ان لا(تدك : تغلق) الندوب (الغار) التي يغور الماء داخل مجراها ... وان لا تحكم نواقص جوانبها باضافة التراب عليها لمنع المياه من الانسياب خارجها

الساقية :-

اعجــزت وآنــه ادك المــرز واللــوح [1]
وخـايف مـن عـذاب الـگبـر واللـوح [2]
انـا بـاش السـواجي وبـاش مـن لاح [3]
الجنــابي ، وحــط عالنــاگصــه تــراب

وحتى لا ندع للملل مدخلاً يتسرب منه الى القاريء كتسرب ماء الساقية من مجراها نحاول ان نبعث في نفسه البهجة ببضع ابيات من الغزل في العتابة وهي من القلائل في ذلك الباب وان لم تكن النادرة غير اننا نختار الاجمل واجمل من كتب في هذا الباب الشاعران حردان الثاري الدليمي وسليم العبدالله الحديثي وكلاهما من سكنة مدينة حديثة العراقية وادناه مختارات مما جادت به قريحتهما ...

اولا - حردان الثاري :-

ورد گنـدس خديـد التـرف بسجـار [4]
واريــد مـگابـل المحبــوب بــس جــار
مـن الروبـاص حجـل الترف بـس جـار
دوا وارعـــــب مجانيـــــن الهـــــوى

([1]) تعبت حد العجز من دك (غلق) الفتحات التي يتسرب الماء من خلالها في (المرز : الحد الفاصل) و(اللوح : قطع الارض المزروعة

([2]) وكل عملي لا مراءاة ولكنه خوفا من الله وعذاب القبر الذي اليه مآلي وما يسجل علي من الذنوب في اللوح المحفوظ

([3]) انا سيد السواقي وسيد لكل من (لاح : وصل)جوانبها واحكم غلقها بسد نواقصها بالتراب

([4]) بسجار: بأشجاره ، ورد كندس : ورد شجرة الدفلى الاحمر .

بس جار : جار له فقط .

بس جار : جار علينا وتمرد ، الروباص : الفضة .

دوا وارعب ..الخ : صاح (من الدوي) واخاف المحبين من مجانين الهوى بدويه .

اتخطّـى گــول ديــچ البرجليلــه[1]
اتهــــزّع والمباســــم بــــرج ليلـــه
بشــــرجي والمـــــروبص برجليلــــه
هـويـــد ومجعـــد النايــم تعـــاب

* * *

اتخطّـى گول ديــچ الحجــل برمــال[2]
بعينـــي بيّـــت الهســـهاس برمـــال
باللـــه يـــا حليـــو الطـــول درمـــال
البتاتـــي وامشـــي بطـــرگ الثيـــاب

ثانيا – سليم العبدالله :-

اتخطـى گول ديـچ الـوز علـى نـي [3]
وسنـــا نـــارك بـــگلـــبي وز علـــى نـــي
تـــرف لا تزعـــل انـــت وازعـــل آنـــي
طبيعـــه مـــدت ايـــدي عـــالرگـــاب

([1]) برجليله : في رجلة .. والرجلة هي الوادي الصغير المتفرع عن الوادي الاصلي، ديج : ذكر الدجاج ، كول : كأنه (يشبه) .

برج ليله : برق في ليلة ، اتهزع : تتمايل في مشيتها ، المباسم : الشفاه .

برجليله : برجليها .. في ساقيها ، الشرجي : الرياح الشرقية المحملة بالغيوم ، المروبص: الحجل .. الخلخال المفضض .

هويد : هاديء خفيف رنينه ، مجعد : موقظ من نام تعبا

([2]) برمال : في رمال الصحراء ، الحجل : طائر بري معروف .

برمال :الهسهاس : رمل ناعم جدا لا يرى لكنه يحس اذا دخل العين او في الطعام .

درمال : ارمي : اخلعي ، البتاتي : العباءة ، طرك : دون .. ارمي العباءة وابق بثوبك فقط ... والشطران مدوران .

([3]) ديج الوز على ني : ذكر الأوز السائر بهدوء وخفر دون وجل وخوف (على نياته .

وز على ني : وز: أز النار ..اشعل النار تحت لحم (ني : حي) .

وازعل آني : ازعل لزعلك .. يوجعني جفائك .

الركاب : الرقاب الجميلة .

مكسّـر يـا هـدب عيـني مـن النـوم[1]
علـى الرشّـــوا ذوايـــهن مـــن النـــوم
طلــع نعســان ابــو گذلــه مــن النــوم
ولا رد الشـــــواچــــر عالـــــرگـــــاب

* * *

هلــه بهالريمــة التمشــي مــع كــود [2]
ظريفــــه وراس گرمولــــه معكــــود
حبيـــبي مهـــرة الرجبـــت مـــع كـــود
هـــدود بتـــونس الخضـــرا عفـــا

وبهذه العتابات الغزليات المختارة من شاعرين حديثيين وسواها مما يضيق به المقام أُبرّأ العتابة من طابع الحزن والشجن الموصوفة به وافتح نوافذ جميلة فيها من الغزل الرقيق والطرائف الممتعة والحواريات التي تضع محبيها على ابواب جديدة منها عساها تروق للقاريء الكريم ومن الله التوفيق ومن المختصين والمتابعين المزيد . . .

([1]) من النوم : من اغفائتي ...والنوم : السبات .
من النوم : من قشور الليمون (النومي) المجففة وهي ذات رائحة زكية تستخدمها النساء قديما في تعطير شعرهن بشكل خاص ، ذوايهن : ظفائرهن .
من النوم : من غرفة نومه .
الشواجر: غطاء الرأس للمرأة (المكرونة) ، الرقاب : جمع رقبة .
([2]) امع كود : مع القطيع المقاد من الظباء او سواها ، الريمة : الغزالة .
معكود : معقود بالشرائط الجميلة ، كرموله : ظفيرة .
مع كود : مع قطيع من الخيول ، الرجبت : التي سارت او سيرت .
هدود : هدت : تركت سائرة على سجيتها ، تونس الخضرا : معروفة واستخدامها يفيد الكناية عن الارض المعشبة الخضراء .
عفا : معفاة من الرعي وعشبها وفير لذلك .

المساجلات

في الشعر العامي الحديثي•

المساجلات الأدبية باب فني ونمط من انماط الأدب والشعر عامة غير انه اكثر بروزاً في الشعر العامي منه في الشعر الفصيح ، وفيه ومن خلاله تدور محاورات وعتاب وردود والغاز وأحاجي بين الشعراء قد يعمد فيها الشاعر الى التلميح عن شوق له او طلب من صديق يبغيه سراً فيعمد الى الشعر طارحاً من خلاله ما يريد إيصاله للمعني منتظراً إجابة الآخر لمبتغاه شعراً او نثراً ، وقد يتخذ الشاعر من المساجلات مجالاً لبث الغازه وأحاجيه لمن يستقبل ما يصله متفهماً ما منه يراد تلميحاً او تصريحاً دون لبس وغموض ، وقد يكون في شعر المساجلات ما يعقب به شاعر حاضر على شاعر غائب بموضوع مشابه لما سبق ان كتبه الاول حتى وان كان غائباً او متوفى .. ينهج فيما يقول نهج من سبقه او معارضاً لما كان قد عالجه في نظمه من افكار ورؤى . وتحضرني الساعة في هذا الباب نماذج مختلفة من الشعر العامي بجميع الوانه تقريباً كـ (القصيد البدوي ، العتابة ، الأبوذية ، النايل) وسواها .. كبيت من النايل للشاعر حردان الثاري ملغزاً في (بلبل) ومعبراً من خلال ما يقول عن سهده وقلة نومه الذي يجره عليه الم وهم يعانيه ملغزاً :-

اكلفــت كــل مــن داوا و(الســاهر) آزوده

وهــمي سـراب السـهل مـا تـنگص حـدوده

ويعني بالساهر طائر البلبل كونه يستيقظ مبكرا ومنها بتغريده على بدء نهار جديد .. واظن اني سبق ان اوردت هذا في مقال سابق ، وقوله (نفس الشاعر) في موضوع آخر :-

---

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 12 لشهر نيسان 2020 م.

حلفتـني بـالنبي عـن هـل تعـداني واسمو حليل النبي الساكن بالجنان

ويعني بذلك اسم السيدة خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها .. مجيباً به على سؤال وجهه اليه صديقه الشاعر علي السمرمد (ابو عفات) حين خاطبه مستفسراً عن امرأة مرت بهما :-

حـردان يـا (بـو زري) ينخـاك (ابـو عفـات)

وآحلفـــك بـــالنبي گلــي اســـم هالفـــات

ومن طريف المساجلات في النايل ما روته لي امرأة مسنة قبل عقود كانت شاهدة على ما حدث في عشرينات القرن الماضي حين تجمعت بعض النسوة على شاطيء الفرات في أعاليه وقريباً من الحدود العراقية السورية في الجانب الشامي من النهر لملء قربهن بالماء حين وقف رجل في الجانب الجزري المقابل لهن من النهر مغنياً بصوت جهوري :-

يهـل العـبي الـزرگ لباسـچن لا مـات حلفــتهن بــالنبي وگــالن عراگيــات

فما كان من احداهن الا ان أجابته وعلى الفور :-

بيـني وبـين الترف شـط وعـبر وفـراه وحبي وجيع الحشـا وچيّد علي دواه

وغير النايل وأحاجيه ومساجلاته أذكر أبياتاً من العتابة لشاعرين حديثيين من قبيلة الجغايفة سبق ان مثلت لهما عن الغزل في العتابة في مقال سابق منشور في مجلتكم الغراء مرّا بغدير ماء ووجدا فتيات يتزودن منه بالماء فتحدث الاول (حمد البلاش) لصاحبه (سالم) عن جمالهن واعجابه بهن مقسما انه سينال القبول لو تقدم واياه لإحداهن خاطباً :-

علـى شـــط الهــوى شــرّعنا وردنـــا وخـــرّب باگـــة الجـــوري وردنـــا

يســــالم لــــو تبلشنـــا وردنـــا وراسـك مـا يخيـب النـه جـواب

غير ان صاحبه (سالم) عارضه فيما يرى مسفهاً رأيه مبدياً خشيته من ان تجيبه أياً منهن لو تحدث معهن بمفردة (عمي) وتعني بهذا انك لا تصلح لأن تكون زوجاً كونك رجل مسن ولا يليق بنا مناداتك بغير صفة العم او الخال قائلا :-

حمـد هـالفهم منـك لـو مـن آبـاك لـــولا الـــرب مـــن عنـــدو منابيــك

اخـاف تگـول يـا عمـي مـا انـا بيـك وعلينــه يضـحكون اهــل الهــوى

وفي الذاكرة من هذا النوع من الادب العامي الكثير ومعظمه يدور بين شعراء حديثيين شدتهم لبعضهم اواصر الاخوة ونقاء العلاقات ، ولأن لأحد هؤلاء رابطة مباشرة بي اذ هو (والدي) واعني به الشاعر سليم العبدالله فإن معظم ما احفظه منه وعن طريقه ويخص ما كان يدور بينه وبين من عايشهم من شعراء الحقبة الزمنية التي عاشوا فيها ، ولهذا سيكون اغلب ما اورده يخصه بالذات دون سواه ، ولو كان لي خيار غيره ما ترددت الا ان عدم احتفاظ ذوي الشعراء بما دون آبائهم حال دون الوصول الى ما كانوا ينظمون في كل المجالات ولولا ما ادونه مما اخذته عن والدي ما بقي لأغلبهم شيئ يذكر كون معظم شعراء تلك الفترة من الأميين الذين ما اهتم ابناؤهم بحفظ شعرهم لعدهم اياه من الادب المحكي الذي يسمع ويحفظ ولا يكتب ، ولا ادري هل كان هذا نتاج قلة ادراك أم انه الاهمال غير المقصود ، واظنه التفسير الاكثر قبولاً . واعود لذاكرتي التي تعيدني بدورها لواحدة من انواع المساجلات التي حدثت في ثلاثينيات القرن الماضي تتمثل في قراءة لقصيدة بدوية عن الأماني ذكرت بمجلس في ديوان المرحوم دللي ابراهيم شيخ عشيرة آل اجعفر في حديثة وخال الشاعر سليم من أحد الحاضرين نالت اعجابهم فكان ان استفز او تحدى أحدهم سليم في قول شيء مشابه او مناقض لما ذكر من قصيدة (جرو المحسن المسعودي) والتي تمنى فيها امان قيل انها قد تحققت جميعها له ومنها :-

نفسي توردني على خمس تلوان　　كل واحد عسر على ما يناله

الباديه بيت على ثلث عمدان　　وگطيع شگح من المواشي حلاله

والثانيه ... والثالثه ... والرابعه ...

والخامسه فرش على حد بستان　　والهم عنّه ينگرونه عياله

فأجاب سليم بسبعة ابيات كانت اقرب للاماني الاخروية من الدنيوية عكس الاول ومنها :-

نفسي توردني على سبع تلوان　　كل واحد سهل على ما يريده

الباديه الدين والعلم واحسان　　يقوم طول الليل قرآن بيده

والثانيه ... والثالثه ... والرابعه ... والخامسه ... والسادسه ...

والســابعه ســيف شــطير بالايمــان   واللــي يعــد الــلاش اگطــع وريــده

وغير هذا سأورد مجموعة من المساجلات المباشرة او عن بعد وبالمراسلة بين الشعراء وفي انواع مختلفة من الشعر وسيكون الشاعر سليم العبدالله – كما اسلفت - محورا لمعظمها ، وأبدأ بـ (الميمر) الذي لن يكون له فيه حصة ونصيب .

اولا : الميمر

مساجلة مباشرة في شعر وغناء (الميمر) وقعت أواخر القرن التاسع عشر بين الصديقين الشاعرين ابراهيم داود الدللي شيخ عشيرة آل إجعفر والشاعر الملا حبيب النصار احد ابرز وجوه السادة الدواهر (النعيم) يتحدث فيها الشاعر ابراهيم بلسان (ابن الدنيا) المتمرد المولع فيها ويساجله الملا حبيب بلسان (ابن الآخرة) الزاهد بملاذ الحياة الدنيوية الطامح الى ما سيجزيه الله على زهده في آخرته وعنهما نقرأ ...

ابراهيم :-

ودي أمـــوت وأســـمع الرچبيهـــا   ويـــا مـــن گذلتـــه ليحـــدر رچبيهـــا

درب المعاصــي يـــا نفـــس رچبيهـــا   محـــد لفانـــه مـــن الگبـــور مطـــبر

المعنى العام : اود الموت وانا اصغي لغناء (الركباني) حبا بالجميلة التي يصل شعر جديلتها الى ركبتيها ، ولأجلها اركبي يا نفس طريق العصيان ، واطمأني فما عاد لنا من القبور معاقب وأثر التطبير على رأسه.

ملا حبيب :-

ودي أمـــوت وأســـمع التـــرچيها   ويـــا مـــن زليفـــه ليحـــدر ترچيهـــا

درب المعاصــي يـــا نفـــس ترچيهـــا   بـــاچر يحاســـبنه نكـــير ومنكـــر

المعنى العام: اود الموت وانا مصغ للنهي عن المنكر، حبا بمن زلف شعرها يصل الى اقراطها (تراكي)، ولأجلها اتركي يا نفس درب المعاصي ، فغدا نموت ويحاسبنا الملكان الموكلان نكير ومنكر .

ابراهيم:

ودي أمـــوت وأســـمع النعّايـــه لابـو عيـون الچـا حبـر بدوايـه

يـوم على الفرشـه عشـيري معايـه محسـد حكم كسـرى وعـاد وقيصر

المعنى العام : اود الموت والإصغاء للنعي ، حبا بصاحبة العيون السوداء الشبيهة بالحبر في دواته (المحبرة) ، ويوم يكون الحبيب معي وفي فراشي ، لن احسد كسرى الفرس ولا عاد ولا قيصر الروم .

ملا حبيب:

ودي أمـوت وأسـمع التلجيـني ولا يـوم نفسـي عالنـذل تلجيـني

يـاللي تردنـي بالحشـر تلجيـني بـدار السـعاده هنـاك عـود اتبخـتر

المعنى العام: اود الموت وسماع التلقين ، على ان تلجئني حاجة نفسي لخسيس حقير ، فيا من تريد لقائي ستجدني يوم الحشر حاضراً بدار السعادة حيث الجنة هناك متبختراً .

ثانيا : العتابة

1- ابراهيم كبيسي الجبوري وسليم العبدالله

جمبع المساجلات في ما سيمر بنا سيكون عن طريق المراسلة بين الشعراء ، وتدور اولاها بين الشاعرين ابراهيم كبيسي الجبوري المقيم في الشرقاط/ الموصل وبين سليم العبدالله في حديثة اذ يكتب االجبوري ابراهيم لسليم رسالة يبثه فيها شوقه ويضمنها بيتين من العتابة ليجيبه سليم ببيتيين مشابهين لما ارسله ابراهيم معنى مختلفان مبنى .. وادناه عتاباتهم :-

ابراهيم:

بچيـت ومـن دمـع عيـني سـلا مـاي الخـل المـا لفـه مـنهم سـلاماي

ان چان الراچب الصيدح سلا ماي اخمّـن مـا سـلا گلـبي حبـاب

المعنى العام: بكيت وسال ماء عيوني شوقا لخليلي الذي ما جاءني منه سلام وتحية ، ولو نسي وسلا راكب الصيدح (والصيدح فرس الشاعر الجاهلي ذي الرمة صاحب مي) حبيبته مي او سلا الماء فلا اظن ان قلبي سيسلو احبائي .

ابراهيم:

بسيف الهجر دلالي حزيناه وحبل الوصل من غبتو حزيناه

غرفت الدمع من عبرة حزيناه الماغوثه على فراگ الضنا

المعنى العام: بسيف البعد قلبي ذبحته ، وحبل وصلي منذ غبتم حززته ، ودمعي كدمع الام الحزينة الموجوعة على فراق اولادها (ضناها) .

سليم:

اگل للگلب توب وما يتوبه على الصبّو بعيني ماي توبه

صرت شبه الجنين الميت آبوه التيتم من زغر سنه وساب

المعنى العام : اقول لقلبي ان يتوب عن ذكر الغائبين ويأبى التوبة عن ذكر من ترك عيوني كالتي صب فيها ماء ثمرة التين الغير ناضجة (التوبة : هي التينة غير الناضجة وتحتوي على ماء اشبه بالحليب يكون حاداً محرقاً) ، لقد غدوت اثر نأيهم كالصغير الذي فقد الأب وتيتم منذ صغره وساب دون راع وولي امر يتابعه.

سليم:

علوّه الفوگ تيهيه وجلها سريعه تسبگ الربده وجلها

أشبّه خفّها إيد الوج الها جنين وما لها غيرو حدا

المعنى العام : ليتني فوق ناقة (تيهيه) سريعة احثها على السير واقطع بها المسافات (اجلوها ..الجلاء : الخروج من البلد) واسبق بها (الربدة : طائر صغير) ومن جاء له مطاردا (الصقر) الذي يبغي افتراسه ، اني لأشبّه سرعة (التيهية) التي اتمناها كخفة وسرعة يد الأم ولهفتها في حركتها لإنقاذ (جنين) صغيرها الوحيد الذي اشتعلت به النار (وج الها : شبت النار واشعلت لها) وما لها ولد سواه .

2 - جاسم الباقي (الرودة) وسليم العبدالله

كثيرة هي المراسلات والمساجلات بين الشاعرين الحديثيين جاسم الباقي وسليم العبدالله ومنها نجتزئ :-

أ-مرت بسليم حادثة موجعة في اوائل ستينات القرن الماضي فكتب الى جاسم الباقي المقيم في بغداد رسالة ضمنها بيتاً يقول فيه :

مـتى يـا ضـامري تبـرى مـن الهـام　　حمـل وايـد على گلـبي مـن الهـام

يجاسـم صـابني شـارج مـن الهـام　　وحـزين آنـه علـى فـراگ الحبـاب

المعنى العام : متى تبرأ يا فؤادي من الوهم الذي يلازمك ؟ ، لقد غدا قلبي محملا بالهموم ، مذ اصابني (الشارج : مرض يصيب الراس) في هامة راسي وغدوت حزينا على فراق احبتي .

واجابه جاسم الباقي معتذرا باستحالة حضوره اليه بسبب امراض تلازمه قائلا :-

أجـد واجهـد لملگـه الخـوي بالهـام　　شـجاع ومـن ربيـت بزغـر ملهـام

ربـش عـرگ البيـاض ونبـت بلهـام　　شـوفي گصـر وجدامـي تعـاب

المعنى العام : اجد واجتهد لملاقاة اخي بهمة كوني شجاع وملهم منذ صغري غير ان للشيخوخة احكامها فقد ملأ الشيب شعري ونبت بهام راسي وقصر نظري وتعبت قدماي فما عادتا تحملاني .

ب- ومن مدينة المحاويل/ بابل حيث يقيم الشاعر جاسم الباقي رفقة ولده الذي توظف هناك في خمسينات القرن الماضي ارسل لصديق عمره سليم يقول:

اريـد اشـد كـوري فـوگ ثنتـين　　وراهـم رمـدن عيـوني الثنتـين

انـا لجـاوب الناحـو الثنتيـن　　اظـل آنـوح ودمـوعي سـراب

المعنى العام : اريد حمل حمولتي فوق راحلتين والحق بمن اصاب عيناي بالرمد ، واني لأجيب واضاهي بأنيني النائحتين (الحمامة والبوم) واظل نائحا ودموعي المنسكبة احالت بانصبابها الدائم كل ما اراه الى سراب .

أريـد أنگـل جـدامي فـوگ بـيكم　　علـيكم أرد اشـوف الحـي بـيكم

عـزاز وهالگطاعـه لـيش بـيكم　　علينـا مـا تخفّـون الـرچاب

المعنى العام : اريد نقل اقدامي فوق سيارة (بيكم) ، لأصل اليكم وارى الحي منكم ، اعزائي انتم فلماذا قطعتم الوصل بي ؟ ولماذا لا تصل لي ركابكم ؟.

ويجيبه سليم ببيت من الابوذية وبيت من العتابة كما في ادناه :-

الابوذية :

سـألت الـدار گالـت لـي محاويـل   صـار الهـم سـنه عـني محاويـل

دمعـي فـيّض البيـدا محـا ويـل   طفـح واسـگى الحـزوم وزاد بـيّ

المعنى العام : مررت بداركم وسالت عنكم فاخبرتني الدار انك في مدينة المحاويل وانكم قد تحولتم عنها منذ سنة كاملة فذرفت دمعا فاضت به الصحراء ومحا كل اثار العجلات (الويل : العجلة) ، ثم سقى اعالي الاراضي وزاد بي فوق ذلك .

ان غبـت منهـو اليجـاوبني على بيـت   العتابـه اللي دعـا حيلي على بـت

يجاسـم صـاب دلالـي سـنا بيـت   اللهيـب اللـيّن الجاسـي وذاب

المعنى العام: من يجيبني بعد غيابك على عتاباتي التي تركتني ضعيف القوى وكأن ما يربطني بالحياة محض خيط (بت) ضعيف ؟ لقد اصاب قلبي يا (جاسم) نار بيت اللهب الذي ألان قاسي المعدن واذابه .

.... وسوى هذا بين الشاعرين كثير

ثالثا : لأبوذية

من مدينة العزيزية في الكوت/ واسط حيث يقيم ويعمل الشاعر الحديثي جميل الحمد المولى الذي غادر حديثة اثر ظرف قاهر كتب لصديقه سليم العبدالله معاتباً ومحاوراً وطالباً النصح والمشورة في أمر يشغله قائلاً :-

نسامـح للنـوده اليـا سـمحنه   انچفينـه وانگطعنـه اليـاس محنـه

سـليم ارجـوك فهـم النـاس محنـه   مثـل بعـض العـواذل نـوبچيه

المعنى العام : نسامح من يودنا بقدر ما نستطيع من السماح ، ومع هذا رُدِدنا وقُطع الود معنا ويأسنا واليأس محنة ومصيبة ، أرجوك يا (سليم) ان تفهم الناس (من نهتم بأمرهم) ما نحن (ما احنه) مثل سوانا من العذال نعمل

بالنوبات (النوبة : فرصة الاستراحة او الواجب) ونستغل الفرص لمصالحنا واستغلال سوانا ..

بسـگم يمضـي علـيّ الليـل وانهـار   جـرف الصبـر بـيّ انهـدم وانهـار

صرت شدعي على اللي عذل وانهار   الجـرى ارجـوك لطـف لـي تحيـه

المعنى العام: بالم وقهر يمضيان ليلي ونهاري، حتى انهدم بي جرف الصبر وتهاوى، فصرت ادعو الله على من لامني وانهره . هذا ما جرى لي فالطف علي بنصيحة وسلام .

وحين تصل ابيات جميل لسليم في حديثة ويرد عليها بتحيات مرفقة بابيات من الابوذية احتفظت الذاكرة بأحدها وسأدونه ادناه يعود جميل الحمد لحديثة لينهي كل علاقة له بها ويودع صاحبه الوداع الاخير مغادراً من جديد الى العزيزية متخذاً منها سكناً ومن ابوذية صاحبه حلاً اخيراً وان كان موجع .. والبيت هو :-

بطـرب گضـّي الليـالي فاتـه فاتـه   وطـش همـوم گلبـك فاتـه فاتـه

اللـي كلّـهْ يريـده فاتـه فاتـه   ولا تحصـل مـن الواشـي أذيـه

المعنى العام: انس الماضي واقض لياليك بأنس شيئا بعد شيء ، وانثر هموم قلبك وفتتها قليلاً قليلاً ، فمن اراد كل شيء عليه ان يتجاوز و(يفوت) اشياء كي يتجنب اذى الوشاة والحاقدين .

وحكاية جميل الحمد رحمه الله ومعاناته حكاية كل محب احب وعف ومات...

ولكي ندع بعد هذه الجولة بين مساجلات الاباء للابناء حصة وللمعاصرين ممن يكتب الشعر ويهواه نصيب ادوّن بيتا لي من (الزهيري) ارسلته من مدينة الرطبة حيث كنت مقيماً عام 2011م الى الاخ الشاعر مهند ناطق الحديثي المقيم هو الآخر في (القائم) بعيداً عن مدينته فكانت اجابته بعد ساعة او اقل ببيت أجمل مما انا ارسلته عبر الهاتف المحمول وفي ادناه البيتان اضعهما خاتمة لحديثي عن المساجلات في الشعر العامي الحديثي ودون شرح او تعليق عساه ينال رضى القراء ..

طلال :-

راح الأوده وجفـا ومـن الگلـب هـم شـال

والچنـت اظنـه ذهـب للفضـه صـار وشـال

متبرگعـه هالخلـگ مـا بـين بـوش وشـال

ومـن اشـرگت شـمسهم بـالفي خلـوني

وانطـوني حـگ الجـزا لـونٍ يخـل لـوني

ساگـيتهم بالشـهد ساگـوني خلونـي

ومـا چـن كفـي لهـم خـيّط عيـوب وشـال

* * *

مهند :-

الچنـت اودهـم جفـو عـني وخلـوني

وبـراس حربـه بـدليل حشـاي خلـوني

خلـوني اون بكـدر ، وبضـيم خلـوني

اضحيت حـال اليتيـم الضـال وآني العـود

ويگلـولي عـود لغـوالي الـروح ، وين العـود

دهـري دعـاني بطـرگ تـالي الجسـد والعـود

بـديار غربـه سـگيم الحـال خلـوني

ذكريات رمضانية•

لمناسبة قدوم هذا الشهر الكريم وغلق المساجد وخلوها من المصلين لتوافقه مع وباء كرونا اللعينة ..

رمضان على الابواب. ورمضان هذا العام ليس ككل رمضان . ولأنه وكما اراه يتيماً آلمني قبل قدومه ، وفكرت كيف سيكون وقد أغلقت الجوامع وانزوى كل في بيته محاصر بالقلق والترقب خشية كرونا اللعينة. هذه الأسئلة حضرت الساعة في ذهني ودفعت بذكريات من رمضانات الخير الى ذاكرتي فرأيت أن أتجنب أجواء الادب والشعر لأحدث اصدقائي في المجلة من العاملين والقراء عن رمضان آخر عشت أيامه ولياليه في السنين الثلاث الأولى من ستينات القرن الماضي يوم كنا صغاراً نترقب مجيء الشهر الفضيل بلهفة وحب تضارع لهفة الكبار الآملين عتقهم من النيران بطلبهم المغفرة لما مر من ايام عصيان وتجديف . لذلك ينطلق الجميع به مرحبين ولقدومه مهللين . فما أن تبدأ العشر الأخيرة من شعبان بالتآكل حتى تعلو التسبيحات في الجوامع وتتهيأ البيوت لاستقبال الضيف الكريم مرددين مع مؤذن جامع محلتنا الذي يبدأ بالترحيب به قبل أن يحل بيننا بأيام :- (مرحباً .. مرحباً ... مرحباً يا شهر رمضان مرحباً / مرحباً يا شهر الطاعة والغفران مرحباً / مرحباً يا شهراً أوله رحمه .. وأوسطه مغفره .. وآخره عتق من النيران مرحباً) ثم يعقبه بأذان تنصت له نفوس ما تزال مأخوذة بحلاوة الترحيب . وأذكر من أيام رمضان تلك فرحنا نحن الاطفال بموائد إفطاره وسحوره الذي ينغصه علينا أحياناً خشية نهوضنا من الفراش خوفاً من تعنيف يلحق بنا ممن يكبرنا سناً من الأشقاء لأننا غير مأمورين بالصيام ، بعد ان يوقظنا المسحراتي (حسن) وهو ينادي الجميع للاستيقاظ مصاحباً نداءه بضربات محسوبة على صفيحة فارغة كان يحملها بيد ويقرعها بعصاً يمسكها بالأخرى .. وكيف يهون علينا ان لا نُشعر المحيطين بمائدة السحور بوجودنا

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 13 لشهر مايس 2020م

ونحن نحسب لتلك (اللمة الحلوة) الف حساب يحس به الوالد او الوالدة او هما معاً رحمهما الله من خلال تقلبنا في الفراش فيصيحون بنا (على إيش تتگلبون بالفراش ؟؟ گوموا تسحروا ويانه) . ويا لها من فرحة لا تعادلها فرحة ولا يحس بقيمتها إلا الوالدان اللذان يقاسمانا ما أمامهما من طعام . أما اذا غلبنا النوم فستكون يقظتنا مبكرة ، ولأننا مهيأون للذهاب الى المدرسة (والموسم شتاء) فما على أكبرنا سناً إلا ان يوقد (صوبة علاء الدين) ويضع فوقها المتبقي من السحور لنفطر عليه ونحن سعداء بما تبقى لنا مما قد نتناوله بارداً اذا تداركنا الوقت فتكون الذ منها ساخنة وهذا ينطبق على (عروگ الطاوة) دون سواها ، أما اذا أضربنا عن (الريوگ) وذهبنا الى المدرسة فهذا يعني احتجاجاً مكتوماً على تجاهلنا الذي تكسره الوالدة رحمها الله حين العودة بوجبة غذاء تبرره لنا بأننا نُعد صائمين ما دمنا صمدنا الى ظهر ذلك اليوم ليندرج صيامنا المنقوص تحت بند (صوم العصافير) . أين نحن الان من تلك الايام الجميلة أيام نتسابق الى قدر (المحلبي) لنلحس و(نلطع) بأصابعنا بقاياه في أسفل القدر وعلى جدرانه بعد إفراغه في الاواني ليقدم مع الافطار فتكون تلك (اللطعات) ألذ من كل مأكولات الدنيا سابقاً واليوم ايضاً.. ولرمضان الحبيب طقوسه عندنا يوم كنا زمن الطفولة والبراءة والطهور نتجمع في الساحة المجاورة للجامع لنؤدي أحلى الالعاب ونغني أحياناً (ماجينه يا ماجينه .. حل الكيس وانطينه) ثم نتجمع مع اقتراب موعد آذان المغرب على جانب النهر وعلى سدته في حويجة حديثة تحديداً مغنين شتى الاغاني التي كنا نناكف فيها لداتنا في الجانب الاخر من النهر (الشامية) منشدين :- (يا اهل الشاميه شبيكم ... والعيب طالع بيكم) أو نهزج مسمين أسماء نعرفها وملخصين بها شتائمنا لهم (يا اهل فلان جتكم علة .. حولوا الماي عالباجله ، يا اهل فلان جتكم دانه .. فعصتكم فعص الذبانه) ثم نبدأ مراقبة (الشرطي) الذي يظهر قبل دقائق من الافطار على سطح (مركز الشرطة) المقابل لنا وهو يحمل بندقيته لنهتف بأتجاهه (گبّل .. گبّل .. گبّل .. گبّل – أي صوّب بندقيته -) اثناء تهيأه لأطلاق إطلاقة الافطار ويقابلها في المدن الكبيرة (اطلاقة المدفع) حتى اذا أطلقها ركضنا كل بأتجاه بيته مع صرخات فرحة وبهجة تعقبها مائدة الافطار العامرة بمن حولها يوم كانت العوائل تجتمع

حول موائد الافطار الزاخرة بـ (الحنيني ، الشوربة ، العروگ ، كبه.... واشياء اخرى) أهمها بالنسبة لنا كأطفال (المحلبي والحلاوة) التي تدور أعيننا حولها منتظرة عودة الوالد رحمه الله من الجامع وهو ليس بعيد ... وعلى ذكر الجامع أذكر (موائد الافطار ومواعين التمر) التي كان يأتي بها الصائمون من المصلين الآمّين الجامع ليفطروا عليها قبل الصلاة ويتقووا بها لحين العودة لبيوتهم . وأذكر من الطرائف يومها ان أخي الاكبر رحمه الله حمل (صينية فطور) كان بينها ماعون (الكاستر) الذي وفد حديثا الى المدينة وما كان حينها شائعا ليروي لنا حين عودته كيف ان أحد الرجال المسنين انفرد به جانباً مستفهماً عن هذا الاصفر اللذيذ ماهو ومن أين أتيتم به ؟. ذكريات أرويها الساعة وكأني اعيشها وأتمنى لو يعيها الجيل الحالي ليحس أطفالهم وأطفالنا بجمالية رمضان التي كنا نحسها يوم كنا نتشوق لآذان العشاء لا حباً بالصلاة ونحن بذاك العمر قدر حبنا (لصلاة التراويح) وما يتخللها من نداءات جميلة يصدح بها (ابو خلف) أو(ابو حوري) عقب كل ركعتان أو أربعة ركعات على شاكلة (سبّح الحصى بكفه محمد .. صلوا وسلموا عليه .. الصلاة الجامعة) أو (ابو بكر الصديق .. صاحبه في الضيق .. ترضوا عنه .. الصلاة جامعة ، علي ابن ابي طالب .. اسد الله الغالب .. ترضوا عنه .. الصلاة جامعة) وهكذا مروراً بالخليفتين الراشدين عمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً ، وانتظاراً للحلويات (البقلاوة والزلابية) التي يجود بها من أتم ختمة للقرأن الكريم ليكون نصيبنا منها حين الحصول عليها عيد ولا كل الأعياد ، حتى اذا ما أزف رحيل رمضان وقد أحييناه كباراً وصغاراً بالصلاة والصوم وقراءة القرءان والتعاليل الجميلة ودخلت العشرة الأخيرة جاء دور التهيؤ للعيد ونشط سوق (البازة) كما تنشط مكائن الخيّاطات ولن اذكرهن اختلط فرحنا بالعيد القادم بوجع فراق رمضان الذي يبدأ المؤذن بوداعه في إسبوعه الاخير مكرراً ذات صيغة الترحيب مبدلاً مفردة (مرحبا) بمفردة (الوداع) ليجهش كبار السن بالبكاء الذي نحس صدقه وتختلط فيه المشاعر وتخفت روائح الطعام وتنزوي (الشوربة) في ركن بعيد فلا فطور ولا سحور بعد اليوم غير اني أذكر إصرار أبي رحمه الله على تناول السحور في ليلة العيد الذي يأبى ان ينام دونه حتى ولو كان مقتصراً على بضع تمرات لأن الليلة تلك كانت في عرفهِ

(الليلة اليتيمة) وأظن ان الكثير سواه من كبار العمر يؤدون نفس الشعيرة التي ما هي إلا تقليد تعارفوا عليه . ومما أذكره من طرائف تلك الايام التي كنت أرافق في بعضها أبي رحمه الله الى المحكمة الي يعمل فيها حارساً لأبيت معه ليلته حاملاً عنه (سفرطاس) السحور بطبقاته الثلاثة في الذهاب (وعلاگة المخضر) في الإياب صباحاً حين يتسوقها في طريق عودته التي يمر خلالها على القصاب (خلف الدخيل) رحمه الله ليشتري اللحم وكان القصاب آنذاك لا ينحر أكثر من ذبيحة واحدة وقد تصير ذبيحتان لأن المشترين لن يأخذ أي منهم أكثر من كيلو غرام واحد إلا ما ندر. كان القصاب يستقبل والدي ضاحكاً وهو يقول (أي أبو عبد ... منعولة الوالدين شتريد ؟؟) فيجيبه والدي (الدوش دوّش عنّه ، والخاصرة خسرانه ، وبيت اللحم لا تاخذه الصفتين عظام) وفي هذه الجمل الثلاث خلاصة لحكاية عن امرأة ارسلت زوجها للتسوق وأوصته حين يمر بالقصاب ان لا يأخذ ما ذكرته من الذبيحة لأنها على ما يبدو تريد من لحم الفخذ او (المعلاگ) ، ويطلق خلف القصاب ضحكات مجلجلة أسمع الآن صداها معقباً .. وأبو عبد شيؤمر؟ .. ويطلب ابي من لحم الظهر الذي ما يزال مفضلاً عندي على سواه لأنه الألذ في قدر الطبخ ويكون له ما يريد وهو المدلل عند صديقه القصاب الذي يعطيه ما يطلب ويزيد عليه بكمية من الشحم (مجاناً وإكراماً) قائلاً (وهذا للعروگ) . كانوا طيبين وأنقياء وما حافظنا على نقائهم . لقد شغلتنا الدنيا فانشغلنا عن رمضان وأهل رمضان ومحبيه آنذاك يوم كنا نرى طرق المدينة وأزقتها تعج مع الغروب بالصبايا المتنقلات بين البيوت حاملات ما جادت به مطابخ عوائلهم لأبناء محلتهم لتزخر الموائد في كل البيوت بطعام يكاد يكون موحدا اذ ان الجميع (يطعم) ويهدي الجميع .

مرحباً يا رمضان .. مرحباً بك وانت تأتي هذا العام متوجساً غريباً لا صلاة فيه تؤديها مساجدنا .. ولا تمجيد ولا تراويح وأخشى ان لا يكون فيه صيام ولا افطار.

الدكتور سعدي الحديثي

عابر الليل•

ظلت حديثة رغم ما فيها من مواهب أدبية وشهادات أكاديمية عليا وبروز شخصيات سياسية وثقافية قيادية دون سواها من مدن العراق من حيث ظهور أعلام معروفة لدى الآخرين في مجال الأدب . وقد يكون من أسباب ذلك تواضع المثقفين والأكاديميين الحديثيين وعزوفهم عن الشهرة بمسايرة الاعلام. لذا نرى أن من اشتهر منهم كان بجهد سواه ممن أخذوا على عواتقهم التعريف بهم، والقليل منهم برز بجهده الشخصي ومثابرته وشعبيته نتاج حضوره المتكرر في وسائل الاعلام المقروئة والمسموعة والمرأية لا عامداً وانما بحكم عمله ، ومن هؤلاء الأستاذ الدكتور سعدي الحديثي موضوع بحثي هذا اذا جاز لي ان أُسميه بحثاً . وقد لا يعرف الكثيرون عنه الا ما تردده اسطوانات التسجيل الخاصة وما يتوفر منها في الاذاعات المسموعة والمرئية . لا يعرفون عنه شاعراً وسياسياً ومفكراً ومتخصصاً كبيراً بالآداب العربية . ولا تستغرب النخب المثقفة ذلك اذا ما اكتشفت به هذه السمات ، فمن يمتلك رهافة الحس التي يمتلكها سعدي المتميز بما يقدمه لا يستكثر عليه ذلك . (يستغرب أطفالي حين أطرب لذكر الشروق ، وهم لا يعرفون ان الشروق عندي بداية نهار جديد ، وخططاً للعب في الصحراء الربيعية أو الإستغراق في صيد السمك الفراتي في شهور الصيف).

يقول سعدي ذلك في إحدى خواطره الأدبية ، ومبرر استغراب أطفاله يكمن في أنهم لم يروا الفجر كما رآه، لأن (كتل الأسمنت) سابقاً (تحجب عنهم

• البحث الذي قدّم في مهرجان هيت الثقافي السنوي الثاني.. والذي أقامه المركز الثقافي في مدينة هيت وقرأته مع ما قرأ من بحوث وقصائد ومحاضرات لإدباء وشعراء وأكاديميين من مختلف أنحاء القطر للفترة من: 24- 26 آذار 2011م

نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعدديها (14) لشهر حزيران 2020 م، و(15) لشهر تموز 2020 م

وجه الفضاء). كما تحجب (الصبات الكونكريتية) اليوم عنّا وعنهم وجه الحقيقة التي طالما سار بإثرها سعدي باحثاً عن ضوء في أنفاق من الظلمة .

أذكر وكنت طفلاً لا أعي الأمور كما الآن وكنا نسكن في طريق لا بد لسعدي من المرور به في رواحه ومجيئه وهو نقيض لولاة أمورنا باعتقاده وانتماءه السياسي ، واختلافه وإياهم في الإنتماء ، وكنا في ذلك العمر محض ببغاوات نردد ما يمليه علينا من يكبرنا من شباب محلتنا ، ومما كنا نردده آنذاك أهازيج تنال من قادة أمميين قاصدين استفزازه وبعض رفاقه وكان يشاركنا اهازيجنا ويصفق ويلوح بيديه عكس رفاقه الذين كانوا يثورون ويشتبك بعضهم مع أبناء محلتنا بالأيادي او بالشتائم في أحسن الأحوال ليثبت سعدي في ذاكرتنا دون سواه كونه النقيض المحبوب الذي لا نحمل له ضغينة . هكذا عرفناه في البدء . شاب جميل وأنيق وشيوعي متمرد غير أنه محبوب قريب من أنفس الجميع كونه لا يثير أحداً ولا يثار من أحد .

سعدي الحديثي / لمحات :

بين التل الذي نسميه جبلاً في مناطقنا ومياه الشط في نهر الفرات ولد سعدي وعاش ونما وكبر . وبين تكايا أعمامه –اذ هو سليل عائلة دينية– وشطحات الكثير منهم الصوفية ونقر دفوفهم في ليالي القدر وتفتحه وانحيازه للفكر التقدمي تهادى ثابت الخطو لا متأرجحاً ولا مجاملاً ولا متحرجاً من سلوك طريق مخالفاً فيه سابقيه وان لم يتنصل عن مباديء الاسلام بمعانيها بل كان مسلماً اشتراكياً في رؤاه على ما اظن وقدوته من المسلمين من هم أكثر اشتراكية من الاشتراكيين المعاصرين وأصدق وأرصن تفكيراً كأبي ذر الغفاري مثلاً . ولماذا لا يكون أبا ذر قدوته وقد روي عن الرسول الأكرم عليه افضل الصلاة والسلام انه قال (أصحابي كالنجوم بأي اقتديتم اهتديتم)؟. لقد اقتدى سعدي على حد تصوري بأبي ذر وسواه ممن دعا الى الاشتراكية الاسلامية الحقيقية التي دعا اليها في خمسينات القرن الماضي المفكر السوري المرحوم مصطفى السباعي عبر كتابه (اشتراكية الاسلام) غير أن توجس المسلمين من مفردة الاشتراكية التي كان

ينتحلها الشيوعيون دفع به لأن يبحث عنها في غير النظام الاسلامي وهكذا نضيّع بكثير من الجهل وبسوء تفسيرنا وانغلاقنا على ما ندعي فهمه نوابغ ومفكرين كان الأولى بنا احتضانهم ولعل هذا بعض من عيوب المسلمين لا عيباً في الاسلام المنزه عن العيوب . أقول عن هذا الانسان المرهف الحس الذي جمع من المواهب ما زاد على إمكانية حيازتها والسيطرة عليها فتشظى وتشظت مواهبه ولم يغدو شاعراً كصاحبه ورفيق دربه مظفر النواب وهو الذي قال في فتوته متغزلاً :-

حنانيــك يــا همســتي الحائــره ويــا ظبيــتي الحلــوة النافــره

ويــا غنــوتي يــا هــواي الحبيــب ويــا رعشــة اللــذة الساحــره

تماديــت فــي قتــل هــذا الفــؤاد وأخمـــدت أنفاســـه الثائـــره

وحمّلتـــه فـــوق مـــا يستطيـــع وودعـــت فـــي نظـــرة ســـاخره

وهي من غير ما اشتهر به وعرف من تخصص في التراث الشعبي وآدابه، وما له فيه من شعر ليس قليلاً في (النايل والسويحلي والزهيري) الذي يبث من خلاله شكواه من زمنه ووقته ولا يعتب عليه او يلومه في شكواه إلا الصقيع ضعيف الرأي ممن لا يفهم ان الزمن والحظوظ على النقيض في كثير من الأحوال مع المواهب والأفكار والموهوبين والمفكرين كما في حالة فناننا وشاعرنا الذي أضناه جهل من لا يفهم حديثه ويعي ما يريد لذاك يقول :-

ما لي عليهم عتب ما يفهمون لغاي ومالو عتب عالوكت إلا صجيع الراي

وهو حين يشكو في بيت آخر من النايل من جور الزمن يأبى ان يبدو ضعيفاً أمامه حتى وان خلا من (وليده) ورجل شجاع يرد عنه حيفاً إذا (نخاه) واستعان به :-

جاير علينه الوكت ما نگدر نگول آه ولا بالمحاري وليده النوصله ونتخاه

وجراح شاعرنا عميقة ما عادت تخفف من أوجاعها المسكنات والمخدرات من أنغام وشدو ولهو وراح ، لأن من أحبه سلط عليه سهامه من كل الزوايا .. أرضاً وجواً. وزرع في راحة يده جمرة حبه ، ومن منّا لا يعرف الحس الذي يميز راحة اليد وصعوبة اندمال جراحها ؟ لذاك يحار الشاعر مقابل ما عانى وسلط

عليه ، بماذا تراه يدعو على من هجره بعد أن أجج النار في فؤاده وقلب له ظهر المجن ومضى؟ لنصغ له وهو يقول :-

شــدعي علـى البلگلــب نــار الغضــا وجّــو
كلمــا يــدگ الجــرس أگمــز واگــولن جــو
مليــان گلــبي حــزن مــا ظـل عگـبهم جــو
راح الفــرح وانگضــى ويَ الزمـــان الـــراح
ومــا عــاد تسـكن جروحـي بـالنغم والــراح
ظـالم حبيـب الگلـب حـط الجمــر بالـراح
ســـلط ســـهامو علــيّ مـــن الأرض والجـــو

أقول عن هذا الرجل الذي ما غدا شاعراً وقد رأينا بعض شعره وقرأناه ، ولم يغدو مفكراً كمن أقتدى بهم ، وهو مفكر ، ولا تشكيلياً ولا أدبياً ولا صحفياً ولا أكاديمياً وهو جميع هذه الأشياء ، وهو التعليمي المتميز بين معاصريه حيث اعتبر المعلم الأول في العراق وفاز بهذا اللقب في خمسينات القرن الماضي .. كما تفوق في التعليم الجامعي في الخليج العربي وعُد من المتميزين الأوائل في ذلك حين عمل استاذاً في جامعة أبو ظبي واستاذاً زائراً في معظم جامعات الخليج قبل ان تنقطع علاقته بها منذ سنين مسبوقة بما يزيد على العشر سنوات تقريباً . واشتهر سعدي الحديثي كمغن وان لم يكن كذلك رغم أن الغناء على حبه له شكل هاجساً عذباً عاشه وترنم به وعبّر من خلاله عن مكنونات قلبه ونفثات حرّى رافقته وعواطفه ثم في انتماءه السياسي فيما بعد .

سأله فيما يرويه هو الحاكم العسكري العام في احدى محاكماته في ستينات القرن الماضي والتي أخذ بها حكماً بالسجن لثمان سنين وستة اشهر بدل ستة أشهر فحسب عن سياسي عراقي متمرد ، وهل كان هذا خائناً وعميلاً ام وطنياً ؟؟ ولم يقل ما اشتهى الحاكم سماعه لينجو ولم ينزه تلك الشخصية عن الخيانة فيأخذ حكماً يستحقه ، بل ترك حاكمه في حيرة من أمره عندما أجاب بـ (كيف تريدني ان أصم عراقياً بالعمالة وقد حارت السلطة منذ العهد الملكي لحد هذه الساعة – ساعة وقوف سعدي في قفص الاتهام – في تسميته ؟

فهو مرة يستقبل رمزاً وطنياً ومرة يحارب على عمالته المزعومة في العهدين الملكي والجمهوري) فكان أن أخذ سعدي على إجابته الستة اشهر والثماني سنين معاً لأنه أبى أن يقول ما لا يقتنع به . هذا الرجل المحيّر ، الهاديء المتوثب الذي ما استقر ولا أراه سيستقر أزمع الكتابة عنه فلا أجد ما أقوله فيه وعنه إلا قناعاتي من خلال قرائتي لحياته ومتابعاتي لمعاناته ، وقد أزوغ فيما أكتبه عن الحقيقة وعذري في ذلك أنني لم أستطع الوصول الى ما كتبه – مد الله في عمره – ولم أجد له شيئاً مقروءاً استطيع الإتكاء عليه حين أبغي التحدث عنه لأن معظم كتاباته بما في ذلك رسالتيه في الماجستير والدكتوراه كانتا باللغة الانجليزية إذا استثنينا النزر القليل الذي استخلصته من المواقع الالكترونية بعد بحث مضن عساه يزيل شيئا من الغموض الذي يحول دون الوصول الى ما في جعبة سعدي مما يرضي القاريء والمتتبع لهذا الفنان العملاق .

حياته :

ولد سعدي الحديثي في قضاء حديثة/ محافظة الأنبار .. وفي حويجتها تحديدا عام 1939م بين (ذيل البلد والحصاب الشرقية وبستان خصيب المكتظ بالنخل) فصار أطول نخلة فيها . وحين غادر هذه المواقع الزاهية يافعاً إتكأ على التل مادا ساقيه في نهر

الفرات في قرية (بني زجه / بروانة) من قصبات حديثة غداة انتقاله اليها . وبين حويجة حديثة وبني زجه في بروانة ، وبين النخيل والنهر و(ابلامه) وسنارات السمك التي كان يتسلى باصطياده نشأ من أب كما أسلفت من السادة الحسينيين وفي تكايا هذه العائلة كبر بعيداً عن حنو أمه التي غادرته الى دنيا الخلود وهو تلميذ في الابتدائية فاضطر للتنقل بين أبيه وأعمامه في حويجة حديثة وأخواله في (بني زجه) وقد عاش طفولته وصباه في أحضان أب أبرز ما فيه بساطته وضيق ذات يده اذا قورن دخله الشهري الذي يناله من عمله في دائرة بريد حديثة وعائلة ينوء بها كاهله وعواطف أخوال يتمنون تعويضه عن إمه ويعملون على ذلك وهيهات اذ لا أحد يستطيع الى ذلك سبيلاً فاتخذ من

جرف النهر وبساتينه اماً وأباً ومن ترانيم الأغاني الشعبية بديلاً لهدهدات الأم وترانيمها حتى حفظها طفلاً ووعاها يافعاً ونال بها شهادة الدكتوراه رجلاً .

أكمل دراسته المتوسطة في حديثة ثم انتقل الى دار المعلمين شأنه شأن لداته فكان أن رسى بأحلى مدينة بعد حديثة على حد تعبير الأستاذ حسن العلوي.. واعني بها الأعظمية. حيث دراسته وتزاوج أفكاره بأفكار سواه من الطلبة الوافدين من مختلف محافظات العرااق . وهناك في الأعظمية نما حبه وتحول الى عشق عف به فعانى وتحمل ولم يقترن بمن أحب ليزيد في لوعته لوعات وفي معاناته معاناة . وفي 1957م عين معلماً في مدرسة عمر بن الخطاب الأبتدائية في حديثة ليعود ثانية الى المدرسة التي درس فيها معلماً للغة الأنجليزية بين 1957 – 1958م ويقود فيها نشاطاً عملاقاً مع تلامذة صغار تعلموا على يديه كيف يكون الأدب وكيف تبنى العبارات والجمل المتراصة ثابتة كبناء جدار في قلعة الأدب الذي أحبه سعدي، وتمنى لو يدفع بتلامذته داخل جدرانها . نقل الى الرمادي مركز المحافظة عام 1959م (ليمارس التعليم فيها ويتعرف على اصدقاء ورفاق جدد في الحركة الوطنية بعد ان انتمى لها فعلياً في حديثة عام 1956م مذ صار عضواً في الحزب الشيوعي العراقي ورافق نضالهم في حديثة ممثلين بمدرسين منفيين فيها منهم (ابراهيم ججو – دهوك) و (ظاهر الشاوي – كركوك) وسواهم.

لقد كان الدكتور سعدي فنانا منذ طفولته تشهد له النشاطات المدرسية اذ كان عنصراً فعالاً في معظم المسرحيات والتمثيليات التي قدمت آنذاك كما كان مؤدياً للأغاني البدوية التي خلبت لبه فاستوى على حبها وخرج منها وفيها بطور جديد في الغناء لم يسبقه اليه أحد .. ولم يشأ إعطاءه إسما مذ زاوج بين الأبوذية الريفية المنشأ والأنتشار وهي غناء العشائر المستوطنة جنوب العراق ووسطه بلونها (المحمداوي) وبين السويحلي والنايل التي نشأت مع سعدي بحكم نشأته في حديثة على أطراف الصحراء وهي أقرب الى الغناء البدوي للقبائل الرحالة (فوجدت نفسي - يقول – اطرح لوناً غنائياً غير معروف او مطروق من قبل اذ لم يكن بالمحمداوي الذي يقطر حزناً ولا هو بالغناء الذي يحمل روح الصحراء). وسجل هذا النمط الجديد باسمه هو إلا انه لم يضع كما قال له

إسما . وظل حتى الآن يؤدى على الطريقة التي أداه بها سعدي وقلده فيه الكثير من المطربين وبلغوا في اتقانه شوطاً بعيداً كرياض احمد وسعدون جابر وسواهم.

لقد كان الفن في قناعات الدكتور سعدي الحديثي (كحروف العلة في اللغة يستحيل الكلام دون وجودها). لذلك أحبه وعاش تحت ظلاله ليتغلغل من خلاله الى بقايا جوانب الحياة عساه يصل الى فهمها وفك رموزها وأحاجيها . وأرى أنه قد وفق في ذلك مذ صار مفهوماً ومطلوباً من العراقيين والعرب وحتى الأجانب بما قدمه من حداء وغناء بدوي وريفي صعب الفهم على الكثيرين لو لم يكن بلسان وحنجرة وصوت الدكتور سعدي الحديثي .

سعدي فناناً وسياسياً :-

(انه قانون الحياة ، نقاتل من أجل اللقمة، ولكننا نرمي بها في القمامة ونحن ندري أننا سنحتاج إليها مرة اخرى). هذا القانون الذي اختصره سعدي في خاطرة له دفعت به لأن يقاتل لا من أجل اللقمة فحسب وان ادّعى ذلك . بل كان يقاتل كما يقول سيزار فالجو (من أجل الخروج من خرم الأبرة) الذي حُبس فيه ككل أهل العراق الذين كبرت طموحاتهم على برامج حكوماتهم فانصرف منهم من انصرف الى ميدان السياسة ودفع حياته ثمناً لها او للفنون بمختلف الوانها فعاش مشرداً كرفيق دربه الشاعر مظفر النواب ، او منطوياً على نفسه كالشاعر البصري محمود البريكان وقد يصير الى صعلوك لا يحسب لشيء حساب كالشعراء حسين مردان وعبد الأمير الحصيري وجان دمو وسواهم . أما سعدي فعكسهم لم ينصرف الى جهد وباب ويخلي سواه فقد عاش سياسياً منذ نعومة اظفاره وحتى قبل انتمائه للحزب الشيوعي العراقي عام 1956م مع المضطهدين في كل تفاصيل حياتهم . طلاباً في المدارس وصغاراً مع الكبار، ومتفتحين مع المتزمتين من اصحاب الأفكار العتيقة . لذلك نراه منذ بدايته يصدح بالغناء البدوي الذي يحوز من الألم والحزن أكثر مما يحوزه من الفرح والمسرة إذ أن طبيعة هذا الغناء مصاحبا (الربابة) الموجعة بأنينها وحتى بدونها يختزن كل الأحزان التي تمور بها قلب ونفس المؤدي لهذا النمط من الغناء بكل أنواعه من

الهجيني الى السامري الذي لا يحلو سماعه بغير صوت سعدي ممثلاًص بقصيدة (الشرابي) أو (منيف) كما ينسبها آخرون ..

نطيت رجم واثاري الليل ممسيني بديار غربه يعل السيل ما جاها

اضحك مع اللي ضحك والهم طية گرب الغزو لو وشّلو ماها

يمنيف اگعد ترحّل فوگ ثنتين مثل الگطا بالمضافي وارد ماها

الى آخر القصيدة المكتظة بالحزن واستنهاض الهمم ... مروراً بالموال (الزهيري) فاتحة غناء سعدي في معظم حفلاته الخاصة حتى كاد ان يكون ملازماً إياه وهو يؤديه بطور يختلف به عن سواه من المغنين وقارئي المقام ، وهل هناك أحلى من :-

يا ساعه يا يوم گلي يا شهر يا سنه

انظل برجاكم يولا ينگطع ياسنه

اسأل طبيب الذي بحال الولم ياسنه

ما خبّرك يا ترف بصوابي گلي شگال

صندوگ گلبي امتلى من الهموم اشكال

لا يا لئيم اللي ما تبالي بالزمان شگال

هوّ الفرح يايوم گلي ياشهر ياسنه؟!

والبيت ينسب للحاج زاير الدويج وان لم أجده في ديوانه المطبوع بنسخته المتوفرة لدي . ومن يصغي لسعدي في هذا الموال لا ينصرف في فهمه إلا الى ما يخص القلب (بهوائياته) كما يسمى أهل الغناء العامي الغزل ، عكس ما أراه انا فيه اذ أحس أن سعدي وهو يتغنى به بصوته الشجي لا يناغي هواه وحسب بل يذهب لأكثر من ذلك . انه يناغي ويساجل ويسائل زمنه وقضيته وانتماءه ونضاله وهل سيصل الى مبتغاه ويأتيه الفرج بعد الشدة ام يظل بالرجاء مالئاً صندوق قلبه بالهموم .. هموم الشعب وهموم الحزب وهموم المناضل الذي تتصدى له الإحباطات أينما اتجه وانّى ولّى وجهه غير عابئ بما يقف في طريقه رغم كل ما يحمله من الم والدليل على ذلك :-

يســـعود احنـــه عيـــب   يـــا بيـــرغ الشـــرجيه
خلي الدم يجري طوفان   كلنـه انخــوض عبريــه

لازمته الأخرى من شعر صاحبه مظفر النواب التي نادراً ما تخلى عنها في تسجيلاته الخاصة .

هذا الشاعر والمغني الثوري عف اللسان ، نراه مضطراً – ونادراً ما نراه كذلك – يثور فيذم ويهجو الزمن وسواه ممثلاً بـ (شين الأطباع) و (ابو الجنيب - السرطان) سيء الطبع الذي يأبى السير مستقيماً لأنه (نذل) قليل مرؤة في عرف سعدي . وفوق نذالته ابتسم له الحظ وتشلبى مركزاً ومنصباً يؤهله لاستخدام تلك (النذالات) في سلوكه وتعامله مع الأحرار والخيرين من ابناء شعبه . ولنصغي لسعدي وهو يصيح بصوته الجهوري الذي اكتسبه من الصحراء والأراضي المفتوحة على ضفاف الفرات يغني من الفولكلور المجهول القائل متأثراً أحياناً بأصوات (جويسم و گرير). وهما من المغنين الشعبيين الذين عرفهم في أهوار العمارة / محافظة ميسان :-

يـــا شـــين الأطبـــاع گلبـــك لليضـــدك هـــو
ومـــودع ابلـــيس كـــل مـــن للـــردايا هـــو
يـــدّعي العليـــا ولا هـــو مـــن اهلهـــا هـــو
واللـــه مـــا يـــوم(ن) تلفـــظ لسانـــو عـــدل
مغـــرور مـــا يـــنفعش ويـــاه عـــذل وعـــدل
گالوا لابـو الجنيـب خايـب مـا تمشـي عـدل
گـال احنــه انــذال والنوبــه شــگفنه هــوا

ترى . . كم هو مر هذا الزمن الذي يدع مرهفاً كسعدي يتلفظ بما لا يفهم (الأنذال) سواه ولا يود هو ان يتلفظ بمثله ، وما اضطره اليه الا تيقنه ان لا سبيل للتفاهم مع السيئين بغير لغتهم فما على الشعب الا مهاجمتهم بأقذع من هذا وأكثر. وسعدي الذي امتلك الأصالة في اداء الغناء الشعبي والبدوي بكل الوانه وقوالبه لم تأته اعتباطاً ولا صدفة وإنما وصلت اليه من خلال ملازمته لمحبي هذا النوع من الغناء في شبابه وكهولته بعد ان تربّى عليه كما يقول هو

(مذ كان في الثالثة من العمر عندما بدأ بمحاكاة طريقة جده في تلاوته للقرآن الكريم وطريقة صلاته وتمتماته وكيفية نطقه الحروف وإداء الكلمات). لقد تعلمت – يقول سعدي – في نفس المصدر (أن أغني كما يغني أهل الريف.. أضغط على حنجرتي واخرج صوتاً يطرب له المحيطون بي ، وتعلمت من البدو كيف يخرجون الصوت من الصدر وهم يغنون مع (الربابة) اغاني السامري . وحين دخلت بغداد وأتقنت الأنجليزية فتحت لي عالماً جديداً ووقعت من خلاله على كتب علمتني كيف أطوّر لياقتي الصوتية فدخلت مرحلة جديدة رفعت من قدرتي وميزتني عن الكثيرين من المحترفين في الغناء العراقي).

(لقد جسدت حنجرة سعدي الحديثي غناء المنطقة الغربية) لا حديثة فحسب بما قدمه من الوان غنائية شائعة في أعالي الفرات وباديتها بدءاً بالنايل والسويحلي مروراً بالعتابة والزهيري ثم القصيد البدوي بكل أنواعه من حداء وهجيني وسامري كان فيها أقرب الى البدوي من أهل البادية . وكان وما زال يظن به من يسمعه سليل اسرة بدوية عاشت الصحراء بكل تفاصيلها . بعنفوانها وقسوتها . ولكي يؤكد سعدي تلك الرؤيا لدى سامعيه تخلى نهائياً عن الآلة الموسيقية البدوية (الربابة) واعتمد صوته وحسب معززاً ذلك الصوت الصحراوي بقصد الوصول الى متلقيه بشروح موجزة لما يريد تقديمه من نصوص غنائية تبدو غامضة وصعبة الفهم من ابناء الحاضرة لو لم يرفقها سعدي ويسبقها أحياناً بتلك البيانات سواء لحادث زامن النص او سبقه او كان سبباً لوجوده في الأساس . وسعدي المغني لا ينفصل عن الناقد الأدبي المملوء بالموسيقى و(الباحث في اوراق التراث العربي والانساني) الذي استطاع بثقافته الاجتماعية العامة الموروثة من فصول (الانشاد الديني في الاحتفالات الدينية في تكية الشيخ خيرالله في ليالي الجمع) المهذبة والمعززة فيما بعد بما درسه اكاديمياً طيلة مراحل حياته، حياته في الجامعات او القراءات الخاصة به والاطلاع الواسع على التراث الانساني باللغة الانجليزية التي يتقنها ، وبفضل إتقانه إياها درس واستفاد وأفاد وخرج علينا بتفرد شد أسماعنا اذا غنى او تحدث او شارك سواه بما يقدم من فعاليات ، ولا أجمل من مشاركته لصوت الشاعر مظفر النواب الذي يشكل وإياه ثنائياً يمثلان من خلاله ارتباط الغرب بالجنوب والفرات

بدجلة والفن بالفن ليخرجا اذا حضرا معا اروع لوحات فنية ستخلد ما دام هناك متذوقاً للفن ودارساً محايداً له أياً كان اتجاهه اذ انهما وباتحاد صوتيهما (قادران على إيقاظ القلوب المحبوسة في سجن هو الأكثر رهبة في العالم) كما يقول المحامي نصيف الحجاج . وحين يخص نصيف الحجاج سجناً بعينه ويعني به سجن (نقرة السلمان) في مقولته أرى انها تمتد لتوقظ كل قلب سجين في همومه على تراب هذا العراق الناضح بالألم حتى وإن كان في الظاهر طليقاً .

الخاتمة

لم يتبق عندي ما أضيفه أكثر مما كتبت لأني عاجز عن إيفاء الدكتور سعدي الحديثي حقه في ظل شحة المصادر غير اني أرى نفسي مقصراً اذا ما انهيت بحثي هذا دون الاشارة الى ما سعدي في غنى عنه بخصوص تحصيله العلمي وتدرجه فيه مذ درس الفولكلور الشعبي وسر الأدب الانجليزي في جامعة بغداد (1970م) ثم حصوله على الماجستير في الأدب الانجليزي من جامعة ليدز في المملكة المتحدة ثم نيله لشهادة الدكتوراه في اللغة العربية على رسالته الموسومة (الشعر العربي وأغاني الدبكات في أعالي الفرات) من جامعة لندن وطبع في دولة قطر باللغة الانجليزية ، وكان قد سبق لسعدي ان طبع في عام 1981م اسطوانتيه المسجلتان بصوته مرفقتان بكراسين توضيحيين تحت عنوان (سونگ فروم اراك) سعدي و سعدي باللغتين

العربية والانجليزية في لندن ، كما ان له الكثير من الاسهامات الصحفية اذ نشر تحت زاوية (نافذة) في مجلة (المرأة اليوم) الصادرة في ابو ظبي (87) حلقة تناول فيها مواضيع تراثية اختصت بالتعريف بالمعلومة التراثية حصراً ، و(60) موضوعاً عن الأمثال الشعبية نشرت في جريدة (الاتحاد)الاماراتية في ابو ظبي اضافة لمقالة رائدة عن البئر (البير) وتوظيفه كمسرح لأحداث عالجها في مجلة (انكست) الأمريكية وباللغة الانجليزية مع (91) حلقة اذاعية عن الأغنية العراقية اذيعت اوائل التسعينات من اذاعة (صوت أمريكا) . عدا الكم الكبير من المحاضرات في الادب والتراث والفولكلور قدمت في مختلف عواصم الغرب

والخليج العربي لم يتسنى لنا الاطلاع عليها (وما زال وسيبقى سعدي ذلك الرمز الوطني الابداعي الذي من حقنا ان نفخر به). ونحن في نهاية المطاف ليس لنا إلا ان نطمئنه ان (عابر الليل) لا بد له ان (يرد) ويعود مزهواً بانجازاته حتى وان داخله الشك في ذلك وحتى دون تأكيده للأمر في مواله الذي قال فيه :-

يـــا عـابــــر الليـــل لديـــار الأحبـــه تـــــرد

مــا تگبــل الــروح عــن اللـي تريــده تــرد

گلهـــم لاهلنـــه ريـــام العـــل منـــابع تـــرد

مــــا تشـــرب المــــاي الا رايـــگ وجـــاري

وآنــا علــى الـــدوم حـــافظ لابتـي وجـــاري

لا آگـــول ويلـــي ولا اشـــچي العلـــي جـــاري

مطّمـــن ومعتقـــد ذيـــچ الليـــالي تـــرد

ونحن ايظا في الختام نطمئن استاذنا وفخر عراقنا ان لا بد لليالينا ان تعود كما كانت واننا سنظل حافظين للعهد معك على ان نعلي صوتنا الى جانب صوتك داعين لعالم حر ووطن آمن وأيام سعادة نضخ الدم في سبيل الوصول اليها عاجلاً أم آجلاً .

من شعراء حديثة الشعبيين•

ابراهيم داود الدللي

(زهيريات)

هو ابراهيم داود الدللي .. شيخ ورئيس عشيرة آل جعفر ومن أعلام حديثة المبرزين . ولد في حديثة عام 1830م وتوفي في بغداد ودفن في مقبرة الشيخ معروف سنة 1912 م ، ولوفاته حكاية من المفيد ذكرها تتلخص بدخوله في دعوى ملكية ضد الحكومة العراقية بغية استرجاع قرية (طرطاسية) الى آل جعفر (ملاكها الاصليين) بعد ان ضمتها الحكومة آنذاك الى أراضيها الأميرية سنة وفاته حيث استعان على قضيته بزوج رضيعته (شمسه) الحاج احمد مصطفى عبد الغني آل جميل وأولاده ، وهو من وجهاء بغداد ورجال ذلك العصر . إلا انهما معاً فشلا في هذا الأمر بعد ما بذلاه من جهد قد ينقصه الجد من قبل أولاد الحاج احمد الجميل ، وفي طريق عودتهما الى البيت بعد خروجهما من دار القضاء وهما يجران اذيال الخيبة أث خسارتهما للدعوى المذكورة مرّا بأطفال يلعبون الكرة ويهزجون حين تصيب الكرة احدهم (طاح بالميدان طاح) ... فاستفسر الحاج احمد من ابراهيم مداعباً عما يعنيه الاطفال في اهزوجتهم ؟! فما كان من ابراهيم إلا إجابته بانفعال انهم يقولون :-

هنا يهل تمشون ... گالولي : بلى
گلت متمرون ؟! ... گالولي : فلا
گبل لو مريت ... گالولي : هلا
واليوم گالوا : فوت ، وكتك راح
طاح بالميدان طاح

فما كان من احمد الجميل إلا ان انتفض وقد عظم عليه الأمر وفهم مغزى ما قاله صاحبه فأقسم أن لن يدعه يغادر بغداد قبل ان يحصل له على

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 16 لشهر آب 2020 م

مراده ولن يحول دون ذلك حائل . وفعلاً جد في الطلب ثانية وكسب الدعوى وحصل على اوراق الطابو في الايام التالية وسلمها بيد ابراهيم الذي وافته المنية في نفس اليوم .

كان المرحوم ابراهيم ال جعفر وهو جد الشاعر سليم العبدالله سيد المنطقة . ورث الرئاسة عن أبيه عن جده وأورثها لولده جدنا المرحوم دللي ابراهيم الذي صار كأبيه ممن يشار اليهم بالبنان حيث الكرم الطاغي والرجولة الحقة .

درس ابراهيم داود الدللي في (استانبول) عاصمة الخلافة العثمانية بعد ان رشحه الوالي العثماني كونه من أبناء الأسر الكبيرة المنحدرة من سلالة (آل علي) أمراء حائل قبل ان تؤول الامارة الى أبناء عمومتهم من (آل رشيد) والاثنان من (الجعفر) من (شمر عبده) . عين بعد اكماله الدراسة وعودته الى العراق مديراً لناحية (كبيسة) في لواء الدليم (محافظة الانبار حالياً) وعاش فيها قصة حب مع امرأة من هناك كتب فيها الكثير من الموليا والميمر والزهيري والعتابة ، ثم نقل مديراً لناحية (منصورية الجبل) في لواء ديالى وتوفي في بغداد كما أسلفنا عن عمر يناهز الثمانين عاماً ، وقد ضاع معظم ماكتبه لعدم تدوينه ، ومن شعره الذي حصلنا عليه مما احتفظت به ذاكرة أحفاده عن آبائهم النصوص الاتية من الزهيري وهي غيظ من فيض عسى أن نوفق في الوصول الى بقاياها ومن طريف شعره قوله في الموليا متحدثا عن حبيبته في (كبيسة) :-

ابراهيم نايم عليل اعله الوساده يعن
من اجل ريم الغزال الوارده عالعين
حاچيتها بالترك وتگول (سكتر سن)
بالك طريج الهوى تگرب محاريه

ومعنى البيت :- (ان ابراهيم عليل يئن على وسادته بسبب الغزال (كناية عن الحبيبة) الذي ورد عين الماء شارباً . لقد حدثتها باللغة التركية فاجابتني بنفس اللغة – سكتر سن – أي أنت اسكت ، سكتر: اسكت / سن: انت .. وإياك من طريق الحب او ان تقرب من محله) .

اضافة الى محاوراته مع الملا حبيب النصار النعيمي الداهري في الميمر وسبق ان اشرنا اليها في موضوعنا (المساجلات في الشعر العامي الحديثي) المنشور في العدد (12/شهر نيسان/2020م) من هذه المجلة .. أما الآن فسنقتصر من شعره على خمسة ابيات من الزهيري هي كل ما وصلنا من زهيرياته علماً انها نشرت في كتاب موالات بغدادية للاستاذ عامر رشيد السامرائي الصادر عن دار الحرية للطباعة سنة 1974 م وفي الصفحات (58-210-216-232-291) مع تحريف في بعضها على انها لمجهول ، وهي :-

غـــرٍ چمـــا البـــان خـــده وانتثـــر لالـــه

والـــدر مـــن مبســـمه يحچـي بســـمت لالــه

گلــت الوصــل حــل ؟ گالــت يــا فتـى لا لا

گلــت ارحمــي حــال شــوگي والــدمع منهلـي

گــالت : عفيفـــه وحاچـــي للبـــدر منهـــل

ردت اتبــع هــواك لكــن خايفــه مــن هلـي

أهلـــي كـــرام وبيهـــم مـــا تجـــد لالـــه

شرح المعاني : لاله : لمع وتلألأ / لاله : لؤلؤ / لا لا : لا النافية / منهلي : منهمر / منهل : حين هل واشرق / من هلي : من أهلي / لاله : عيب (لوله) .

غـــر صـــدفني بوجناتـــه ذهـــب وامـــره

والصـــاحب الـــزين آنـــه بطاعتـــه وامـــره

هـــو الفتـــني وفـــت حشاشـــتي وامـــره

يــا مــا زهــا لـي علـى خــدوده ورود البــان

ومحاســنه يــا خلــگ شــبه البــدر لــو بــان

طابــن جـــروح الگلـــب لمـــا وليفـــي بـــان

گصـــدي أنـــا ازور عتبـــات الزچـي وامـــره

شرح المعاني: وامره : مرآة / وآمره : طوع أمره / وامره : المرارة (مرارتي) .. وحشاشتي : روحي / البان : ورود البان / لو بان : اذا ظهر وأشرق نوره / بان : ظهر امامي / وأمره : أستأنس به .. والزچي : الزكي الجميل .

غـــر صـــدفني بوجناتـــه ذهـــب لا حـــل
ولغيـــر بـــدنك أبـــد لـــبس الحلـي لا حـــل
أبـــدت شمســـنه بغياهـــب للجعـــد لا حـــل
يـذهب عگـول الخلـگ مـن مبسـمه والشـفه
لــو رشــف ريجــه العليــل أبــره منــه وشــفه
ناديــت الــه بالنبـي كتــاب النهــد والشــفه
گلــي محــــرم تشـــوفه وبالشـــرع لا حـــل

شرح المعاني: لاحل : لاح لي / لا حل : لا يحلو / لاحل : إذا حل ظفائره / والشفه : شفتاه / شفه : تشافى العليل من علته / وشّفه : أي شيء فيه (دعني اراه واكتشفه) / لاحل : لا يحل لك لأن الشرع حرمه .

***

غـــر دعـــاني بطـــول الليـــل وعيانـــي
بهـــواه عيّـــا جميـــع النـــاس وعيانـــي
وبنـــور حســـنه عميـــت الگلـــب وعيـــاني
لـولاك مـا سـال دمعي على خـدودي وهـل
ثــوب اصــطباري تمــزگ بــي زمــاني وهــل
يــا بعــد گــومي وگــوم اليبغضونــي وهــل
بهـــواك چـــم ابتلـــت عگّـــال وعيانـــي

شرح المعاني : وعياني : واع ومستيقظ / وعياني : أتعبني / وعياني : عيوني / هل : إنسكب وانهمر / وهل : اصبح مهلهلا .. وتمزگ : تمزق / وهل : أهل .. قوم واهل من يبغضوني / الأعيان : ذوي الشأن .. وعگّال : العقلاء .

***

غـــر ســـلب مهجـــتي والـــروح ناربهـــا

حســـنه جـــلا ليلـــة الظلمـــه ونـــار بهـــا

لمـــين أرى كســـرة عيونـــه ونـــار بهـــا

أضـــحي قتـــيلاً بســـيف لـــواحظه وجنـــاه

مـــا اظـــن رضـــوان خـــازن بالخلـــد وجنـــاه

لمـــن شـــليت البـــراكع مـــن علـــى وجنـــاه

جـــل الصـــنعها شـــفت جنـــه ونـــار بهـــا

(جبة) .. وثلاثة من شعرائها•

..وانا اتصفح اوراقي المبعثرة في مكتبتي وجدت ضمنها مجموعة من القصائد البدوية (گصيد) التي تعود لشعراء من (جبّة) ، القرية الانبارية الفراتية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ فرأيت ان اكتب بها موضوعاً توثيقياً لشعر بدوي في طريقه الى الضياع ان ظل معتمداً على النقل الشفاهي عند بعض محبي الشعر البدوي مجهولاً عند الآخرين . وقد ارتأيت عرض هذه القصائد او مقاطع منها من باب التذكير بهذا الشعر وتوثيقه ليطلع عليه عشاق الشعر البدوي قبل ان يطويه النسيان لانصراف الجيل الجديد عنه وتقصير المختصين اتجاهه متمنياً لو تصدى للموضوع سواي من اهل (جبة) حيث يكون اكثر دراية ومعرفة بالشعراء موضوع البحث واحوالهم وحياتهم ونشاطاتهم ، وبما ان هذا لم يحدث حتى الساعة فما علي إلا البدء بما ارتأيت معتمداً القصائد التي في حوزتي وهي مما اخذتها عن الاستاذ سعيد عفر عماش العبيدي قبل سنين في لقاء جمعتني به الصدفة لا غير .. وبهذا يكون له الفضل فيما ادونه من النصوص التي سترد ضمن الحديث ، ولا اخفي اني فكرت بالتوسع في هذا المجال من خلال معالجة الشعر الشعبي باللهجة العامية لشعراء المنطقة خاصة وقد كان من بين شعراء القصائد التي تحت يدي واحد من شعراء العامية ممن تحتفظ ذاكرتي بنتف من اشعار له كان يطلقها مناكفاً او ساخراً لا جاداً واعني به المرحوم (علي السمرمد) وهو من اصدقاء والدي رحمهما الله وان كنت لم اره او التقي به ، غير اني عرفت واحدا من ابناءه وهو المرحوم (كهلان) الذي اجاد مع اخيه (كرب) قرض الشعر البدوي حصراً ولا احتفظ بنتاج اي منهما . وقبل الخوض في الموضوع شعرياً أرى من المهم التعريف بقرية (جبة) التي كانت ابان الحكم العثماني للعراق مركزاً لناحية تابعة لقضاء عانة ، أما الان فهي ملحقة إداريا بناحية البغدادي التابع لقضاء هيت وتبعد عنه بـ (50) كم تقريبا وكان أول مدير

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 18لشهر تشرين اول 2020 م

ناحية لها على ما تذكر الوثائق العثمانية السيد (عبد الغفور افندي) عام 1292م . أما عن جبة جغرافياً فهي جزيرة تقع وسط نهر الفرات ولا تزيد مساحتها عن الكيلو متر واحد او اكثر بقليل طولا و (150) م عرضاً يحيط بها الماء من جهاتها الاربع وان كان يضيق في جانبها الجزري حتى لتكاد تبدو وكانها ملتصقة بالارض الجزرية في جنوبها مما يضطر ماء النهر الى العودة شمالاً والاستدارة الى الجانب الشامي فيخيل للرائي ان النهر في تلك النقطة يسير عكس اتجاهه ، وقد اتسعت (جبة) القديمة اي (الجزيرة) عبر النهر الى جانبيها الجزري والشامي على السواء بعد ان غادرها اهلها الاصليين إلا القليل منهم ممن تمسك بها وببساتين النخيل التي تكتظ بها ، ومن معالمها بقايا قلعتها ومنارة جامعها التاريخية التي ظلت صامدة معلنة عن هوية المدينة الى ان قام الدواعش بتفجيرها قبل بضع سنين ، ويبلغ عدد سكانها اليوم حوالي (20000) الف نسمة تنتمي لعشائر وبيوتات مختلفة أبرزها (العبيد) الذين يمثلون سكانها الاصليين بشكل اكثر بروزاً ، ومنهم ايضا الشعراء الذين سيرد ذكرهم لاحقاً ، وهي اليوم وكما اسلفنا ملحقة بناحية البغدادي التي تعد حديثة التكوين اذ نشأت في أواخر العهد العثماني حين أقام فيها رجل قدم من بغداد وافتتح فيها وبالقرب من مخفر شرطتها (خاناً) ومحطة استراحة للمسافرين بين العراق والشام مروراً بحديثة التي تبعد عنه (30) كم ثم عانة والقائم قبل دخولهم الحدود السورية سمي بخان البغدادي ومنه اتخذت المدينة اسمها. وقد تميز رجال (جبة) بالتفوق العلمي والتنور الفكري والسياسي وبرز فيها رجال وأعلام في مجالات متعددة . أما لغوياً فجبة تعني الثوب الواسع العريض المفتوح من الامام وهو مما يرتديه خطباء الجوامع سابقاً فوق ملابسهم ، وجبة الدار وسطه ، وجبة الفارس درعه وهذا معروف للجميع . وحين الحديث عن جبة يبرز اسم يكاد يشكل دلالة عليها بما كان يتمتع به صاحبه ذا الروح المرحة والطرائف الشعرية الجميلة من سعة في العلاقات وأعني به المرحوم (علي السمرمد) المتوفي عام 1967م عن عمر اقترب من الثمانين عاماً وله ابيات شعرية في النايل وابواب اخرى اذكر منها بيتا صار بمثابة مثلاً يضرب عند الكثيرين حين قال مخاطباً احدهم :-

لولا خوالك عمامك علي ماشحّيت   ماعرّبت بجهلي آنا العليك اخطيت

وألغازه ومحاوراته مع الشاعر حردان الثاري مما ذكرنا بعضها في عدد سابق من أعداد هذه المجلة ، ومنها .. انه مر بصديقه الشاعر حردان الثاري وكان قد اشتغل عاملاً في محطة ك/3 – شركة النفط العراقية بصفة (گريز مان) ورآه منهمكاً في عمله وقد تلوثت ثيابه بالزيت (النفط الاسود) وهو الذي يضرب باناقته المثل فخاطبه قائلاً :-

عگـب الهبـاري الحمـر والكـودري الـداير

بـالحيف يـا ابن الحموله (گريـزمن) صـاير

فما كان من حردان إلا ان يترك عمله ويعود الى بيته وأجواء شلة الشعر التي ما أشبعت جائعاً ...

وله محاورة بين أخوين ليسا بأشقاء حيث يقول على لسان الاول مخاطباً اخيه متباهيا عليه :-

انت خوالك فلح وآني خـوالي شـيوخ   وملبس خوالك هِدم ملبس خوالي چوخ

ويكون الرد على لسان الثاني موجعاً لا مجال لذكره . اما الاطرف من هذا فمحاوراته مع ابن اوى الذي سطا على قطته وقتلها فكان ان نصب الشاعر له شركا واصطاده ثم خاطبه قائلاً :-

بزونتـــي المخلصـــه للفـــار جبناهـــا   لا يا غضيب البخت ليش اتّعشاها؟

* * *

سألتك يواوي الكهف حلّفتك بدنياك   انت كلتها اوحدك لولا الضبع وياك؟

ويجيبه ابن اوى على لسانه هو :

آنـــا كلتهـــا وحـــدي ولحگـــت تاليهـــا   نـايم بخيت الضـبع مالـه غـرض بيهـا

اما وصيته الموجزة ببيتين شعريين ينهي بهما عن الشراء بالدين والآجل ففيهما تشبيه جميل وحكمة بالنهي عن الشراء من الصديق إلا نقداً لأن ذلك قد يكون سبباً في تولد خلاف وقطع تواصل حين يقول :-

لا تدايــــــن مــــــن تــــــودهْ   ينگطـــــع حبــــــل الــــــودادْ

الأخـــــذ مثـــــل المجـــــامع   والـــــوفى مثـــــل الـــــولادْ

وعدا هذه الطرائف الخفيفة لعلي السمرمد رحمه الله ابيات مع الوالد أضعتها مع الكثير الذي ضاع ، غير اني وجدت له بضع قصائد بدوية سلك في واحدة منها وكان فيها متغزلاً طريقة القوافي المتعددة في النظم وحكى فيها عن حب له اضاعه وسرّح على حد قوله (99) راحلة مع ركابها موجهاً كل خمسة منها الى جهة من جهات القبائل باحثاً عمن يحب مبتدءاً إياها بـ :-

شـــدّيت تسعـــهْ وتسعيـــنْ   كلهـــن بكـــارٍ مـزاييـــنْ
هِجّـــو بهـــن يالغلاميـــنْ   كـــل القبايـــل تـــدورن
مـــن ســاس هجـنٍ عريبـاتْ   كلهـــنْ حـــرارٍ ونجيبـــاتْ
يـــدورن ديـــارٍ بعيـــداتْ   خفـگ الگطـا يـوم طـارنْ
خمسـهْ يـروحن لاخـو نـوره   تـدور حايـل مـع گصـوره
بظنّتـــي غـــاد مـذكـــوره   مرشـوشـــةٍ بالهيـل والـــبنْ

وحين يتم توجيه الضعائن خمسة في كل اتجاه تكون المفاجئة في نهاية القصيدة حين يجد ان المطلوب موجود في ديرته :

ســجّـــــن ودارن ركايبنـــــهْ   ولا دعيـــت ديـــره تعتـــب إلنـــهْ
ثـــاري النـــريده گـــريب منّـــهْ   متمديـــــنٍ بـــــي منازلنـــــهْ

ولعلي السمرمد غير هذه قصيدة من (22) بيتا قالها معاتباً الشيخ درچ نجرس الگعود شيخ البو نمر في قالة بلغته عنه ومفاخراً بنسبه وبأنه من اخوالهم ومنها :-

يراچـب الحمـره الطويلـه الاصـيلهْ   من ساس هجنٍ عربوهن من عمان
تلفـي علـى اللـي يكسـرون المغيـره   اهـل البيـوت البـن بـه تگل ضلعان
لا يـا (درچ) جتنـه عليكـم نچيلـه   مـدري صحيحٍ والّـه تگاويـل چذبـان
منتـــو مـــن اللـي يعلجـون الفتيلـه   وحـذراك تثلم بيـه محاليـف الديـان
ونچـان تنهـى عـن نفـالي جزيـــره   علـم بعيـد ويعـل الشيـخ فشـــلان
حنـّه خـــوالك موسعيـن النفيلـه   وعالـي نسبنـه من مـواريث گحطان
ولونـا گلايـل چاســبين الجميلـه   انهـج وانشـد مـن تـواليك عـربان
والـــه المخســّه ماندانـــي ســــبيله   (عيب على الرجـل يتخفى اليابـان)

اما من شعره في الرثاء فقد قال حين بلغه نبأ وفاة الشيخ عبدالرزاق علي سليمان شيخ عموم الدليم أوائل ستينات القرن الماضي قصيدة نقتبس منها:

عيوني سهارى وعن كرى النوم تسهر   گلبـي بـلاه صايباتـه الهـودي
شبه الحرير اللي على الشوك منشر   لمّـوه سـرعة وصـايرٍ بـه سـرودي
علـوم اللفنّـه مـا بها الگلب يسـتـر   وأحـوه بعلـم الشـيخ حـرّگ كبـودي
على ابـو حاتـم وهـو حاتـم اليـذكـر   علمـه جـزا البحـرين وابـن السـعودي
يـا ليث يـا لايـوث يـا شـبل ياغضـنفر   ومـا خلفـة السـيدان إلا الاسـود

وعلي سمرمد من عائلة شاعرة فهو كما اسلفنا أب للشعراء وابن لشاعر كبير هو المرحوم سمرمد عبدالمجيد الشاوش الذي ترك فيما ترك قصيدة جميلة تضارع وتحاكي قصيدة صگار الكبيسي الشهيرة في حادثة البدو الذين خاصموا الدليم وموضوع التجائهم الى كبيسة حيث كان للقصيدة الأثر المباشر في إيقاف محاولات الدليم الاقتصاص منهم ومطلعها :-

ياراچب الحمرة من الهجن مذعار   والگـه غـلام ليوصـل الهـرج منّـه

ومنها البيت الشهير الذي سار مسار الامثال :

ترى الخوي والضيف والثالث الجار   مثـل الصـلا مـابين فـرض وسـنة

اما سمرمد الذي خاطب الشيخ عمر علي السعدون من شيوخ العبيد في الحويجة موطنهم الاصلي سنة 1905م نتيجة معاناة شبيهة بمعاناة صگار التي حدت به لمخاطبة علي سليمان شيخ الدليم بالقصيدة المشار اليها وبقافية مشابهة ومفردات ومعاناة واحدة تقريبا وعنها (القصيدة) افادني الاستاذ ابو مؤيد (سعيد عفر العبيدي) نقلا عن كهلان علي السمرمد من أن جده الشاعر قد رفعها الى الشيخ عمر في حويجة كركوك شاك له من خلالها ومعرضاً بأقاربه من فخذ البوغنام ورئيسهم إذ هاجموا أغراباً من البدو نزلوا جوار الشاعر وسلبوا مالهم من حلال وماشية ، وقد نهج السمرمد في قصيدته المكونة من (24) بيتا نهج صگار وحاكاه في قصيدته التي تتفق معها بقافيتها الرئيسية وتختلف عنها بقافية الشطر اذ يستخدم الاول الراء الساكنة (خطار) في حين يستخدم السمرمد قافية السين الساكنة (الناس) وفي ادناه ابيات من قصيدته تلك :

بديت باللي يرزگ الجن والناس وعضاي كلهن بالذچر يشهدنهْ
وخلاف ذا يراچبن فوگ نسناس زاهي دلاله للغوه زيننهْ
يلفن لبو كريم وحاچه من الراس يسلم ويرجا بيه حسن المظنّهْ
تلگه دلال ساجرات ومحماس ونجرن على حسه يجي التايهنه
يا عمر مشچاي بالگلب هوجاس وچن المحاور بالحشا لذّعنه
اللي تخبرهم ما تمعنو بنوماس ورادوا شلاية جارنه غصب عنّه
وليا عطينه الجار محنه من الناس آيي الردى يا شيخ منهم ومنّهْ
وحاموا علينه حومة الطير مرفاس نزع المكنزي والردى يرعبنهْ
وصحنه بلغانه ياالعبد يهل الباس بلچي نگول آذانهم يسمعنّهْ
وصحنه عليهم صيحة تذهل الراس وردّن مجافي چنهن ما غزنّه
ونّيت ونة من طوى الصبر بالياس وشين الليالي بالغرب ودعنّه
والبارحه چنّي على النار حمّاس ولا من ذهين اليفهگ النار عنّه
حنّه خوال العرب من كل جرناس وليا مشينه ركب الجموع الحگنّه
راحوا ملوك هم جَدوتْ هل الباس الله يغمدهم ايمانٍ بجنّه

الى اخر القصيدة التي ما كانت دون جودة قصيدته الاخرى التي قالها مفاخرا ومنها :

يا الله يا مدبّر الهبايب والارياح يا مدعي الهزله ردومٍ تشيلي
جتنه جموع وخذتنا بالصياح نزع الفرنجي والجرفتي حويلي
گامو عليهم لابتي بمدد وسلاح ليا ما غدا دم النشامى يسيلي
يا صيحتي ما صاحها كل ما صاح لا بدور ابوي ودور جدي وجيلي
صحت العبد يحماة زينات المراح يلّي جمعكم بالحرب ما يميلي
حا ربعي مروية البنادق والرماح شيالة بالكون حملٍ ثجيلي

وبعيداً عن آل سمرمد وشعرائها نقرأ للشاعر عبدالله احمد المرهج وهو من الرجال الذين يتصفون بالحكمة والذكاء والشاعرية وكان قد شغل منصب المختارية في جبة لسنين نال فيها ثقة أهلها وحبهم كونه من أصحاب المواقف الرجولية والوطنية قبل ان يتوفاه الله الى رحمته بعد احتلال البلد وتجاوزه

الثمانون من عمره وله قصائد عديدة منها قصيدته التي وجهها الى الشيخ ناظم العاصي شيخ العبيد ذات يوم ناصحا ومنها :-

ديارك‍ـم ص‍ـارت مطامي‍ـع للن‍ـاس   وش‍ـباب م‍ـن لاب‍ـاتكم ساع‍ـدنّهْ
يناظ‍ـم اح‍ـذرلا تراخ‍ـي لح‍ـوّاس   يصاح‍ـب البي‍ـرگ يازي‍ـن ت‍ـونّهْ
يراع‍ـي النام‍ـوس يصاح‍ـب الباس   طي‍ـب ومراج‍ـل بالديان‍ـه تعنّ‍ـهْ
المثلكم يا ش‍ـيخ ه‍ـو گ‍ـدوة الناس   بظ‍ـلال س‍ـيفك ف‍ـاح ن‍ـورٍ بجن‍ـه
عي‍ـال العب‍ـد جيش‍ـك ش‍ـديدين   الي‍ـا ارع‍ـد البرن‍ـو واجله‍ـن تدنّ‍ـه
جت البيارج م‍ـن غريبات الاجناس   ع‍ـين الص‍ـليب وزود برن‍ـو حملن‍ـه
حنّه التع‍ـودنه على صف‍ـرال‍ـرماس   نتن‍ـه كب‍ـار شيوخن‍ـه تامرنّ‍ـه
عدنه جموع بصدر حوران نحتاس   ش‍ـالت كم‍ـالي والص‍ـلايب حملن‍ـه
تفزع اليا طبل الحرب دگ بالساس   ولازم ن‍ـزور ديارن‍ـه وه‍ـذي س‍ـنّه
نبي العيش وندهگ الجمع بم‍ـراس   ودگ النج‍ـر ب‍ـي ن‍ـزلهم جن‍ـة الن‍ـه

وللشاعر ذاته اخيراً حين نعي اليه في جبة حيث يقيم ، الشيخ مزهر العاصي مرثاة حزينة نقتبس منها :

غ‍ـاب ال‍ـذي باج‍ـي للاجي‍ـال تذك‍ـار   رم‍ـز العبي‍ـد ولجله‍ـم دوم يسه‍ـر
ليا صارت الفتنه وعلا صوت الاشرار   عج‍ـل يطف‍ـي ناره‍ـا ويتع‍ـذّر
يالعبد خوذوا م‍ـن سجاياه مگ‍ـدار   م‍ـن مع‍ـدن الطيبات ذك‍ـره تعطّ‍ـر
يبچي الف‍ـرات ونه‍ـر دجل‍ـة وس‍ـنجار   ويبچي الش‍ـمال وزابه‍ـا ل‍ـو تح‍ـدّر
وتبچي عليه الش‍ـام وبغ‍ـداد وگط‍ـار   ي‍ـوم الفجيع‍ـه الما بها الناس تستر
م‍ـن يام‍ـن الدنيا وگ‍ـع بي‍ـد غ‍ـدار   ولي‍ـا صف‍ـا ب‍ـاب اللي‍ـالي تك‍ـدّر
وي‍ـن المل‍ـوك وي‍ـن عالي‍ـن الاذك‍ـار   وي‍ـا م‍ـا تهدم گص‍ـر بصيته تعمّ‍ـر
ل‍ـو نذك‍ـر الف‍ـرس‍ـان ونع‍ـد م‍ـا ص‍ـار   ص‍ـارت ملاح‍ـم ب‍ـذچرها دوم نفخ‍ـر
الل‍ـه ك‍ـريم العال‍ـم بك‍ـل الاس‍ـرار   الغ‍ـاف‍ـر ال‍ـزلات لل‍ـي تع‍ـذّر

.. وبمقطوعتي الشاعر عبدالله المرهج نختم لمن مر ذكرهم بالدعاء .. ولصدى الريف بالقبول والرواج وسعة الانتشار.

الرطبة .. مدينة الوفاء وملاذ الغرباء•

لأهل الرطبة الطيبين ومدينتهم التي دخلتها مهموماً
وخرجت منها سعيداً وممتناً ، وحاولت رد الفضل
اليها فعجزت ... أهدي هذه الصفحات -

تمهيد

الرطبة .. المدينة العراقية الواقعة في اقصى العراق غرباً قضاء تابع لمحافظة الانبار ، وهي ليست كغيرها أو كأخواتها من مدن الانبار ذات تأريخ عميق بل تكاد تكون مدينة مستحدثة يرجع تكوينها ونشأتها الى بداية القرن العشرين وتحديداً عام 1921م حيث بدأ ببناء أول وحدة عمرانية تمثلت في (القلعة) التي أسستها دولة الاحتلال الانجليزي لتتخذ منها مركزاً حكومياً و(شرطياً) تسيطر من خلاله على حركة البدو في الصحراء الغربية وتنقلاتهم بين مدن وأقاليم العراق والمنطقة المحادّة له . أما قبل هذا التاريخ فقد كانت الرطبة عبارة عن نقطة تجمع لأهل البادية في مواسم الربيع وسقوط الأمطار مستفيدين من تجمعات المياه التي تنتج عن سيول وادي حوران وتوابعه كما كانت تمثل ملتقى للقوافل المسافرة بين الشام والعراق ، وبقيام هذه القلعة بدأت تتشكل نواة لمدينة صارت الى ما هي عليه الان ، وبجانب هذا المبنى أنشأ احد الوافدين اليها العاملين في المبنى حانوتاً صغيراً من الصفيح تطور الى مقهى ومطعم واستمر على ذلك لحين التحقت به بضع دكاكين صغيرة ثم مجمعاً سكنياً فمدينة جاذبة بعد ان كانت هذه النقطة المسماة بالرطبة (مناخاً) ومستراحاً للبدو وإبلهم حول واحات مائية تتجمع في منخفضات (وادي حوران) اثر فيضاناته التي كانت تجيء عارمة مدمرة في كثير من الأحيان لسعة هذا الوادي وامتداده الى الاراضي السعودية وبلاد الشام عبر تفرعاته وروافده التي تضخ له الكثير من المياه لتجعل منه نهرا عارما ايام الربيع ومواسم الامطار في المنطقة .

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 20 لشهر كانون ا

نشأة المدينة وتسميتها :-

جاء في الدليل الاداري لقائممقامية قضاء الرطبة ان تسمية المنطقة بالرطبة يعود الى عشائر (الرطوب) إحدى تفرعات قبائل الخوالد (بني خالد) الشامية التي كانت تقطن المنطقة ، وقد أخذ (الرطوب) تسميتهم عن امرأة بدوية اسمها (ارطيبه) وهي أم لأبناء حملوا اسمها فقيل عنهم (أبناء ارطيبه) و(آل ارطبه) ثم (الرطوب)- كما افادني احد ابناء المنطقة الاخ ناصر الشواف او (ذاكرة الرطبة) كما يحلو لي ان اسميه - وهم اول من امتلك بئراً على ضفة وادي حوران شمال القلعة وقد دفن فيما بعد لاعتراضه طريقاً عاماً صار ضمنه ، غير ان لبعض المعمرين من اهل المدينة وقد التقيت بهم رأي مخالف لذلك اذ يرجعون التسمية الى تمتع المنطقة بأجواء تغلب عليها الرطوبة في معظم فصول السنة رغم ارتفاع اراضيها نسبياً (يبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر 645 متر) ، وخاصة في مواسم الامطار وبدايات الصيف نتيجة لفيضانات وادي حوران ووفرة الاعشاب والنباتات البرية في المنطقة وحولها نتاج تشكل المسطحات المائية الصغيرة والمتوسطة التي تعمل على جذب أهل البادية (البدو) اليها وتمركزهم حولها قادمين من الدول المجاورة لتحدد أماكن إقامتهم تبعاً لانتمائهم القبلي والعشائري ، فهنا (الرولة) وهناك (الصلبة) وفي المكان الفلاني (الخوالد) وسواهم من اهل البادية الذين يتمركزون متقاربين حول منطقة تسمى (المناخ) وهو مكان يقع على حافة وادي حوران اليمنى وقد اقيم عليه فيما بعد (الجامع الكبير) وتعني الكلمة مكان إناخة الابل وتجمعها.

مما تقدم نخلص الى أن تسمية (الرطبة) توزعت بين رأيين مقبولين هما (الرطوبة) و (الرطوب) . أما أول وحدة عمرانية قائمة بجدر وسقوف نظامية فيها فقد تم افتتاحها عام 1926م واعني بها (القلعة) التي تم افتتاحها واتخاذها مقراً لمفارز الشرطة والعسكر الانجليزي وحاكمهم العسكري ودار استراحتهم حين عبورهم الى شرق الاردن وفلسطين ومدن الشام وقد اصبحت وكما أشار المرحوم عبد الجبار الراوي في كتابه (البادية) الصادر عن دار دجلة للطباعة والنشر في بغداد عام 1947م مركزاً لإدارة شرطة البادية الشمالية عام 1929م وكان لمدير

الشرطة من الصلاحيات ما يجعل أحكامه قطعية لا تقبل الاستئناف وتسري على البدو الرحل فقط بينما يحال ما يخص اهل الحاضرة ممن سكن وأقام في المدينة آنذاك الى محاكم الرمادي مركز اللواء (المحافظة فيما بعد) .

نشأة المدينة وأهميتها :-

اخذت الرطبة بعد ان تكونت وتحولت من مجمع سكني الى قرية كبيرة أهميتها من كونها اقرب نقطة واصلة بين العراق من جهة والدول العربية الواقعة غربها وشمالها فاستغلت مركزاً للگمارك فيما بعد وبني على أطرافها الغربية في أوائل ستينات القرن الماضي مبنى واسعاً وجميلاً استخدم دائرة للگمارك ومكاتب لبعض دوائر الدولة ذات العلاقة بالعمل الگمرگي كشركة التامين الوطنية ومصرف الرافدين ودوائر اخرى اضافة لمكاتب شركات النقل البري (قبل ان يتحول الى خرائب بعد انشاء مجمع طريبيل الحدودي وهجره ثم تعرضه للقصف الجوي في حرب الخليج الثانية وأثناء العمليات الحربية في حرب احتلال العراق عام 2003م) حيث غدت المدينة محطة لتجمع المركبات بعد توسع حركة النقل على الطريق الدولي المبلط بالإسفلت والذي يربطها بمدينة الرمادي وبطول (360) كم وحينها غدت الرطبة مدينة صغيرة او واحة صحراوية جاذبة للسكان حيث يعمل معظم القادمين اليها بالتجارة وتصدير البضائع بطرق مشروعة وغير مشروعة (تهريب .. قجغ) من قبل اهل المنطقة وسواهم .

لقد كان لبناء هذه المنشأة الحكومية ولمن يعمل فيها من موظفين وشرطة وعمال اهليين اضافة لمكاتب شركات النقل ومرائب السيارات (كراجات) أثراً كبيراً شجع الانسان على الاعمار والبناء والاستيطان منتفعاً من خلال ما يقدم من خدمات في البيع والشراء للمقيمين فيها او المسافرين العابرين الحدود والمتخذين منها نقطة استراحة بين العراق ومجاوريه مما جعلها جاذبة للكثير من الباحثين عن عمل او العاملين في التجارة وهذا ما ساعد على فتح الكثير من المطاعم وبعض الفنادق اضافة لدور السكن والمحلات التجارية .

سكان الرطبة الأوائل : -

لعل اول من دخل المدينة وأقام فيها متزامناً مع البدء ببناء القلعة من غير البدو كانوا من اولاد محمود عثمان العاني وهما الأخوان (شكر ، عبد الكريم) اللذان قدما للرطبة من مدينة الرمادي مستقرهم الاول بعد هجرة والدهم محمود العاني اليها قادما من مدينة (عانة) ليساهما ويشاركا عملياً كعمال بناء بأجور يومية في بناء المخفر (القلعة) عام 1921م حيث أقاما عازبين في سقيفة من الصفيح والحجر بجوار مركز العمل ، ثم الحقا بسكنهم وبنفس المواد حانوتاً صغيراً ومقهى استغل للاستراحة وتجمع العاملين والشرطة الموجودين في المنطقة ليتوسع فيما بعد ويدر عليهم ربحاً مادياً دفع بأحدهم الى استقدام عائلته لتكون النواة الاولى لسكان الرطبة حيث اقاموا وما يزال أحفادهم يقيمون فيها . أما اول من دخل الرطبة وسكنها من اهالي مدينة (كبيسة) فهم أفراد من بيت الشواف (جميل ، علي ، فرج) ثم لحق بهم (مجبل الشواف) مصطحباً لعائلته فكان من أوائل من بنى له بيتاً للسكن خلف جامع السوق الذي قام أيضاً ببناء سور له ، ولمجبل ولدت اول مولودة في المدينة الجديدة من غير البدو واطلق عليها اسم (رطيبه .. رطيبه مجبل كسار الشواف) ، ويعد مجيئهم متأخراً قياسا الى عائلة (العاني) ، وبما ان لأهل (كبيسة) دراية اكثر من سواهم بطرق الصحراء ومسالكها والعمل فيها باعتبار مدينتهم هي الاخرى عبارة عن واحة صحراوية اذا ما قورنت بالمدن القريبة منها ك (هيت) المجاورة إياها مثلاً فقد وعى اهل (كبيسة) مبكرين اهمية هذه المنطقة وما في سكنها من فوائد مالية ستدرها عليهم التجارة مع الدول المجاورة بالطرق المشروعة او التهريب (القجغ) كما كان يسمى ولا غرابة في ذلك اذ ان للكبيسيين حس تجاري يتميزون به عن بقية سكان محافظتهم الآخرين ولهم القدرة على التعايش مع اهل البادية اكثر من سواهم لذلك اتجهوا في هجرات منتظمة الى الرطبة فسكنوها ونقلوا لها كل تقاليدهم وشكلوا بوجودهم فيها العنصر الأكثر من سواه من سكان المدن الأخرى . أما من سبق كل من ذكرت من العانيين والكبيسيين في سكن الرطبة فكانت عائلة بدوية من قبيلة (عنزة) انضم كبيرهم (عايض العنزي) الى الشرطة العراقية

في (المخفر) مركز شرطة الرطبة وجاء بعائلته وأقام فيها وهم من يطلق عليهم الان في الرطبة (بيت شگحه) وهم اناس محترمون لهم مكانتهم وما زال احفاد هذا الرجل مقيمين في المدينة ويعدون من وجوه المدينة المؤثرين فيها . كما سكن الرطبة متزامناً مع هؤلاء الاوائل بضع بدويات منقطعات نزلن فيها وأقمن واشتغلن بعمل الخبز وبيعه الى افراد الشرطة والمسافرين المارين بالمدينة فشكلن نواة العنصر النسائي في هذا المجتمع الذي بدأ يتبلور ويظهر كمجموعة بشرية قائمة ومنهن (خميسه ، هلاله) وقد توفين ودفن في الرطبة ولم يتركن أثراً او أحفاداً اذ لم يتزوجن وفق ما توفر لدي من معلومات .

هذا بعض ما يخص المدينة منذ بداية نشأتها الى اليوم حيث غدت مدينة كبيرة متميزة بحداثة مبانيها وجميل شوارعها وسكانها الذي يزيد عددهم على (35000) الف نسمة من مختلف العشائر العربية كما شيدت فيها الكثير من المدارس الحديثة ابتدائية وثانوية للبنين والبنات وروضتي اطفال ومعهدين للمعلمين وكلية اهلية ومديرية للتربية ومنشآت ثقافية ورياضية تمتد على رقعتها التي ضمت الحارات والأحياء السكنية (الوادي ، الحارة ، المطار ، الانتصار ، الميثاق ، الكرابلة ، العسكري ، الحارة الجديدة ، الانتصار الجديد) اما ما يتبعها اداريا باعتبارها قضاءً مستقلاً صدر به مرسوم جمهوري في خمسينات القرن الماضي فناحيتان هما (النخيب، الوليد) ومجمعات (طريبيل ، التنف، عكاشات) وقرى (الرميلة، الدراعمة، الشركة، الضبعة، ضبيعة، الأعزي، الكراغول، الحسينيات، الفيضة) اضافة لتجمعات متفرقة للبدو تحيط بالرطبة وتبعد عنها بمسافات تقدر بـ (10 - 30) كم ومنها (الگعرة ، الاعوج ، الولج ، رميزان ، الطبعات) مع مخافر حدودية وبحيرتان كبيرتان تشكلتا امام سدود اقيمت على وادي حوران تقع الاولى شمال مركز القضاء وتبعد عنه بـ (7) كم في حين تبعد الثانية عن المركز بـ (25) كم غربا وتشكل متنفسا لسكان القضاء إذ تتوجه اليها السفرات العائلية والشبابية ايام العطل الرسمية وهي بحيرات واسعة وجميلة تتكاثر فيها الاسماك التي جلبها الاهالي وان افتقرت الى العناية من السلطات الادارية التي نتمنى لو تلتفت لرعايتها علماً ان ذلك لا يشكل جهداً او عبئاً ثقيلاً على الدولة وميزانيتها لو أرادت . وفي الرطبة اضافة لوادي حوران (وادي مساد)

وهو واد كبير شهدت فيضانه قبل بضع سنين وكان صاخباً مخيفاً ومتزامناً مع فيضان آخر لوادي حوران ولا يقل عنه جمالاً وروعة وصخباً وبفيضانهما يحتفل أهالي الرطبة ويتجمع حولهما السكان وقد التقطت صوراً وفيديوات لهما ما ازال احتفظ ببعضها . وفي الرطبة مستشفى كبير وحديث ومراكز صحية وعيادات طبية وصيدليات ومنشآت مدنية وحكومية لا حصر لها وأسواق متخصصة وعامة .

هذا ما بالإمكان تدوينه عن (الرطبة) منذ نشأتها الى اليوم وسأذكر في ادناه أهم معالمها كما سأعرج على بعض عادات اهلها وتقاليدهم في افراحهم وأتراحهم .

أهم معالم المدينة الاثرية والطبيعية :-

اولا / القلعة (دار الحكومة) :-

تضم القلعة التي ظلت قائمة ومستخدمة كمديرية ومركزاً لشرطة قضاء الرطبة لحين دخول الدواعش المدينة في حزيران 2014م وقيامهم بإزالتها من على وجه الارض بعد احتلالهم المدينة بشهرين مستخدمين كل آلات الهدم بما في ذلك المتفجرات و(الجگ همر) لاقتلاع ارضيتها اذ استعصت على الهدم بالآلات الاعتيادية لقوة بنائها ، وتقع داخل أسوارها منشآت الدولة بكاملها اضافة الى بئر ماء خاص بها وهي مشيدة بالحجر الصلد والخرسانة ومسقفة بالحديد الذي يعلوه التراب بسمك يزيد على المتر الواحد ولذلك كانت عصية على كل الاسلحة النارية بما في ذلك القذائف التي لم تؤثر بها في كل الحروب التي مرت على العراق إلا بنسب ضئيلة جداً ، وتقوم البناية على مساحة قدرها (1000) متر مربع .

ثانيا / وادي حوران :-

من الوديان الكبيرة التي تمتد داخل المدينة وتشطرها لشطرين وله فروع وروافد تصب فيه من اراضي الجزيرة العربية والشام وينتهي الوادي جنوب مدينة حديثة حيث مصبه في نهر الفرات ، ويشكل فيضان حوران مناسبة بهجة

وفرح عند سكان المدينة إذ يتجمع الأهالي حوله وعلى ضفتيه محتفلين بانحداره كونه جالب للخير ومبشر به وان تسبب فيضانه في اكثر من مرة بخراب بعض البيوت والمنشآت المقامة على جانبيه او قريباً منه وقد اقيم عليه جسران لعبور المركبات والسابلة ويقع قريبا من المدخل الغربي للمدينة ، في حين يقع في مدخلها الشرقي توأم آخر له يسمى (وادي مساد) وهو الآخر كبير مهر وجميل عند فيضانه وقد أقيم عليه ايضا جسران حديثان لعبور السابلة والمركبات .

ثالثا / بنات الحسن :-

وهي بقايا لمزار يقال انه لبنات الحسن بن علي (رض) ويقع في مجمع (ارخمه) الذي يبعد عن مركز المدينة (12) كم تقريباً وكان مزاراً ومستراحاً للمارة والمسافرين وقد اقيم قريباً منه منجم الفوسفات .

رابعا / بئر الحكومة :-

وقد حفر في عشرينات القرن الماضي على ضفة حوران اليسرى مقابل الجامع الكبير وهو اول بئر حكومي يحفر في الرطبة وقد اوقفت مياهه للعامة ولسقي الابل والمواشي القادمة من البادية وما تزال آثاره رغم إهماله وهجره باقية . لقد تميز هذا البئر عن سواه بسعته وساقيته التي امتدت منه بطول (15) متر وعرض (ا) متر مكسوة ارضها بالحجر الصلد باتجاه حوض ماء تصب فيه مياه البئر والتي ترفع اليه باستخدام الجهد البشري ، وفي داخل البئر المرصوفة جدرانه بالحجر الصلد يمتد سلّما حديديا يصل الى قاعه تقريبا كما تقوم الى جانبه (دكة) من الحجر ما زالت بقاياها ظاهرة للعيان .

خامسا / النوّادة :-

هي اول ماكنة لرفع المياه اقيمت على بئر حفر مجاوراً للقلعة (دار الحكومة) وهو البئر الحكومي الثاني الذي حفر في الجانب المقابل للأول الملغي وقد سخّرت مياه هذا البئر لتزويد الحمام العام الذي اقيم بجواره في ثلاثينات القرن الماضي وأنشأت بجانبه غرفة ضمت ماكنة كبيرة (مضخة) لرفع المياه منه سميت (النوادة) وما تزال بقاياها قائمة وان تعطلت عن العمل نتيجة هجر البئر المقامة عليه وإهماله وإياها بعد غلق الحمام العام وانتشار الآبار الارتوازية داخل المدينة .

سادسا / الجامع الكبير:-

اقامته وزارة الأوقاف عام 1957م على مساحة واسعة من الاراضي التي كانت مناخاً للبدو الرحل وإبلهم على الجانب الايمن لوادي حوران مقابل بئر الحكومة الاول وشارك ببنائه معماريون وبناءون جيء بهم من الرمادي وهيت ويتكون من حرم واسع وحدائق ومصلى صيفي ويزين مدخل الجامع باب خشبي تراثي جميل قام بتصنيعه وزخرفته احد نجاري مدينة هيت إلا انه اغلق وحوفظ عليه في مكانه بعد اضافة ابواب اخرى حديثة للجامع ، ثم الحقت به في سبعينات القرن الماضي مدرستان دينيتان ابتدائية وثانوية غدا بهما الجامع معلماً بارزاً من معالم المدينة قبل ان يقوم الجيش بتفجيره ومساواته بالأرض تحت ذريعة الارهاب في 2016/10/25م عند دخوله المدينة (محرراً) إياها من الدواعش رغم تدخلات اهل المدينة ومحاولاتهم الحيلولة دون ذلك . غير ان جهود الخيرين من اهل المدينة اعادت تشييده من جديد بأبهى صورة وتم افتتاحه بتاريخ 8/ شباط /2019م . ولا يعد هذا الجامع الاول في المدينة بل سبقه بسنين عديدة (جامع السوق) المنشأ قريباً من القلعة في أربعينات القرن الماضي وما زال قائماً وان جرى توسيعه وتجديده لأكثر من مرة . ومن الجدير بالذكر ان في المدينة اليوم ما يزيد على العشرين جامعاً آخراً حديثة البناء جميلة الشكل موفورة الاثاث قام ببنائها وإلحاقها بالأوقاف المحسنون من اهل المدينة وفيها ايضاً مدرستان دينيتان اخريان لتحفيظ القرآن الكريم عدا مدرسة الجامع الكبير الشاملة .

نشاطات المدينة الاقتصادية

عدا التجارة وهي الصفة المميزة لسكان مدينة الرطبة والتي عمل على ازدهارها موقع المدينة الحدودي وطبيعة ارضها هناك نشاطات اخرى نمر عليها بايجاز ومنها :-

1- الزراعة : تفتقر المدينة للنشاط الزراعي لعدم وفرة المياه حيث تعتمد المدينة في السقي على مياه الامطار والابار التي لا تفي مياهها بأكثر من توفير مياه

الشرب وسقي الحدائق والمواشي المعد اغلبها للتصدير وظل الحال كذلك الى وقت قريب تم فيه انشاء عدد من المزارع من المقتدرين مادياً اضافة الى غابتين صناعيتين اقيمتا على اطراف المدينة ولم تكتمل بعد . أما بخصوص المحاصيل التي تنتجها تلك المزارع فتقتصر حاليا على الخضراوات والمحاصيل الفصلية .

2- الصناعات الشعبية : لا تتميز الرطبة عن سواها من المدن بصناعة معينة بل تفتقر الى الكثير مما في سواها من الصناعات الشعبية وذلك لحداثة تكوينها غير ان هذا لا يعفينا من الاشارة الى اهم ما يصنّعه الاهالي ويمكن حصره بالآلات المنزلية البسيطة وببعض المستلزمات التي يحتاجها رعاة الاغنام كونها السوق الرئيسي لأهل البادية لذلك تنتشر فيها صناعة اوتاد الخيام والسلاسل (الزناجيل) والمطارق البسيطة والأجراس التي تعلق في رقاب ذكور الاغنام حيث يقاد القطيع بواسطة رنينها المتأتي من حركة قائد القطيع (المرياع) اثناء سيره اضافة الى بعض الآلات المنزلية كالسكاكين والفؤوس وسواها من الاشياء البسيطة التكاليف التي يقوم بها الحدادون وأهل النجارة .

3- الطب الشعبي:- بالرغم من حداثة المدينة وتوفر الاطباء في مشفاها العام ومراكزها الصحية إلا ان اهلها ما زالوا يعتمدون في كثير من الحالات على الاعشاب التي اتقنوا العلاج بها عن طريق خبرات اكتسبوها من احتكاكهم المباشر بأهل البادية من (الصلبة) وسواهم حيث يمارس اطباء شعبيون اصحاب تجربة ومعرفة بالأمراض وطرق علاجها . كما يعتمد البعض على حفظة القرآن ورجال الدين (السادة) واثقين باستخدامهم الرقى (الرقية) في معالجة بعض الامراض كالصداع والأمراض النفسية كالكآبة وما شابه ذلك .

عادات وتقاليد من الرطبة

اولا / الأفراح والمآتم :-

مما يلاحظ على عادات وتقاليد اهالي الرطبة انها تكاد تكون مستنسخة عن عادات وتقاليد المجتمعات التي وفدوا منها وتتغلب طبائع مدينة (كبيسة) على سواها كون اغلبية سكان الرطبة ينحدرون من اصول كبيسية ففي مناسبات الافراح كالزواج تقام الحفلات وتؤدى فيها الدبكات (الچوبي) وتغنى الاغاني الشعبية الشهيرة امثال (المولية) و (الميمر) ثم تزف العروس وسط احتفال تتخلله الهوسات والأهازيج وتقام في المساء مأدبة عشاء للمدعوين ومن النادر ان لا يدعى احداً من اهل المدينة اليها ، غير اني لاحظت صفة انفردت بها مدينة الرطبة عن سواها وتتمثل بمساهمة جميع المدعوين بتقديم (النقوط) للعريس الذي يقف عند الباب بجانب قريب له يحمل سلة يتلقى فيه المبالغ المقدمة من المدعوين مسجلاً اسماءهم لديه ليعاد لهم ما يقدمون او يزاد عليه عند حدوث مناسبات مماثلة لدى صاحب الفضل ، وهذا ما لم اعرفه في مدن محافظتنا وحين تتبعت اصولها وجدتها مشابهة لتقليد شائع في شمال الجزيرة العربية ويسمى (الغنية) وهو من ابواب الرفادة التي تساهم وتعين صاحب المناسبة على ما يتحمل من مصاريف ، اما في الرطبة فتسمى (الصبحية) حتى وان قدمت في مساء ليلة العرس ، بل سرى هذا التقليد على الماسبات الاخرى ومنها (المآتم) . كذلك يقوم أهل المدينة باستقبال الحجاج والمعتمرين القادمين من بيت الله الحرام باحتفالات ورايات ودفوف أحياناً مصحوبة بقصائد في مديح الرسول عليه افضل الصلاة والسلام ، ويقدم للعائد الفضل بعد زيارته في بيته وتهنئته ومعظمه يكون عينياً لا مادياً . وتتشابه مساهمات اهالي المدينة مع بعضهم في معظم مناسبات الافراح التي تمر بأي فرد او عائلة فيها .

اما في المآتم فيشارك الجميع في تشييع المتوفى الى مثواه سائرين بجثمانه المحمول على الاكتاف بتبادل مستمر بين المشيعين الى حيث يدفن وسط صمت كبير ودون التفوه بأي كلام وهو ما اكدت عليه السنة النبوية الشريفة حيث التفكر في الموت والاعتبار به وقد يكسر البعض الصمت بالتكبير ، كما تغلق

جميع المحال التجارية التي يمر من امامها المشيعون حتى لو حال حائل دون مشاركة صاحب المحل في تشييع المتوفي فهو كما يرى ملزم بغلق ابواب محله لحين مرور الموكب وتجاوزه اياه .. ثم يواسى أهل المصيبة داخل المقبرة ويبلّغ فيها بعدم قيام مجلسا للفاتحة وإنما سيقتصر الحضور مساء على قراءة القرآن الكريم (الختمة) على روح المتوفى ليقدم بعدها العشاء وهي الوجبة الوحيدة التي تقدم في المآتم وقد يستعاض عنها بأطباق الحلويات والفواكه . ومنهم من يقيم مجلس عزاء لا يتجاوز اليومين عملاً بوصية أحد رجال الدين المؤثرين في المدينة الشيخ خليل الفياض الذي اوصى قبل تركه المدينة بذلك منذ سنين والتزم اهلها بوصاياه حباً به واحتراماً لمكانته .

ثانيا / السفرات :-

وينهج هذا النهج معظم سكان المدينة والشباب منهم خاصة حيث يستصحبون معهم خيامهم وعُدد إعداد الطعام ويخرجون الى الصحراء ايام الربيع او الى بحيرة حوران ويقيمون لأيام قد تمتد لأسبوع بكامله مستمتعين بالماء وصيد الاسماك والطيور واللهو البريء الذي يشغلون به أوقاتهم ايام الاعياد والعطل الرسمية على وجه الخصوص .

ثالثا / الصيد:-

بما ان المدينة تقع وسط الصحراء فهي أولى مدن الانبار بامتهان صيد الحيوانات البرية والطيور .. ففي موسم صيد الغزلان الذي ينحصر بين اشهر(آذار - حزيران) تخرج مجاميع من ممتهني الصيد والهواة الى الصحراء وتتألف المجموعة الواحدة من (4 - 8) افراد يقسم العمل بينها الى (كشاف) يتولى مهمة استطلاع ومراقبة المناطق المستهدفة في الصيد و(المقناص) الذي يتولى التصويب على الطريدة وصيدها وتستخدم في هذه الحالات السيارات ذات الأضواء الكاشفة التي تؤثر على وضع الطريدة ليلاً وتسهل اصطيادها بالأسلحة النارية ، اما حين يراد صيد الغزال حياً فتستخدم آلة صيد خاصة تسمى (المخداجة) المكونة من شيش حديد رفيع دائري الشكل بقطر متران تربط اليه شبكة يوصل احد طرفيها لإنبوب او عمود خشب لا يزيد طوله على مترين يمسك به (المقناص) ويفاجأ الغزال بإلقائه عليه ثم الامساك به وتستخدم (المخداجة)

وبحجم اصغر من الاولى في صيد الطيور وبالأخص طيور القطا والحجل والحبارى ، في حين يستخدم (المشواح) وهو من الآلات الاخرى المستخدمة في صيد الصقور و (الطير الحر) تحديداً والمتكون من حبل بطول (60) متراً يربط به طير صغير كالحمامة المستخدمة طعما للطريدة ثم يربط الى الارض بطريقة فنية ويطلق في الفضاء حتى اذا شاهده طير الحر او الطير المطلوب صيده وامسك به (الطعم) يسحب الحبل بسرعة وبطريقة يتقنها (القناص) تؤدي الى الإمساك به ويكون بهذا قد أتم عملية قنصه .. أما أماكن الصيد في صحراء الرطبة فهي :

1- جلابات ، أذنه ، معيله ، الغدف ... لصيد الغزلان

2- الگعرة ... لصيد الطيور وخاصة القطا

3- الخرسة ... لصيد الأرانب

. . وفي الختام أنوّه الى ان هذا ما استطعت تدوينه عن المدينة التي لا تملك تأريخاً عميقاً لحداثة تكوينها كما اسلفت ولذلك افتقرت الى وجود موروث خاص بها وكل ما فيها حمله المهاجرون اليها من مدنهم لذلك نستطيع القول انها لا تمتلك تراثاً يميزها عن بقية مدن سكانها الوافدين اليها من أماكن مختلفة جمعتهم مصالحهم وجوار بعضهم لبعض فاتحدوا مشكلين مجتمعاً جديداً متشابك العلاقات يشدهم لبعضهم الود والطيبة وإكرام القادمين اليها فلها ولهم أُزجي تحية حب واعتراف بنقاء وود ربطني بها مذ أويت لها واتخذت منها سكناً لثلاث سنين تبعاً لوظيفتي وكانت نعم المأوى وكان أهلها خير أهل وأحبة وأصدقاء ... وحسبهم انهم أحفاداً لـ :-

قوم اذا نزل الغريب بأرضهم   صاروا له بعضا من الأرحام

الشأن السياسي

في شعر حديثة العامي•

مدخل ..

جمعتني الصدفة ورب صدفة خير من ميعاد بضابط عراقي قيادي مسرّح من الجيش العراقي السابق من ذوي الميول الادبية وذلك بعد الاحتلال الامريكي لبلدنا بعامين ودار الحديث حول الادب والعامي منه بشكل خاص ففاجأني بقراءة قصيدة بدوية لوالدي الشاعر سليم العبدالله يعالج موضوعها خدمة الشاعر في الشرطة العراقية إبان تشكيلها في عشرينات القرن الماضي ويذم فيها عمله في (سلك الشرطة) الذي أجبره الظرف المادي والمعاشي عليه ، وقد عد محدثي تلك القصيدة على بساطتها من اولى ومضات الشعر السياسي الرافض في أدب أهل حديثة العامي وشعرهم مستشهدا ببيت منها يقول فيه الشاعر :-

اللـي يخــدْمْ الكفــر مــا لــو تــوالي   لو معاشو يصير خمسه وعشر چيس

والمعنى العام ..((ان من يخدم عسكريا الكفار ويعني بهم حكومة الاحتلال لا حياة كريمة له حتى لو استلم مقابل خدمته راتبا (معاش) قدره (15) كيس من النقود)) .. ويرى محدثي وجوب ملاحقة مثل هذه الابيات الرافضة للاحتلال والمنكرة عليه وإظهارها خاصة ونحن نعيش اليوم وضعاً مشابهاً لما عاشه الشاعر إن لم يكن اسوأ منه بكثير. ونامت فكرة البحث في الشعر السياسي العامي في ذاكرتي الى ان ايقظها قبل ايام صديق آخر في حديث عن ذات الموضوع وان لم تكن القصيدة محوره ، وعادت بي الذاكرة لعام 1977م حين كنت بمعية الباحث الفولكلوري الاديب الاستاذ محمود العبطة المحامي تغمده الله برحمته وهو يتصفح المجموعة الخطية لشعر سليم العبدالله مبدياً اعجابه الكبير معلقاً على ان سليم يمثل (رصافي الشعر العامي) ومعروف ما لمعروف الرصافي الشاعر

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 23 لشهر آذار 2021 م

الكبير من مواقف وأشعار سياسية عرف بها اكثر من غيرها وهذا بعض ما دفعني للكتابة في معالجة الشعراء العاميين في مدينة حديثة للشأن السياسي متخذاً من تلك الجلسة وذلك اللقاء وما تبعه مدخلاً لموضوعي عساه ينال الرضى .

الشأن السياسي في الشعر العامي ..

يُعد سليم العبدالله (1892- 1975م) من ابرز الشعراء العاميين في مدينته التي ظهر فيها خلال خمسينات القرن الماضي وما تلاها شعراء تخذوا من السياسة منهجاً في شعرهم ففصل البعض من وظائفهم ولوحق البعض وسجن اخرون نتيجة لمواقفهم السياسية التي برزت في شعرهم ومن ابرزهم المرحوم عبد القادر العيفان (1921-1973م) وهو ممن ساهم بشكل فعال في اضراب عمال محطة ك/3 لضخ النفط في حديثة عام 1948م والمشهور بـ (اضراب شنور) كما سجن الشاعر في البصرة وفيها كتب بعضا من قصائده كقوله في واحدة منها مرسلة من السجن عام 1962م :-

وين الجسور اليضربْ الباب ميهابْ ويشفي غليلٍ عالچبدْ حين ملگاه
يدروني ربعي عالعسيرات مطلابْ ولا آهاب من شين الموظف ولا ادراه
وليا رضت مني الگرايب والاحباب ما يهمني لونه حقير المعاداه
ولا يهمني الابعاد وسجنٍ بالارعاب والحگ يظهر كودٍ وياخذٍ مجراه
ولا يهمني خاين خسيسٍ وچذاب وشغلْ الحريم وشينهن بالمخازاه

المعنى العام .. ((اين الجسور الذي يقحم ابواب السجن ويشفي بلقائه غليل كبدي ، ان اصحابي يعرفون صبري على العسير من الامر فلست ممن يهاب سوء السجان (الموظف) ولا اهتم به وحسبي رضى اقاربي واحبابي الذي يغنيني عن الحقراء والكذابين الأخساء الذين يبارون الساقطات بخزيهم))

وقوله في قصيدة يخاطب فيها صديقا له من جنوب العراق كان قد راسله متسائلا عن حاله وكيف يقضي اوقاته فكتب له مجيبا بقصيدة طويلة منها :

المال اتْثمنْ للعفون وبهم سومْ ولا بگّين للسياسه مسابيب

ومعناه ان الرجل غدا ثمنه بما يملكه وبه يسام .. ولم يتبق للسياسة واهل الرأي رأياً يؤخذ به ، ومن شعره في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م قوله :-

شوف عيني مزعزعه وإلهه رعيد والجيوش تراكمت فوگ القنال

اما أوضح ما قاله رحمه الله فكان هتافه (مهوساً) امام طاهر يحيى رئيس وزراء العراق عام 1963م حين زار حديثة وتوعد المشاغبين بتقليم اظافرهم لكثرة ما كان ينقل عنهم زيفاً او صدقاً فكان ان قاطعه الشاعر بـ (هوسته) الشهيرة :-

إحنه اهل المعاني والشرف والدين وچثير النه عليكم طلب والدين

اظن سفك الدماء يصير واديين (يتنحى اليعرف ماضينه)

والمعنى العام ..((نحن الحديثيون اهل المعاني السامية والشرف ولنا عليكم ديون وحقوق ان لم تفوها لنا فلن يطول عليكم صبرنا وسنقاتل حتى لو جرت الدماء بواديين فليتنحى جانباً من لا يعرف ماضينا)) ... وممن سبق الشاعر العيفان في الاشارة من بعيد الى الشأن السياسي المتمثل بالسلطة والمتنفذين فيها الشاعر حردان الثاري الذي عانى من حيف لحق به من الحاكمين فقال :-

الحكومة لا تحب ولا تريد شخصٍ مبيّنْ عدو المنكرات

ضمن قصيدة شكوى مرسلة لصديق له وكان يعني (ان من يتولى امورنا لا يقرّبون اليهم اهل الجاه والشرف من أعداء الفساد ومحاربي المنكر) .

ومتأثرا بما جاء به الانجليز حين دخولهم البلد من آلات ومركبات ومراكب لم تكن معروفة عند اهل العراق استغل شاعر العتابة جاسم الباقي (1895-1975م) صورها في بيت عتابة قال فيه :-

لفاني العيد ودموعي جرنّه وچثير الضغط بعظامي جر آنه

حملك يا دليلي ما يجرّنه مراكب الانجليز وبيهن طواب

ومعناه العام ..((جاء العيد ودموعي جارية بسبب العلل والضغط الذي اثر بعظامي فجررت انّات وجع جراء ما يحمله قلبي مما تعجز مراكب الانجليز

بحمولتها من سحبه والتاثير فيه)) .. وقد اشرنا لهذا البيت رغم بعده عن الساسة والسياسيين لتأثر الشاعر بوجود الانجليز وما جاءوا به من آلات .

ولعل اكثر من عالج السياسة وتشعباتها من شعراء العامة الحديثيين آنذاك عبد الرزاق محمد العبيد في هوسات واهازيج كان يتقنها انشاءً وقراءةً وله في ذلك حضور كبير نذكر منه هوسته عام 1948م في استقبال الشيخ فتيخان ابو ريشه احد شيوخ الدليم واثر هزيمة الجيوش العربية في فلسطين :-

أومي واصيّح بالقدس ليش ننخان   واطلب برد الشام من عالي الشان

واطالب بجيش العرب والقائد فتيخان

(يرچيها كلما تتمايل)

والمعنى العام ..((اتسائل إيماءً وقولاً عن سر الخيانة وضياع القدس من ايادينا واطالب بعودة الشام راجياً من الله ذلك كما اطالب بجيش عربي موحد يقوده الشيخ فتيخان فهو القادر على تثبيت الامر اذا مال او انتكس وهو المجرب بذلك)) .. وغير هذه له العديد من الاهازيج والهوسات وجميعها وليدة تظاهرات واحتجاجات سياسية . اما الشاعر الاخر الذي وظف الهوسة سياسياً فكان الشاعر زعل طه عاشور الذي احتفى بالذكرى الاولى لثورة 14/ تموز/1958م فهوّس في تظاهرة مؤيدة لعبد الكريم قاسم قائلا :-

الرياسه بس الى عبد الكريم تلوگ   وغيره للشعب ما يحصل حكوگ

نوري چان سنبل بعد مو مدكوگ   (كريم الدگه وإحنه الذريناه)

والمعنى العام ..((ان الرئاسة لا تليق لسوى عبد الكريم وما سواه يستطيع استحصال حقوق الشعب . لقد كان نوري السعيد سنبل غير ناضج غير ان عبد الكريم انضجه وسحقه ونحن من ذراه)) ... وبعكس زعل الطه يقف غايب العبودي (1927-1997م) منافحاً عن قوميته العربية وحزبه القومي الذي كان من أوائل المنتمين اليه في حديثة متصدراً كل التظاهرات والمناسبات الوطنية معلياً صوته بقصائده الوطنية واهازيجه حاملاً صفة الشاعر العامي القومي بامتياز وان ضاع جميع شعره او اتلفه ذووه بعد انقلاب 18/ت1963/2م الذي تزعمه عبد السلام عارف منهياً به الحكم البعثي الذي لم يتم عامه الاول في

السلطة بعد انقلابه على قاسم وبذاك ضاع حلم البعثيين حينها كما ضاع حلم غايب العبودي الذي سبق ان كتب عن ثورة 14/تموز / 1958م متضامنا مع عارف بعد اعتقاله عام 1959م وذاماً الشيوعيين الذين صار اليهم الامر دون استحقاق .. (ثورة عارف قام بيها ... والحكم صار لنزيهه) والمقصودة بذلك وزيرة بلديات قاسم الشيوعية نزيهة الدليمي . ولغايب مخاطبا الرئيس احمد حسن البكر عام 1968م شاكياً اليه ما آل اليه وضعه بعد الغبن الذي لحقه والتنكر لمواقفه من رفاقه :-

مفجـر الثـورات يـاالبكر الغيـور   ابيتي الاسـتعمار گلّي شـلون اثـور

ابيـتي الاسـتعمار ثـالوث الظلـم   نـوب ادحـره ونوبـه گدامـه انهـزم

وانهزم الشاعر غايب امام ثالوث الظلم المتشكل من الحيف والجهل وضيق ذات اليد. انهزم ولم ينصفه رفاق الامس غير ان هزيمته تلك لم تحول دون انتفاضته حين اشتعلت الحرب العراقية على بوابة العرب الشرقية المستباحة اليوم . وقف متحديا امام جهل عدوه مناديا (يا هو اقوى) .. ومنها :-

يـاهو اقـوى .. سـلاح بـارود وحديـده   تنتصـر بالمعركـه وسـوح القتـال

لـو مبـادئ امـه واهـداف وعقيـده   من الطفولـة اتسلحت بيها الرجال

يـاهو اقـوى .. حامل الفكر ورساله   ومـوش فكـر اجنبـي

لـو طفيلـي بگلـب أعمـى   يقـوده فـد واحـد غبـي

... الى اخر القصيدة التي تحفل بتساؤلات غايب التي ظلت معلقة تحمل اكثر من اجابة حتى كان ما كان لبغداد وسقوطها المريع في 2003م ، ولو انه وعى الاجابة عليها لأيقن ان الفكر والعقيدة التي لا تقف خلفها قوة وسياسة تذود عنها ستؤول الى السقوط كالذي حدث لبلدنا وبكاه الشاعر الشهيد بيرم عبد القادر عيفان الذي استشهد في 2007م على ايدي الارهاب الاعمى نتاج مواقفه الرافضة للاحتلال بكل انواعه وهو يغالب حزنه على سقوط بغداد في ابيات مؤثرة منها :-

بغـداد باللـه شـعجب بالكـون ذليـتي   وإنت المراجل گبل يا عـالي الصيت

انـت المـراجل گبـل والكـون يحلالـچ   وصـبيان عالمـوزمه يمشـون گدامچ

يمشون لگوه الفشگ ومگابل النيران ولا يوم إنطوا گفى ولا هابو الميدان

والمعنى العام للابيات .. ((اني لأعجب كيف ذللت يا بغداد في المعارك وانت الشجاعة عالية الصيت صاحبة المراجل التي تحلو لك المعارك (الكون) ويفتديك الشباب سائرين امامك في الازمات ملاقين بصدورهم نار العدو ، وما هزموا يوماً ولا تهيبوا سوح القتال)) . ... وبالعودة الى من بدأنا الحديث به والعود احمد نستعرض مساهمات الشاعر سليم العبدالله وما كتب في الشأن السياسي وذلك من خلال اولى مساهماته في قصيدته البدوية التي اشرنا اليها سابقاً ثم دخوله هذا المعترك بأبوذيات أرخ فيها لأحداث مهمة منها تأبينه للملكين العراقيين فيصل الاول حيث كتب عام 1933م مؤبنا إياه :-

بكل العرب ما صارت وفاتك صعب ويخل على الأمه وفاتك

يوم اگشر يبو غازي وفاتك العراق انتحب وانصبلك عزيه

والمعنى العام .. ((بكل العرب لم نجد وفياً يضارع وفائك ولذا غدا صعباً ومخلاً بالامة خبر موتك بل انه كان يوماً مشئوماً وفاتكا بالعراق الذي انتحب فيه وبكاك وأقام لك مجالس العزاء)) . أما حين قتل الملك غازي عام 1936م وكان يمثل امل وطموح العراقيين والكثير من احرار العرب بما عرف به من حس وطني عروبي فقد اقيمت المآتم في كل مدن العراق مستذكرة مواقفه اتجاه المحتل الانجليزي وجنوده من غربيين وشرقيين (هنود) دفع بمعظم شعراء الفصحى والعامة الى ندبه ومنهم شاعرنا سليم الذي قال يوم وفاته :-

شفت العلم نكّس گلت من مات العالم يوم فگد الملك منمات

عسى عگبك يغازي الخود منمات ولا صارت وزاره وعادليه

والمعنى العام ..((حين رايت العلم العراقي منكساً سألت عن المتوفى (من مات) وترك عيون العالم يوم فقده ساهرة جفاها النوم ألماً وحزناً (ما نامت) ، ليت النساء (الخود) عقمن بعدك وتوقفن عن الانجاب (لم تنمو) ولا قامت دولة ولا وزارة ولا عدالة بعدك)) . ومن المفيد التذكير بأن وقع مقتل الملك غازي كان موجعاً على عموم العراقيين دون استثناء حتى ان احدى الغجريات نعته في حفل عام مغنية :-

إگعـد يغـازي وشـوف طبّـو بلـدنا   صوجر وگرگه وسيك ما هم مثلنا

فأحالت الحفل الى مأتم . وبالعودة الى ابوذيات سليم نقرأ له عام 1955م ثناءه واعجابه بنوري باشا السعيد الذي اطلق عليه متيمناً (نور السعد) لتوقيعه معاهدة الجلاء التي خرج بموجبها الجيش البريطاني من العراق مؤرخاً ذلك الحدث الكبير بقوله فيه :-

بنـور السـعد زال الهـم واجلـه   لعهـوده تغـرد الاطيـار واجلـه

حليفـه رحّلـه مـن الـوطن واجلـه   بسياسـه وبحـزم وبغايريـه

والمعنى العام للبيت .. ((بنوري السعيد تبدد الهم وانجلى ولعهوده تغرد الاطيار ولأجله ، فهو من (اجلى .. الجلاء) حليفه (بريطانيا) من ارض الوطن بما يملك من فهم في السياسة وبحزمه وغيرته على الوطن)) .. وصمت الشاعر ولم يعاود الكتابة في الشأن السياسي بعد هذا البيت من الابوذية حتى اذا حل عام 1963م وحدث الانقلاب العسكري الثاني 14/رمضان/1963م وتسلم البعثيون السلطة وتراجع الشيوعيون وكثرت الاحزاب والمسميات ونشط منها من نشط وجد الشاعر نفسه في مجتمع موزع بين أمميين وقوميين واسلاميين اعتصم بالعروة الوثقى من خلال التزامه بدينه وحده لأنه المنجي وما سواه غثاء لا بد من زواله معتبراً كل حزب لا يستمد تعاليمه من الاسلام ضلالة لذلك قال :-

أحـزاب الضلالـه مـا تملهـا   تـاه الركـن الهـا مـا تملهـا

حـزب اللـه نـاجح مـا تملهـا   يقـوده العبقـري سـيد البريـه

ومعناه ..((اني لا آمل باحزاب الضلالة خيراً ولا اتأملها اذ تاه الركن منها ولن يتم لها الامر مهما تسيدت لأن حزب الله هو الناجح ولن يتملى ويهتم بمن ينافسه ما دامت قيادته للرسول الاعظم عليه افضل الصلاة والسلام))

أحـزاب الضـلاله مـا انتمـي الهـا   لا قـومي وشـيوعي، مـا انتملهـا

نسخ كـل ديـن ديني مـن تـم الهـا   ابـو بكـر وابـو حفصـه الشفيـه

ومعناه ..((احزاب الضلالة ما انت يا نفس لها أهلاً ، ولا انتمي لأي منها لا قومياً ولا شيوعياً لأن ديني وحزبي الاسلام الذي نسخ كل ما عداه مذ (تم لها) والتحق به (ابو بكر) و (ابوحفصة..عمر) الذي يشفي العلل)) .

أحـــزاب الضـــلاله مـــا اعتبرهـــا　　يصـفا طينـه وشـجرها مـع تبرهـا

انـــا الاســـلام ديـــني ومعتبرهـــا　　الامـــر والنهـــي لـــرب البريـــه

ومعناه العام ..((احزاب الضلالة لن أعيرها اعتباراً لأن كل ما فيها من طين وشجر وتبر(ذهب) مختلط ببعضه ولا يعرف خيرها من شرها . ان حزبي هو الاسلام الذي لم يرض بها ولن يعطيها اعتباراً لأن الأمر والنهي لله دون سواه))

وهكذا حدد الشاعر موقفه من الاحزاب جميعها منصرفاً لدينه وحسب الى ان وقعت حرب حزيران 1967م وانتكس العرب فيها وإذا به يناديني ذات يوم من ايام حزيران وكنت حينها طالباً في الاول متوسط ويملي عليّ بيتاً من النايل ضخ فيه شجونه لما حدث قائلاً :-

البارحـه مـا غفـت عيني ولا نامـت　　وين اليگـول العـرب بـديارها گامت

ثم صمت مكتفياً بهذا حتى اذا حل شهر ايلول من نفس العام مبشراً بعملية فدائية لرجال المقاومة الفلسطينية (فتح) كان لها الوقع الكبير في نفسه أملى عليّ ايضاً ومباشرة بعد بث خبر تلك العملية بيتاً من العتابة كان خاتمة ما قاله في الشأن السياسي وفيه قال :-

نـــيران النصـــر بحشـــاي ثـــارات　　وللاســـــلام عالكفـــــار ثـــــارات

صواريـــــخ الفدائييـــــن ثـــــارات　　علـــى صـــهيون وادعـــتهم تـــراب

ولا ارى ان البيت يحتاج لشرح معانيه فهي واضحة جلية .

لقد كان هذا آخر ما كتبه الشاعر في الشأن السياسي ولم اجد له غير ما ذكرت سوى ابيات متناثرات في شعره البدوي (الگصيد) ومعانيها بسيطة ومتداولة تفيد الذم لمسئول والشكوى من ثان على شاكلة ما ذكره في واحدة منها عن وشاية ضده من مبغضيه نقلت حينها لمدير الشرطة الذي كان يسمى (معاون) بدافع الحسد او النشاط في امر لم يرق للواشين ، وله في تلك القصيدة المنسوجة في ثلاثينيات القرن الماضي ابيات منها :-

وصلـت إفـاده للمعـاون زعـل حيـل　　يگـول كـل اخباركـم تصعـد إلنـهْ

محمـود افنـدي راح گلّـه تـرى يعيـل　　(ريـس الحديثـه) يشـچي الحـال منّـهْ

والمعنى ..((لقد وصلت لمعاون الشرطة وشاية افاد ناقلها بأخبار سيئة تصله عني وسبب ذلك ان (محمود افندي – رجل شرطة) اخبره باني اتجاوز عليهم ولا احترم (رئيس الحديثة - مسؤولها) وهو يشكو من تجاوزاتي على ما يقولون)) ...

وختاما ادوّن ابيات من القصيدة البدوية التي ابتدأت ببيت منها حديثي وكانت الدافع لكتابة هذا الموضوع وادناه بعض منها :-

يـ(خليف) يا ماشي بجيش البغالِ   في عربايـن حامـلات الرواكيـسْ

ودّي سلامـي لخلّتـي ولعيالـي   واشچي لهم ضيم الجرى والهواجيسْ

وگلهم (سليم) وربعه باذل حالِ   ليـل ونهـار مجابليـن المحابيـسْ

أشچي لكم ضيم الجرى يا رجالِ   گلبي شبه حبْ اگهوه بالمحاميسْ

گولوا لـ(مسلم) لا يا كرام العيالِ   خيّـك چطيـرٍ يگضبنه المفاجيسْ

اللـي يخـدم الكفـرما لـه توالـي   لو معاشه يصير خمسه وعشر چيس

والمعنى العام للابيات .. ((يا (خليف - شرطي) يا من تسير بجيش البغال في عرباتها التي تحمل من هم اشبه بالراقصين ، انقل سلامي لأهلي واخبرهم بما يلحق بي من ضيم وهواجس مؤرقة ، وقل لهم ان (سليم - الشاعر) ومن معه بأذل حال يمضون ليلهم ونهارهم مع السجناء . وقل لهم اني اشكو من القهر الذي احال قلبي كحبات القهوة وهي تتقلب في محماسها (اناء تحميس القهوة قبل سحنها) ، وقولوا لأخي(مسلم) واعلموه اني غدوت كطير امسكت به (المفاقيس :آلة لصيد الطيور) .. وهذا مصير من يرتضي العمل مع الكافر ويعمل معه (اتهام لجهاز الشرطة بالعمل مع المحتل الكافر) حتى لو انه اعطي من المعاش (الراتب) (15) كيساً من النقود))...

وفي الختام اقول هذا ما جال في خاطري عن الشأن السياسي ومعالجاته عند شعراء العامة في حديثة الفرات ارجو ان ينال الرضى ومن الله التوفيق .

الشاعر صالح العبيدي

بين أنين العتابة .. وأنين النواعير*

لأن العتابة غناء أو شعر المكلومين تخذها الشاعر الحديثي المعاصر صالح مطيران العبيدي منهجاً له اثر استشهاد ثلاثة من اشقاءه عام 1914م على يد الارهاب الداعشي الذي تحكم في المنطقة حينها وتنمر واستقوى فأودى بحياة الكثير من الابرياء .. اما اتجاه الشاعر قبل ان ينهج نهج ابيه واعمامه في نظم العتابة تحديداً وهم بها مبدعون فقد كان صالح المولود عام 1968م في حديثة / ناحية بروانه حيث يقيم واعمامه والمتخرج من مدارسها الابتدائية والثانوية قبل ان يلتحق بوظيفته الحكومية التي تنقل بموجبها بين بابل وبغداد ثم العودة من جديد لمدينته مولعاً بالادب عموما فكتب في الشعر التقليدي الفصيح مشاركاً في الكثير من المهرجانات كما قام بالنشر في صحف تلك الايام ومنها (القادسية) قصائد ومقالات وأعمدة صحفية، ولأنه مثقفاً موسوعياً متعدد الهوايات فقد شارك عام 1984م وهو ما يزال طالباً في المرحلة الثانوية بمسابقة قطرية في القصة القصيرة اقامها الاتحاد الوطني لطلبة العراق ونال المرتبة الاولى فيها عن قصته (ثائر حمدة) وكرم بما يستحق حينها . وهو اضافة لما ذكرناه يعد من هواة التصوير الفوتغرافي وله فيه لقطات فنية متميزة .

من هذا الإيجاز لنشاط شاعرنا يتبين ولعه بالادب والفن الذي صرفه عنهما الى العتابة مصابه بأشقاءه رحمهم الله اذ وجد ان لا معبّر لشجنه سواها ، وهي (العتابة) عن حق تمثل شعر المحزونين وغناء المكلومين الذي يصدر عن غير ما برمجة لوضع محدد او اختيار معيّن ، بل هي محض نفثات تنساب مع دفقات لدموع ساخنة وآهات محزونة جاثمة على صدر صاحبها لتتشكل على هيأة نظم موجع لا يستسيغه الا الموجوعون كقوله :-

* نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 26 لشهر حزيران 2021م

تجوض ذياب وسط حشاي وجراه ويـدمعي مـا سـكت لليـوم وجـراه

يهـل تنشـد على السـواه وجـراه تركنـــي وخلّـــه بفّـــادي الغثـــا

إلا ان صالح الشاعر الطيب النفس المرح قبل مصابه – وما يزال – الخفيف الظل ما اقتصر في عتاباته بعد ان صحبها رفيقة دائمة له على الكتابة في الوجع وحسب بل عالج فيها الغزل على ندرته في العتابات ضمن ابيات رقيقة منها قوله :-

حـلاة العسـل بشـفافك وحي تـين وريـت اليـبغض ودادك بحيتـين

اهلّي بـدرب لـو شـفتك وحيتـين وأحـيْ طيفـك عمنـو لـي دوا

كما انه كتب في السياسة وحب الاوطان وإن كان مقلاً غير انه على سبيل المثال لم يخف تعاطفه مع ما يحدث في فلسطين وقدسها اليوم فقال متذكراً المسجد الاقصى ومحرره الناصر صلاح الدين ببيت ارتجله وهو يراقب شاشة التلفاز وما تعرض من احداث تدور في القدس الشريف قائلاً :-

سـهم حـط بـدليلي ولـج بگصـاه ويجـور الـدهر زاد ضـراب بگصـاه

صـلاح الـدين حـث سـراك لگصـاه الحـرايـر گطّعـن سـود الثيـاب

كما سبق له ان قال ابياتاً في احداث بلده العراق لا مجال لذكرها ، ورغم ان العتابة غناء وشعر بدوي فما حال سكن شاعرنا وإقامته في مدينته الرابضة على شاطئ الفرات دون الكتابة فيها وعنها قائلاً :-

يجـــروح الگلـــب مـــنّج حديثـــه بروحي شـگد حلـو طبعـه وحديثـه

هلـي طيبـين مسـكنهم حديثـه اســباع بيــوم لگــوات الاجنــاب

بل وزاد على ذلك مأخوذاً بأهم ما يميز مدينته على جمال طبيعتها وطباع اهلها واعني بذلك (الناعور) وافتتانه به وبما يبث من انين وشجون تثير لواعج العاشق والمهموم على السواء . والناعور لمن لا يعرفه وهو وسيلة ري قديمة تتميز به حديثة ومدن اعالي الفرات وهو عبارة عن دولاب خشبي كبير له نظامه وشكله الخاص به ويثبّت على بناء جميل من النورة (الكلس) والحجر يسمى (الجرية) ويقام على شاطئ النهر ليرفع حين دورانه الماء بآنية مربوطة على طوقه ويصبه في ساقية رئيسية ينساب عبرها الى بساتين وحقول المدينة وما اكثرها في مدينته ، لذلك استحق شاعرنا لقب شاعر النواعير الاول في مجال العتابات تحديداً اذ ما وجدت

من كتب في الناعور من شعراء العتابة من يضارعه ويزيد عليه ، بل لم أجد في العتابة على شغفي بها ومتابعتي للكثير مما كتب فيها نصوصاً تخلد الناعور بالاسم لا تورية او اشارة من بعيد الا القليل جداً ولعل اشهرها البيت المنسوب لعباس المعاضيدي الذي يقول فيه :-

يحــن نــاعور جرعــه والهــذاري وتوگّــد نــار گلبـي والهــا ذاري
يلــو مــا آنـي مچلـّس والهـذاري ولا فراگهــم هــد الصفــا

وبضع ابيات اخرى لا ترقى لمرقى هذا البيت الجميل الذي قاله الشاعر حين مروره بقرى ونواعير (جرعه، هذرته/ حديثة)، غير ان صالح الشاعر جاء بما يضارعه جمالاً ولا اقول يتفوق عليه ، ومما قاله في الناعور :-

يحــن نــاعور گلــبي وزاد منهــال ومجــاول بيجفــون العــين منهــال
بَسـچن يـا ليـالي الشـوم منهــال علينـــه احـــزان وهمـــوم وغثـــا

وقوله :-

يحــن ناعــور بعنينــه عــاني آنـي وعليهم لاتعب جـدامي عـاني آني
شـوف دمـوع صـبتلي بعيـني آنـي غــرف ناعـــور دايــر بالســياب

وعتابات صالح العبيدي بشكل عام وفي معالجته لموضوع الناعور بشكل خاص وما يبثه من شجون في سمع المصغي اليه وجوارحه مفهومة سهلة ممتنعة لا تحتاج للكثير من الاجتهاد في التفسير او البحث عن معان لمرادفات البيت الواحد المتشابهة لفظاً المختلفة معنى . وشاعرنا البدوي الحضري في آن واحد شاعر بديهة وارتجال فما ان يدور الحديث واياه عن العتابة حتى تنساب عتاباته متلاحقة وكأنه يقرأ في صحيفة منشورة امامه لا ابيات مرتجلة ساعده على ذلك واعانه عليه وجع كامن في داخله وعشق لهذا النمط من الشعر العامي الذي ورث حبه عن اسلافه وجميعهم اما شعراء او متذوقين لهذا الشعر الذي برع فيه دونهم واستحق ان يكون حامل لواءه في حديثة بعد الجيل الاول الذي مثله من سبقه من شعراء حديثة العاميين الذين عالجت شعرهم في كتابي (شعراء شعبيون لم يقرأ لهم احد) الصادر قبل سنين ، وكي لا اطيل ادرج ابياتا مختارة من عتابات صالح العبيدي عن الناعور وسواه عساها تنال الرضى ...

مختارات من عتابات الشاعر

اولا .. عن الناعور

نواعيــر الجفــن تغــرف بعدكــم وعلـي يجــواد شــو طــوّل بعــدكم
اسـيل النـاس ملفاكـم بعـد كـم ؟ تجــون ويجتمــع شــمل الحبــاب

بعنينـك روح بيـه ابتلـت وانجـن يناعــور تغــرف بــدلاك وانجــن
انـا بونّـك ذكـرت ايـام ويـن چـن؟ هلــي وجيــران وايــام الصبــا

يشـل ناعــور شــوفي ومـاهو دالي وعلـى الشــاغل فكرنـا وماهــدالي
اظـل ابسـاگ ضعنـچ مـا هـدالي لحــد اجســاد بـي طـم التــراب

بطـرگ ناعــور يمـدلل واعـن لـك وجـدمي خـالف مـرادي واعـن لـك
يهـل خـدك گمـر ضـاوي وعـين لـك ســهمها يليّــش گلــوب الشــباب

ثانيا .. ابيات متفرقة

يگلـبي شـبيك غـزلك تـاه بـدواك بعـد مـا ينفـع عنـاك ويـاه بـدواك
تعـال اسـمع معـاي اصـداه بدواك مجــاوب ليــل وي هــرم الذيــاب

اتــاني طــروش خلــي مــا بنيــالي لهيــب حشــاي جمــره مبنيــالي
تــرى المــا جيــت گــبري مبنيــالي الچفــن مــذروع بــس رد الــتراب

نغــط بــوم الخــراب وزاد بــدواه وكشـف عني الحكيم وحار بـدواه
مثـل خيـط الربابـه وبيـد بـدواه يهيــج جــروح ويملــخ الحشـــا

چووني بنـار يـا صـاحب عالجنـاب عليـل وراحـن اسـنيني علـچ نـاب
حسافـه الوكـت رامينـه عالجنـاب وعفنــه امــلاك مــن قالــوا بــلا

يحـگ لعيـوني تهـل دمـوع مـن دم وعمـري لـو گضـيته ويـاك منـدم
طلبـت ضـعون لـني الـدرب منـدم مســحها الــريح والعگــل اختفــى

أبوذيات حديثية

وثـلاثة من روادها في المدينة•

القسم الاول:

الابوذية ...

لون من الوان الشعر العامي الذي ((اختلفت الاقوال في تاريخها ومنشأها انما اصلها كما يقول الدكتور مصطفى جواد من (الدوبيت) المعروف بالأعرج وهي قسم من الشعر البغدادي الاصيل اصابها التنوع والتفرع بعد اشتهارها في انحاء العراق))[1]، وانتشرت مغناة بين المزارعين والفلاحين في ريف العراق الجنوبي ، ويتألف بيت الابوذية من أربعة أشطر تنتهي الثلاثة الاولى منها بمفردة موحدة في اللفظ مختلفة في المعنى في حين ينتهي الشطر الرابع ويسمى (القفل) بمفردة يكون حرف رويها الياء المشددة المفتوحة (يَّ) او الياء والهاء المدمجة الساكنة (يه) وهي الشائعة كتابة ، وقد ورد لدى بعض الباحثين رأياً يقول فيه اصحابه ان الابوذية محرفة عن اسمها الاصلي (أبو الأذية) والذي اطلق عليها لغلبة طابع الشجن والحزن على هذا النوع من الشعر والغناء وحوّر الى ما هو عليه الان لخفة في التداول . ولا اتفق مع القائل بذلك لأن ما كتب في الابوذية من أبيات في الحب والغزل ووصف الاحبة يتفوق على سواه ، بل ذهب بعض شعرائها في غزلهم حد مداعبة الغرائز بغزل مكشوف . ولا ينفي هذا وفرة الكثير من الابوذيات المغرقة بالشجن وتسمى عند شعرائها بـ (الفراگيات) وهي ماخوذة عن الفراق واوجاعه في حين تسمى الاخريات بـ (الهوائيات) من الحب والهوى .

وقد اخذت الابوذية سمة جنوبية بسبب ذيوعها بشكل ملفت في جنوب العراق وان انتقلت الى بقية المدن والمحافظات لجمالية نظمها وخفة وسلاسة

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعدديها 31 و32 لشهري تشرين ثاني وكانون اول 2021 م

(1) يراجع كتاب :- الفولكلور في بغداد / ص68 .. لمؤلفه الباحث الفولكلوري: الاستاذ محمود العبطة المحامي رحمه الله

الفاظها ومواضيعها وما تستخدم من مفردات واغراض متعددة لعل أوسعها انتشاراً كما أشرنا الغزل الذي يداعب الشاعر فيه عواطف سامعيه ، كما ساعدت الاغاني الريفية والمؤدين لها من مطربي الريف ومطرباتهم من حيث استخدامهم الابوذية مدخلاً لجميع اغانيهم تقريباً وكانها لازمة لا بد من توفرها في اغاني الريف على نسبتها للجنوب دون سواه ومن اجمل من غناها منهم واجاد المرحوم داخل حسن . وقد يبدع شعراء الابوذية باغراض غير الغزل فيقدمون نماذج راقية في صور جميلة كقول الشاعر سليم العبدالله متأسياً لأحد الرجال المتميزين ممن جار عليه الزمن فأفقره وآذاه :-

شعاع الشمس اگضى والدجى جه   الوكت اظلم علينه وادجاجه

يخوي ابن الحباره والدجاجه   يتبختر والصگر لاذ بزويه

ولان شعراء الابوذية كثر ومتعددون فقد اعتمدت في هذا البحث ثلاثة من الشعراء الحديثيين (نسبة الى مدينة حديثة) حصراً وهم من أوائل من كتبها في المنطقة الغربية للعراق المعروفة بأغراض شعرية اخرى ك (العتابة) وتغنوا بها قبل ان تشيع ويتناولها بعدهم عدد كبير من شعراء خلطوا القديم بالجديد عن جهل او عن دراية ، والشعراء الثلاثة الذين أعنيهم يعدون من فرسان الشعر والادب في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن وهم سليم العبدالله ، جميل الحمد واحمد الحياة الذي يعد بمثابة معلماً ومصوباً لما يقع به زملاءه من هفوات في اشعارهم كما اقر بذلك زميله ومعاصره الشاعر سليم العبدالله بحديث لي وكرره امام سواي ايضاً ، غير ان كثرة تنقلات احمد بين مدن العراق تبعا لعمله في مقتبل عمره ومرافقته لأبنائه بعد ان كبر وشاخ اضاع شعره ولم أجد رغم استعانتي بالمقربين اليه وبصديقنا ولده الاخ الشاعر عدي الحديثي الا (9) ابيات من الابوذية وقصيدة بدوية واحدة قيلت في حادث وقع لأبيه مع اعمامه في حويجة العبيد/كركوك وغادر على اثرها الى حديثة حيث اقام وما تزال ذريته كذلك .. أما فيما يخص الشاعر الموهوب جميل الحمد وهو من اجمل شعراء الابوذية التي ما زاول كتابتها الا بعد الم ومعاناة عاطفية غادر بسببها حديثة الى العزيزية في الكوت حيث اقام مع اخواله المقيمين هناك وتزوج وانجب

، وفيها توفي ايضاً . ولأن وفاته كانت مبكرة وبعيداً عن حاضنته الاصلية (حديثة) ولصغر أعمار ولديه اللذان عاد بهما أعمامهم لمدينتهم بعد وفاة ابيهم لم يحفظا شيئاً من شعره او يدوناه لذاك ضاع كامل شعره بل لم نستطع الحصول له حتى على صورة شخصية نتعرف ويتعرف من خلالها ابناءه وذريته على أرق شاعر ابوذية ورائد من روادها الاوائل في حديثة احتفظت ذاكرة أقرب محبيه الشاعر سليم العبدالله بـ (15) بيت من شعره لم نجد عند غيره سواها ولولاه لضاع ذكر هذا الشاعر المعذب الملهم ، وعن كل منهما سأكتب في هذا القسم من المبحث مستشهداً بنماذج من ابوذياتهم مرجئا الحديث عن ثالثهم سليم العبدالله الى القسم الثاني منه للعدد الكبير من ابوذياته التي تحت يدي وحتى لا نأخذ اكثر من حقنا من صفحات مجلتنا العزيزة حفظ الله القائمين عليها راجين منهم سعة الصدر في تقبل إطالتنا إن أطلنا فيما نتمنى ان ينال رضى القراء ..

اولا :- احمد الحياة

هو احمد افندي بن محمد بك بن مصطفى العبيدي .. ولد عام 1889م في حديثة التي قصدها والده محمد بك من حويجة كركوك واقام فيها وفيها دفن تاركاً خلفه ولده الوحيد احمد طفلاً صغيراً دون السادسة من عمره فتولت والدته (حياة) تربيته وحمل اسمها مذ ذهبت به الى بغداد حيث يقيم اخواله ليدرس ويتعلم في مدارسها حتى اذا بلغ سن الرشد عادت به الى حديثة عام 1913م ليلتحق بالجيش التركي الذي تدرج فيه حتى نال رتبة (باش شاووش) ويقابلها في الجيش العراقي (راس عرفاء) غير انه أحيل الى وظيفة مدنية في الگمارك العراقية ونسب لإدارة گمرك النجف وذلك بعد انهيار الدولة العثمانية ودخول الانجليز بغداد تلا ذلك احالته الى التقاعد في اول قائمة للمتقاعدين في العراق وبتسلسل (6) عاد بعدها من جديد لحديثة وتزوج وانجب (6) اولاد و(4) بنات . وقد عرف شاعرنا باسم امه ولقب باحمد افندي . تميز شاعرنا بثقافته وسعة معلوماته وموهبته في الشعر التي اورثها اولاده من بعده وبرز من بينهم الاستاذ عدي الحديثي . ومما يذكر عنه انه فتح متبرعاً دورات تعليمية مجانية للراغبين في تعلم القراءة والكتابة على عهد تلك الايام . تنقل الشاعر في أواخر

ايامه بين عدة مدن تبعاً لوظائف اولاده كان آخرها مدينة العمارة رفقة ولده الاستاذ عدي وفيها حانت منيته فتوفاه الله عام 1975م وشيع الى مثواه الاخير في بغداد ليدفن في مقبرة الكرخ تنفيذاً لوصيته رحمه الله ... وفي ادناه بضع ابيات من شعره الذي لم يصل منه إلا القليل الذي احتفظت فيه ذاكرة الابناء وحصلنا عليها عن طريق ولده الاستاذ عدي أدون بعضها مع شروح موجزة لها :

بِعـاده صـد صـلا صبـري وصبنـه　　وصــرت أصــغي لصــدى صــابر
سـهرنـه بصوبـة الصايـغ وصبنـه　　نصبــر والصبــر اصــوب وصيــه

المعنى العام / ببعده وصدّه اصاب صبري فصرت اصغي لغناء (صابر) المغني وهو يؤدي مقام الصبا في سهرتنا عند صديقنا الصائغ الذي صبونا في سهرته وصبّرنا انفسنا على بعاد البعيدين اذ ان الصبر لمن مثل حالي اصوب واصح واجدى .

دمعــي مــن المحاجــر ونــّه ونّــه　　ويحيـف اهـل الـدوارس ونّـه ونّـه
التمــر إلكـم تهنــوا والنــوا النـه　　عســى الرحمـــن يهديكــم علــيَّ

المعنى / لقد سال دمعي من عيوني فاحفروا له (الوني : الساقية) لتحول بين مسيله وبينكم فقد اثار شجوني تذكر الميتين من اهل المقابر وعليهم زاد انيني وبكائي . هنيئاً لكم التمر الذي صار من حصتكم وحصتي النوا (نواة التمر) عسى ان يهديكم الرحمن فتواصلوني .

نحـل جســمي وبقـت روحي تعــالي　　هبطنـــه والنـــذل بينـــه تعالـــي
يجــاره الدهــر مــا انصــف تعالــي　　نصفّــي همــومنه ونگعــد ســويه

المعنى / لقد ذوى جسدي وظلت روحي مكابرة متعالية مذ انزلنا الدهر وسما وتعالى بالنذل السيء من الناس فتعالي واصليني يا جارتي لننهي همومنا ونجتمع من جديد .

خــده يحرســه الصــارم والانبــال　　يرفــس مــن أهــم لمســه ولا نبــال
رشح دمعي على الوجنـه ولا نبـال　　يجـــف مـــن شـــدة النيـــران بـــيَّ

المعنى/ خده الجميل تحرسه السيوف والنبال ولذا يجفل ويخاف حين أهم بلمسه غير اني لا ابالي بحراسه فقد سح دمعي على وجنتي من حبي له وان

لم يبلله فلأن نار حبي التي تستعر داخلي تجففه قبل ان يسيل . .. وله اخيراً في رثاء ولده الكبير شهاب :

طحت ما بين سهم النون والصاد وفتك بي الهجر يشهاب والصاد

قسم بالسلب مني الروح والصاد عقلي ، القدر راواني المنيه

المعنى / لقد سقطت بين سهمي (النون :النوح والبكاء) و (الصاد : الصبر والتصبر) لان هجرك وصدودك (كناية عن الموت) قد فتكا بي واقسم بمن سلب روحي وتصيد عقلي واخذه ان القدر الذي ارداك اراني واذاقني الموت بعدك .

ثانيا :- جميل الحمد المولى

شاعر ابوذية متفرد لم يكتب في سواها من انواع الشعر العامي ومن اقرب اصدقاء الشاعر سليم العبدالله الذي راسله من العزيزية في الكوت حيث كان يعمل ببيت من الابوذية طالبا فيه مشورته في امر اختلف فيه مع اقارب له في حديثة منتظراً منه الرأي وكان جواب سليم له ناصحاً وحدّياً حدا به حال استلامه الإجابة الى المجيء لحديثة وتصفية متعلقاته فيها ومودعاً إياها الى غير رجعة (مر ذلك في مقال سابق نشر في احد اعداد هذه المجلة) .. وشاعرنا ابا محسن .. جميل الحمد الظاهر من المولى (بيت محمد الحسن) رحمه الله ولد في حديثة عام 1895م وعاش ظروفاً ومعاناة صعبة فيها اثر قصة حب خائبة فغادرها الى العزيزية في الكوت حيث يقيم اخواله ملتحقاً بهم عام 1920م واشتغل هناك محاسبا في شركة اهلية لتجارة السوس ثم تركها ليفتح له متجراً زاول فيه اعمال البقالة ومن العزيزة تزوج بامرأة من بني اسد وانجب منها ثلاث بنات وولدان عاد بهم جميعاً أعمامهم الى حديثة بعد وفاته .

يتميز جميل الحمد بجمال خطه ورهافة حسه وتوقد شاعريته وكان متعلماً ومثقفاً اوجد له في العزيزية مكانة محترمة حتى غدا من وجهائها المعتبرين . توفي عام 1947م ودفن في مقبرة الشيخ معروف في بغداد وضاع شعره الا ما احتفظت به ذاكرة صديقه سليم العبدالله الذي أخذنا عنه كل ما قاله وتحتفظ به ذاكرته ومجمله (15) بيت من الابوذية فقط ، أما سبب ضياع

شعره فيعود لصغر اعمار اولاده حين وفاته وتركهما لمسقط راسيهما حيث علاقات ابيهما وذكرياته عائدين الى حديثة التي اقاما بها وما زالت ذريتهما فيها . ومن جميل ابوذياته ادناه مع شروح مبسطة لها ..

روحي مـن الصـبر ضـاجت ولاجـت الدمعـه مكركسـه بعينـي ولاجـت

لا هــي رحمــة بحالــي ولا جــت وانـا ميـل الصبـر ذب گلـص بـيَّ

المعنى العام/ لقد ملت روحي من كثر صبرها ولجت طالبة الخلاص ، وتجمعت الدمعة في عيني وحال صبري دون انسياحها ، ومن اهواها لم ترحم بحالي ولم تجيء الي وحبل الصبر القى بگلصه داخل روحي ..و(الگلص : ثقل من الحديد يربط الى الزورق بحبل ويلقى في النهر لايقاف الزورق عن الحركة) .

روحــي معذبــه شتاهــا وصــفلها ولا يـوم الـدهر عزهـا وصـفا الهـا

الطبيـب اللـي يعـالجها وصـفلها الصــبر فــوگ المــرار البيــه هيــه

المعنى / روحي معذبة شتائها وصيفها ولا صفا لها الدهر يوما وانالها العز. لقد وصف لها الطبيب المعالج الصبر فوق ما تعانيه من مرار ووجع .

الصـبر مـا اجرعـه لا انـت ولا انـه ونينــــي فسّـــر المرمـــر ولانــــه

صبـــر ايـــوب يـــا صاحـــب ولانـــه وحـــزن يعگـــوب منـــه داره لـــيَّ

المعنى / مخاطباً الحبيب باننا ما عاد بمقدورنا تجرع الصبروتحمله لا انت ولا انا الذي حطم انيني المرمر والانه . لقد اخذ يا صاحبي صبر ايوب الولاية لنا ، وادار يعقوب حزنه الي متخلياً عنه لي دون سواي .

دليلـــي جرحـــه بلحظـــه وعلّـــه بجعـــد وبجيـــد وعيـــونه وعلّـــه

اغـن اهيـف طـرف نـاعس وعلّـه غـنج رومـي الثغـر تسـنيم ميـه

المعنى/ لقد جرح حبيبي بلحظه قلبي واصابه بالعلل ، وبجمال شعره وجيده وعيونه وعّى قلبي وأسره ، انه غنج اهيف ناعس الطرف وعليه من غنج الروميات ودلالهن صفات ، اما ثغره فطيب شهده ماخوذ من ماء تسنيم و(تسنيم : عين في الجنة يشربها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين - الطبري – .. وفي القرآن الكريم : ومزاجه من تسنيم *عينا يشرب بها المقربون – الآيه 27سورة المطففين) .

بسـگم يمضـي علي الليـل وانهـار جـرف الصبـر بـي انهـدم وانهـار
صـرت شـدعي عـالي عـذل وانهـار الجـرى ارجـوك لطـف لي تحيـه

المعنى / بقهر وسقم يمضي ليلي ونهاري ، لقد انهار جرف الصبر بي فقل لي بماذا ادعو واشتم وانهر من يعذلني ؟ هذا ما جرى لي فالرجاء موافاتي بمشورة وتحيات .(البيت موجه من الشاعر في العزيزية الى سليم العبدالله في حديثة وقد اجابه سليم ناصحاً ومشيراً بما مر ذكره في موضوع نشر في عدد سابق من هذه المجلة) .

متـى ينـزاح غثـك يـا سـمانه انـّزع إيمـان صـدري يـا سـمانه
بطـرف عيـنچ انظـري يـا سـمانه مثـل للنـاس صـرت وللبريـه

المعنى / متى يزاح الغبار المتراكم يا فضائنا واجوائنا ، لقد نزع الايمان من صدري يا خالقي (سمانا : استخدمها الشاعرهنا تورية عن الخالق الذي في السماء جلّ وعلا) فانظري ياسمائي الى معاناتي بطرف من عينك فقد غدوت مثلاً سيئاً يضرب للناس وللبرايا .

نسـمح للمـوده اليـا سـمحنه ان جفينه وانگطعنه الياس محنه
سـليم ارجـوك گـول الياسـه محنـه مثـل بعـض العـواذل سرسـريه

المعنى/ نسامح من يودنا صادقاً اذا اردنا ان نسامح ، أما اذا جافينا وان قاطعنا من يواصلنا فهذا يقود لليأس واليأس محنة ومصيبة ، ارجوك يا (سليم) ان تقول لم يأسى لنا اننا لسنا مثل بعض عواذلنا سيئو الاخلاق و (سرسرية : شتيمة تفيد السوء والذم) .. والبيت ايضا موجّه هو الاخر لصديق الشاعر سليم العبدالله .

.. وبهذا البيت ننهي القسم الاول من البحث على ان نوافيكم بقسمه الثاني الخاص بالشاعر سليم العبدالله في عدد لاحق .

القسم الثاني

مدخل

تحدثت عن الابوذية بإيجاز في القسم الاول من هذا البحث والمنشور في عدد سابق من هذه المجلة وأخذت نموذجان من رواد هذا النوع من الشعر العامي في حديثة وهما الشاعران احمد الحياة وجميل الحمد مؤجلاً الحديث عن شاعر الابوذية الاكثر شهرة سليم العبدالله الى هذا العدد وذلك كونه صاحب السهم الأوفر في الشعر العامي الحديثي .. فالى الحديث عنه عساه ينال الرضى .

ثالثا / سليم العبدالله

اسمه ونسبه : هو سليم بن عبدالله بن سليمان بن دللي بن ايراهيم بن محمد بن عبدالله بن علي(1) العطية الربع آل خليل آل إجعفر من (عبدة) كبرى قبائل شمر(2) ومن فخذ (العلي) امراء حائل قبل ان تؤول الامارة الى ابناء عمهم (الرشيد) سنة 1521هـ /1841م (3).

ولادته ونشأته :

ولد عام 1892م في حديثة الفرات لأبوين حديثيين (نسبة الى المدينة) وتوفي والده وهو دون الخامسة من عمره فكفله خاله دللي ابراهيم ونشأ في ديوانه واغترف من معين أدبه اذ كان رجل أدب ومن أعلام المنطقة المعروفين وواحد من ابرز وجهائها فشب عن الطوق سريعاً ولعل ذلك عائد لملازمته مجالس خاله حيث يجتمع اعيان المنطقة ورجالها ، وتزوج بامرأة من (بيت صگر) وهم من العوائل الشمرية الكريمة يعودون بنسبهم الى (الطوالات/ الاسلم من شمر) ويقيمون في بروانة / حديثة حيث استقر جدهم صكر بن شاهين بن

---

(1) شجرة العائلة

(2) شجرة قبيلة شمر المنشورة في كتاب (نبذة تأريخية عن نجد .. أملاها الأمير ظاهر بن فهيد آل رشيد ص 162)

(3) نفس المصدر (2) ص 148

سنان الوافد اليها من الجزيرة العربية ابان الهجرات القبلية الى ارض العراق[1]، وأنجب منها ولدين توفيا صغيرين هما (عبد) الذي ظل الشاعر يكنى باسمه الى وقت متأخر جداً و(ابراهيم) وثلاث بنات . وفي هذه الحقبة الزمنية عاود الشاعر فتح ديوان أبيه الذي اغلق بعد وفاته لصغر اعمار ولديه (مسلم وسليم) ، ثم تزوج ثانية من كريمة خاله دللي ابراهيم وأنجب منها سبعة اولاد (انا اصغرهم) وابنتان ، (وشاعرنا لم يدخل مدرسة لأجل التعلم بل اعتمد على حافظته ، وذاكرته تحفظ الشعر الشعبي من شتى الانواع) [2]، كما ثقف نفسه بنفسه عن طريق اتقانه لفن الإصغاء لما كان يدور من احاديث في ديوان خاله صغيراً ، ولا غرابة في ان يشب شاعراً فذاً اذا علمنا انه سليل اسرة ادبية تمثلت في ما كان يتردد على سمعه من اشعار جده لأمه (ابراهيم الداود الدللي) والذي كان سيد قومه وشاعراً كبيراً في زمنه عرف بزهيرياته وانواع اخرى من الشعر العامي لم تكن الابوذية من بينها اضافة لما اخذه عن امه وشقيقته الوحيدة من ابيات عتابة وركباني كن يرددنها امامه ، واحتفظ في ارشيفي ببعض مما نسب لهن من الشعر . ومن ارث اسرته تلك وما يتداوله اعمامه وجلاس ديوان خاله من ادب وقصص وشعر الآباء من (الگصيد البدوي) وفنون الشعر الاخرى حفظ الكثير حتى طغت مفرداته البدوية على شعره وطبعت ابوذياته بطابع البداوة التي تجسدت في بعضها ومنها قوله :-

انـدوس اعلـه المعـادي مـا كننـه   بحـد السـيف نضـرب مـا كننـه
رزق اهـل الفصـاحه مكـان النـه   واشـو رزق التيـوس بغيـر اذيـه

مختلفا في صوره ومفرداته عن ابوذيات الريف الشائعة . كما يتميز في شعره بالطيبة والبساطة في طروحاته مع الاخرين ممن يختلف معهم بعيداً عن التحامل حتى في ساعات غضبه إلا ما ندر ، وترجمة ذلك ظاهرة في شعره حين يقول معاتباً لا مؤنباً لواحد ممن اختلف معهم :-

---

(1) ينظر كتاب (موسوعة العشائر العراقية –ج5 – ص 278) لمؤلفه ثامر عبد الحسين العامري .

(2) زهيريات سليم الجعفر .. للباحث محمود العبطة المحامي .. نشرت في ديوان سليم العبدالله . واعيد نشرها في مجلة صدى الريف – العدد 13 لشهر ايار 2020م

ســـيف الهجـــر بالـــدلال بشـــّط وعليك ادعي الهدم نصين بالشط

أســوي زيــن طبعي واذب بالشــط ولــو مــا مــن خــوي ينفــع خـويــه

لذلك كان مجلسه ملتقى لمحبي الشعر وقائليه بمختلف أغراضه وتنوعه مما دعا لتوثق علاقاته مع عدد من الاصدقاء من حديثة كان ابرزهم الشعراء جاسم الباقي وجميل الحمد ومعلم الجميع كما يصفه هو احمد الحياة .

عاش سليم في الصدارة بين اهله ومحبيه معتمداً معاشياً على ما يرده من حصص في املاك ورثها عن ابيه حتى اذا تأسست الشرطة العراقية بعد الاحتلال الانجليزي للبلد وقيام الدولة انضم اليها بصفة فارس في (شرطة الخيالة) متنقلا بين مخافرها في لواء الدليم (محافظة الانبار) لتتسع رقعة معارفه وتشمل عدداً كبيراً من علية القوم الذين عمل في مدنهم وشعراء تعرف عليهم واحبهم واحبوه من غير الحديثيين ومنهم (سيد گاطع العماري ، محسن العماري ، زكي العماري ، اسماعيل الجبوري ، ابراهيم كبيسي الجبوري ، تركي الشمري ، ابو مهدرس الشمري ، علي السمرمد ، حميد الخطاب العاني ، احمد جواد العامل العاني – والد الشاعر رشدي العامل-) وغيرهم ممن ظل متواصلاً معهم لسنين عديدة إلا ان عمله في الشرطة العراقية لم يرق له فخرج منها ذاماً إياها بقصائد من الشعر البدوي يقول في واحدة منها :-

اللي يخــدم الكفــر مــا لــو توالـي لو معاشو يصير خمسه وعشر چيس

ليلتحق بعدها عاملاً في شركة نفط العراق/ محطة ك-3 ، غير انه ومن جديد سرعان ما خرج منها هي الاخرى لاختلافه مع من عمل معهم من المؤثرين فيها ليعود الى اسرته مثقلاً بأفواه يتوجب عليه اطعامها ومعارف وضيوف اضطر من اجل الايفاء بواجباته اتجاههم الى بيع معظم ما ورثه من حصص في قرى وأملاك آل اجعفر في حديثة وسنجقها فاشتغل اخيراً حارساً في محكمة بداءة حديثة لعشر سنين من الخدمة غادرها دون الحصول على أي من حقوقه ليلازم البيت لحين وفاته اول ايام عيد الفطر لسنة 1395هـ الموافق 6/ ك1975/2م تاركا خلفه الكثير من الشعر في مختلف الانواع والأغراض موزعاً في قصاصات ورقية ودفاتر احتفظ بعض اولاده ومعارفه بها فقمت بعد جهد جهيد بجمعها

وتشذيبها ثم تحقيقها وإصدارها في كتاب خاص به تحت عنوان (ديوان سليم العبدالله) عام 2013م .

ثقافته :-

لم تحل امية الشاعر دون تثقيف نفسه بنفسه وباجتهاده كما ذكرنا اذ كان مولعاً بالشعر راوياً لكل فنونه ومما يؤثر عنه ما يرويه المرحوم السيد ابراهيم ابن محمد ابن الحاج مصطفى الالوسي وهو من الافاضل والأعلام انه (السيد ابراهيم) كان يقرأ في ديوانه (مجلسه) للحاضرين في كتاب قديم ويفسر لهم ما يقرأ حين مر بشاهد من الشعر يقول فيه شاعره :-

سأصبر صبر السمهدان على اللظى واطوي كما يطوي العملس في البر

وانه لم يحضره معنى لمفردة (السمهدان) وحين سأل الحضور ومنهم متعلمون اجابوا بعدم معرفتهم إلا ان الشاعر قال اظنه يقصد بالسمهدان (طوير النار) ويعني بذلك اليراعة (اليراعة : حشرة اصغر من الفراشة وتسمى في اللهجة العامية - طوير النار-) اذ لا يصبر على اللظى ويحوم حول ضوئه سواه ، اما العملس فهو الذئب الذي يطوي على الجوع في الصحراء وحين تحققوا من ذلك وجدوا ان الشاعر قد اصاب في ما قال[1] . ومن هنا يتبين لنا ذكاء الشاعر الفطري وصحة تخريجه لما يراد من المعاني . ولا عجب في ذلك وهو الذي يبدأ احدى قصائده البدوية بـ :-

أبـــدي بـــذكر الله الـــف اليفـــه اللي رفـع سـبعه بسـبعه بثنتـين

وكلنا يعلم ان الله جل وعلا خلق السماوات والارض في ستة ايام إلا من تعمق في التفسير وعاد الى القران الكريم فوجد قوله نعالى ((قل اانكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواءا للسائلين * ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض اتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين * فقضاهن سبع سماوات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا

([1]) نقلا عن الحاج نجيب سليم ال جعفر

السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم *)) وتفسيرها كما ورد عن الامام الشعراوي[1] انه تعالى خلق الارض في يومين وقدر اقواتها وما عليها في يومين آخرين ثم استوى الى السماء فخلق السماوات السبع في يومين غير الايام الاربعة التي مرت ليكون مجموع ايام خلق السماوات والارض وما فيها ستة ايام كاملة . ترى .. من علم هذا الرجل الأمي تفسير القران ليتناص معه في شعره وعلى الصورة التي مر ذكرها ؟ انه الذكاء الفطري الذي اعان الشاعر رغم اميته على حفظه للكثير من القرآن الكريم والأوراد والأحاديث النبوية الشريفة عن طريق السماع والإنصات لا غير ، كما انه كان يحفظ قصائد بكاملها من شعر العرب ، واولع بالشعر العامي فنظمه وبجميع الوانه وان كان يبدي اهتماما خاصاً بالعتابة والنايل دون سواها وله فيهما الكثير تأليفاً وقراءة (غناء) رغم تفوقه بالعدد فيما كتب في الابوذية ، واحتفظ له في مكتبتي بتسجيلات خاصة له في العتابة وبصوته المتميز بشجن وطور غنائي خاصاً به لا مقلد لأحد ، كما كان يجيد الضرب على (الدف) واداء المدائح النبوية وله فيها قصائد من نظمه وان اعتمد عند ادائه لمدائح الرسول عليه افضل الصلاة والسلام على اشعار بيت الشيخ رجب الراوي وقصائد حسن العلگاوي التي يحفظ الكثير منها .

لقد تناقل شعر الشاعر الرواة ونشر بعضه على انه لمجهول في مجلات وكتب التراث عقبت على ما عثرت عليه منه ونشرته حينها في وسائل النشر المتخصصة[2]، كما اعتمد زهيرياته الدكتور سعدي الحديثي ضمن دراسته الخاصة بالشعر العامي والتي نال فيها شهادته في الماجستير والدكتوراه ونشر اسطوانة مطبوعة باللغتين العربية والانجليزية في لندن عام 1981م اسماها (song from Iraq) سعدي(1) ، سعدي(2) ووصفه الباحث الفولكلوري المرحوم محمود العبطة المحامي وكان يتحدث عنه بـ (رصافي الشعر الشعبي) [3] وكتب

---

(1) قرآن كريم – سورة : فصلت .. الايات (9،10،11،12) ... وينظر كتاب (معجزة القرآن) للشيخ محمد متولي الشعراوي .

(2) مجلة التراث الشعبي العراقية الاعداد : 12.. لسنة 1972م ص 179، 6 .. لسنة 1977م ص 282، 9.. لسنة 1978م ص 275

(3) مقابلة شخصية مع الباحث صيف 1977

عنه بحثاً وافياً سبق لنا نشره في العدد (13) من مجلتكم الغراء صدى الريف لشهر ايار 2020م كما تم نشره قبل ذلك ضمن ديوان سليم العبدالله ، وقبله وفي عام 1974م اطلع المرحوم الاستاذ علي الخاقاني على مسودات ابوذيات الشاعر واستل بعضها واصفا إياها بالابوذية البدوية وضمها الى موسوعته (الابوذيات العراقية الكبرى) مشروعه الذي لم يمهله القدر على اتمامه . تلك لمحة من ثقافة الشاعر الامي التي لا يطالها الكثير من المتعلمين .

ابوذياته :-

يُعد سليم العبدالله من اوائل من نظم الابوذية في حديثة التي تختص كبقية المناطق الغربية بالعتابة دون سواها ، بل هو من روادها الاوائل مضافاً الى الشاعرين اللذين مر ذكرهما في القسم الاول من هذا البحث مع شاعر آخر لم نحصل الا على القليل من شعره الذي احتفظت ذاكرة سليم العبدالله ببعضه واعني به حميد الحسن الحيالي وله افردت فصلاً في كتابي (شعراء شعبيون لم يقرأ لهم احد) . وقبل هؤلاء لم تصلنا ابوذية حديثية ولم يذكر لنا من تابعناهم من معاصريهم سواهم وان لحق بهم فيما بعد عدد غير قليل من الشباب خاصة ، وتتميز ابوذيات شاعرنا وهو بها مكثر جداً حيث قاربت اعدادها المائتا بيتاً ضمها ديوانه وعالج فيها مختلف شؤون الحياة وأغراض الشعر ، ويبدو ان سهولة نظمها ساعد على انسيابها على لسان الشاعر الذي زامل عدداً من شعرائها وتأثر بهم واثر فيهم كـ (شعراء العمارة الثلاثة) الذين مر ذكرهم في أعلاه وآخرين استمر تواصله معهم لسنين متأخرة ..

لقد استخدم الشاعر الابوذية وبمختلف أغراضها مفاخراً وناصحاً ، وشاكياً ومعاتباً ، ومتغزلاً ومادحاً ، ومؤبناً ومؤنباً ومعبراً عن رؤاه اجتماعياً وسياسياً وقد اشرنا لذلك في موضوعنا المنشور في العدد (23) لشهر اذار/2021م من مجلتكم الغراء هذه . حتى لتكاد ان تعد ابوذياته سجلاً لحياته وما مر بها من احداث فهو حين يختلف مع قريب له يعاتبه بألم فيقول:-

يجرحي مـا يلمـه سـلج وانصـاح   وگـومي مـا عنـدهم رشـد وانصـاح

سـاهرت الـدلم والبـوم وان صـاح   حليـف الـورگ والخنسـا الشـجيـه

لكنه حين يتعرض للغدر والطعن في الظهر يرد بقسوة مستخدماً الهجاء وان لم تؤثر عنه في الهجاء الا بضع ابيات قالها في من تسبب بقطع رزقه وحرمانه من عمله دعاه الى الدعاء عليه قائلاً :-

وسـادك مـن فلـق حصـوه ولَبنـهْ   حليـب (فـلان) مـو صـافي ولبنـهْ

عسـى مـا ينفعـه مالـه ولا ابنـهْ   ويظـــل لا للحيـــا ولا للمنيـــه

الا انه حين تروق له الاجواء يقول في الغزل :-

مسـية العافيـه يسـمر تمسّـك   ريـاح الصـبا لـو هبـت تمسّـك

الشـافك زار بيـت الله وتمسّـك   حظـى بـالعروة الـوثقى القويـه

اما حين يفاخر معتداً بنفسه وكريم خلقه فيقول :-

انـا مـا جفّلـت حـره ولا بـت   ولا صـاحت بكـل صـوته ولابـت

إلي غرفـه وقصـر مبـني والي بيت   عنـد رضـوان بالجنـه الهويـه

وهو حين يطغى نهر الفرات عام 1950م ويدخل داره القريب من النهر مخرباً لجانب منه يصطبغ حينها حزنه بالأسود الداكن (الدارة) لا بالأزرق النيلي فيقول :-

بـداره حـزن گلـي مـا بنيالـه   وتنـــور بدليلـــي مبنيالـــه

العفـن گصـر مشـيّد مبنيالـه   وانـا بيتـي بتزيـزه وطـاح بـيَّ

وما ان تشتد عليه آلام ساقيه في شباط 1955م وتشل حركته وكان مصاباً بالروماتزم الا اللجوء الى الابوذية يسري بها عن اوجاعه فيقول :-

جروحي معمّلـه واطلـب رجـه الهـا   ودمعـي فـيّض البيـدا ورجلهـا

النـاس تريـد تعتـان بـرجلها   وانـا رجلـي چمالـه فـوگ اذيـه

ولا تحول الام قدميه في نيسان 1955م من البوح بآلام اشد يعانيها متضامناً مع احد الكرام الذين انزلهم الدهر على حكمه لمن دونهم منزلة ومكانة فلا يأسى لأساه وحسب بل يفقد الهمة ويتخاذل الماً فيقول :-

دم وألـــم مـــن عيـــني تجـــارا　　　همّــهْ مــا بگــت عنــدي تجــارا

إبـــن العفـــن بقصـــور وتجـــارا　　　وابـــو (فـــلان) واگعلـــه ابليـــه

وغير هذا وذاك وفي مناسبات مختلفة وأغراض متعددة كتب الكثير من الابوذيات لو مررنا فيها لأطلنا ولذلك سنتجنبها ونكتفي بما اوردناه لنلج الى الاهم فيها وبشيء من التركيز ، لـ (هوائياته) و (فراگياته) وهي وفيرة ولن نختار منها بل سنمثل لما يرد منها على البال فكلها جميلة وبليغة ولا اظن ان القارئ سيخالفني الرأي فيما ارى اذا قرأ للشاعر :-

أحــب الخيــل لــو لكــدن وغــارن　　　عيــوني مــن الــدمع ركّــن وغــارن

أمــوتن مــن تــود غيــري واغــارن　　　وأغــار مــن الهــوا لــو مــر علــيَّ

***

مدنفــه وبــس على غــيري بســمها　　　افاعيهــا احرگــت گلــبي بســـمها

يصاحـــب لا تســـميها باســـمها　　　تحـــرّك ســـاچني وتعـــم علـــيَ

***

يناهــي عنــد ابــو ديگــان چنـــّهْ　　　حلـــو اطبـــاع لچـــن بيـــه چنـــهْ

مـــن يلـــبس بيـــاض البـــدر چنـــهْ　　　ومــن يلــبس ســواد اســى البريــه

وحين نستعرض ابوذيات الشاعر يتبين لنا من خلالها تأثره الواضح الجلي بالقران الكريم وقصصه فهو يتناص معها في معظم ما قاله ، بل ويقرن حين يتغزل بحبيبته قسمه ويمينه (زلف) الحبيبة – نستغفر الله – بسور من الذكر الحكيم فيقول :-

وحــگ زلفــك وســورة نــون ونفــال　　　منــك حبــل المــوده انگطــع وانفــال

الــك عنــگ چعنــگ الــريم وانفــال　　　والــك خــد چمــا المصبــاح ضيــه

ويقسم حيناً انه سيصوم حتى ايام الاعياد لو واصله الحبيب فيقول :-

وحـــگ التيـــن والزيتـــون واضـــحى　　　طلاســـم كتبـــة الـــورچين وضـــحى

اصــوم الــك رجــب وافطــار واضــحى　　　نـــذر للـــه مـــن تجبـــل علـــيَّ

اما اذا اراد برهنة صدقه وزيف الحبيب وتجاوزه فهو ينقل الينا حادثة النبي يوسف (ع) وان لم تكن بالضرورة الحالة التي وقعت ليوسف قد تكررت معه لكنه من خلالها كان يريد القول للمخاطبة انك كاذبة كصاحبة يوسف :-

اتـم ارعى نجـوم الليـل مـن طـار　　ومـن هجـرك دليـل حشـاي منطـار
دوك انظـر قميصـي منـين منطـار　　إهـي چـذبت وصـار الصـدگ لـيَّ

وحين يمنعه خلقه الرفيع من التغزل بامرأة خلبت لبه حين استضافته وصبت له القهوة بيمينها فانه يناجي دلة القهوة قائلاً :-

دلـــن وادلـــن ذوايبهـــه وادلـــهْ　　وگلبـــي تاهـــن افكـــاره ودلـــهْ
(فلانـــه) منيـــن لازمتـــچ يدلـــه　　أريـــد الـــزم ملازمهـــا بـــديَّ

ومن صور تأثر الشاعر بالبادية ومفرداتها تكراره الاستشهاد بالإبل والنوق والعيس وهاك امثلة على ذلك :-

يتامـــى البـــل مثلـــي مـــا تحـــن　　ربعـــي گطـــع مـــا بيهـــم تحـــن
يشـــامت دوك دمعـــي مـــا تحـــني　　چفـــوفك واليظـــل مـــنهم لـــديَّ

***

إلــك ياالخضــبت چفّــك وحنيــت　　الشــماته دگّــت ضــلوعي وحنيــت
نـــــوگي درن لغيـــــري وحنيـــــت　　وانـــا اشـــمعنى لبـــنهن شـــح علـــيَّ

ومناجياً حادي العيس عساه يكون دليله في الوصول الى حيث يقيم صديقه الشاعر جاسم الباقي يقول :-

يحـادي العـيس كـل بيـدا تصـلها　　نيـران الغضـى بگلـبي تصـلها
(يجاسـم) ويـن ديـرتكم تصـلها　　زيـارتكم فـرض واجـب علـيَّ

وخاتمة العقد في ابوذيات الشاعر ادون بيتين احدهما في الشكوى والآخر في التحدي والعتاب وهما :-

همّـي والهـوى ودنيـاي وعـداي　　علي وشلون اخف الجدم واعداي
صـابر وانتظـر وآشـوف وعـداي　　بفـرج لـو دوم دان يـدگ علـيَّ

***

آنــه آنــه يدهــري وانــت إنــت   اگلــك جــوز عــني وانتــهي انــت

مــن مثلــي ظلمتــه وانــت هنتــه   افــتراءً دون امــــر ربــي علــي

وأخيرا نود القول بعد هذا الطواف في ابوذيات الشاعر انها لكثرتها تكاد تتشابه صورها وتتكرر في بعضها ، وهو حين يصف او يشكو ويعاتب ويتذكر لا بد ان تحضر في ابياته روح الغزل بشكل ظاهر غير مخفي في كل بيت من ابوذياته تقريبا وكأنما يريد ان يقول ان الابوذية لا تصلح لغير (الهوائيات) حتى في (فراگياتها) على حد تعبيره في الكناية عن الهوى والفراق وانا أراها كذلك . كما ان من اسباب اكثاره فيها سهولة نظمها وانسيابيتها على ما اظن رغم تفضيله العتابة عليها. وابوذيات سليم تزخر بصور البادية وريف حديثة القريبة من البادية في كل تشبيهاته المألوفة اكثر من سواها في بيئته اضافة لتناصه الكبير جدا مع القرآن الكريم وقصصه وما ترد فيه من احداث ويبرز فيما يكتبه الاستفادة مما يحفظ من شعرفصيح فيقوم بتوليد ابوذياته منه مثال قوله :-

دم وألــم هــل دمعــي وجــاري   ســهرت آنـي بكــثر نــوحي وجــاري

جــار الاكثريــن بــذل وجــاري   ينــام برغــد وبعيشــه هنيــه

والبيت هنا مولد من قول السموؤل بن عادياء

ومــا ضــرنا انــا قليــل عديــدنا   وجارنـا عزيـز وجـار الاكثرين ذليـل

كما وتبرز في شعره خاصية التضمين للأمثال كقوله مضمنا المثل الشعبي (يكد ابو چزمه وياكل ابو كلاش) :-

جروحــي معمّلــه وزايــد ولمهــه   عــاللي مــا حصــل بيــدي ولمهــه

أبــو چزمــه التعــب بيهــا ولمهــه   وابــو كــلاش الأكلهــا بغــير اذيــه

وهو غالبا ما يورد اسماء لأحداث وحوادث وأعلام في أبوذياته ودون تحفظ ليضطر بعد اعادة قرائتها عليه الى ابدال الاسماء بكنى وألقاب ورموز لا تسيء لأحد . وهذا ما وددت ان انوه له وانبه القارئ عليه قبل ان اضع نقطة الختام مع الرجاء بتقبل القارئ لما دوناه ورضاه ومن الله التوفيق .

الزهيري

وشاعران حديثيان معاصران•

نظرة عامة

الزهيري او الموال و(الموليا) .. نمط من الشعر العامي الموغل في القدم يرده بعض الباحثين في التراث الى العصر الاموي حيث كان ظهوره الاول في مدينة (واسط) العراقية على السن المزارعين بينما يلحقه البعض بالعصر العباسي الاول وتحديداً في خلافة هرون الرشيد متزامنا مع أحداث نكبة البرامكة ، وانه ابتدع في بكاء يحيى البرمكي واولاده على يد واحدة من جواريه ابتدعته بأربعة اشطر . وقيل ان اسمه (الموال) مأخوذاً من مفردة (الموالي) وهم العاملون في الزراعة وفلاحة الارض من غير العرب ، او لأنهم موالون لسادتهم من العرب اصحاب الارض ، وذكر عنه انه تشكل على ايدي هؤلاء باكين فيه سادتهم من البرامكة إثر نكبتهم ولم اجد سنداً لهذين الرأيين في حين قال آخرون من الباحثين انه سمي موالا لموالاة وتتابع قوافيه لبعضها ، ويرى اغلب الباحثين في الفولكلور ان (الموال و الموليا) واحد لا تمايز بينهما باستثناء الباحث عبد الحميد الكنين الذي أنكر أي صلة بين الاثنين . ويطلق على الموال في بغداد وشمالها وغربها اسم (الزهيري) منسوباً الى رجل بغدادي اشتهر في غنائه واسمه (ملا جادر الزهيري) على حد ما ذكره كل من عبد الكريم العلاف وعلي الخاقاني ، في حين يرى عبد الحليم لاوند في كتابه (نظرات في زجل الموصل) ان هذا النوع من الغناء العامي اخذ تسميته من (أزهر الشعر.. اي أجوده) واحسنه ومن (زهر الشعر) اي جميله[1] .. ويعد الزهيري اقرب الفنون الشعرية العامية الى الشعر الفصيح لذلك

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 34 لشهر ايار 2022م

([1]) تراجع الكتب التالية :موالات بغدادية : عامر رشيد السامرائي، الفنون الشعرية غير المعربة – المواليا : الدكتور رضا محسن حمود ، الفولكلور في بغداد : محمود العبطة المحامي ، بغدادالقديمة : عبد الكريم العلاف

يجد القارئ فيه الفاظاً معربة فصيحة واخرى عامية وهذا ما حدا بالباحث عامر رشيد السامرلئي الى اعتباره معرباً اول الامر لو لم يجوّز اهل بغداد فيه اللحن ، وقد نظمه بعض الشعراء معرباً فصيحاً في حين نظمه اخرين ملحونا[1] ، إلا اني على كثرة ما قرأت وتابعت لم اجد منه بيتاً منظوماً باللغة الفصيحة سوى ما اورده السامرائي في كتابه موالات بغدادية منقولاً عن مخطوط قديم اخذ عنه الموال الرباعي الاتي :-

ألا قـم ايهـا السـاقـي فناجينـا   واشرب من القهوة الشقرا فناجينا

نحن الذي ان دعا داعي الفنا جينا   وفي الحمى ان تسل عنّا فناجينا

وهذا من فصيح الموال الرباعي ولم يذكر السامرائي ولا سواه من الموال السباعي (الزهيري) الشائع بيتا كتب باللغة الفصيحة الى وقت متأخر حيث نظم فيه بعض شعراؤنا المحدثين ابياتاً جميلة كالذي اورده الشاعر الموصلي عبدالمنعم الامير في مجموعته الشعرية (ما سقط سهواً من ذاكرة الحلم) وتحت عنوان (ازهيري) وفيه يقول :

يـا مُنيـة القلـب في قلـبي الهـوى وِقَـرا

منــذ انكتبــتِ علـى شطآنــه وَقَـرا

مدائــن غرقــت فـي موجــه وقُــرى

إن هـاج فيه الجوى والشوق أو صـالا

ممــزق فــي الهــوى لُمّيِــه أوصـــالا

لا تقتليــهِ، فــإن اللـــه أوصـــى.. لا

او تحرميــه نــوالاً مــن لَمَــى وَقِــرا

وللشاعر على حد علمي ومتابعتي ابياتاً اخرى وان كانت قليلة ، في حين كتب الشاعر البصري علي الامارة جملة ابيات واصدرها ضمن مجموعته الشعرية (خمسميل) وقد ذكر لي في محادثة هاتفية بيننا بتاريخ 2022/1/29م انه يُعد اول من كتب الزهيري باللغة الفصيحة عام 1985م ونشر بيتاً منه في جريدة القادسية التي كانت تصدر آنذاك .. ثم سار على اثره عدد من الشعراء الا

([1]) ينظر كتاب موالات بغدادية : عامر رشيد السامرائي

انهم لم يواصلوا ومنهم الشاعر رعد بندر وآخرين . ومن جميل زهيريات علي الامارة البيت :-

أوقـد غرامـك ان الشـوق فيّ وقـد
وقطّـع الحـب اوصـال المحـب وقـد
لـم يبـق في الـدار إلا الـذكريات وقـد
جفـت ينابيعهـا مـذ جـف ناديهـا
ولـم يعـد يجمـع الاحبـاب ناديهـا
مـن يسـتطيع بـلا صـوت يناديهـا
ضاعت ملامحنا مذ ضاع جيد وقد

كما دخلت انا الحديثي طلال السليم هذا المضمار وكتبت سبعة ابيات إيام النزوح لا أعادها الله نشرت اربعة منها في مجموعتي الشعرية (سِفر النزوح) ومنها البيت :-

إياك تشكو عند من بك يشمتون اذا وهِنت
وتحرّ دربك قد دخلت مفاوزاً تضني وهنت ها انت
ما بين نارينِ وقعت فلا تهن ، إن أنت هنت
سيضيع ما أنشأتهُ وبنيتَ في وضح النهار
وتشد في وجعٍ على جرف تصدّع وهو هار
أتراكَ ترضى أن ترد على انهيارك بانهيار؟
أين التفكر؟ إن فعلت على موائدهم أُهنت

وفي العودة الى موضوعنا عن الزهيري باللهجة العامية نقول انه من بحر البسيط ويتألف من سبعة اشطر تنتهي الثلاثة الاولى مع الشطر السابع (القفل) بمفردة موحدة اللفظ مختلفة المعنى في حين تستقل الاشطر الثلاثة الثانية من البيت بلفظة مغايرة لسابقتها موحدة لفظاً مختلفة معنى ، ومن أبرز الابواب التي طرقها شعراء الزهيري الفخر والاعتداد بالنفس اضافة لأبواب الغزل والشكوى ، ويشتهر قراء المقام العراقي بكتابة الزهيري لإدائهم إياه مع او ضمن مقاماتهم ، ويمكن ان يتعدى الزهيري الى التسعة اشطر وهو نادر او يختزل الى

اربعة وخمسة ويسمى (الأعرج) على ان يحافظ على ذات النظام في تنسيق المفردات الاخيرة للاشطر (القافية) ويسمى حينها بحسب عدد اشطره فيقال عنه (مخمس ومتسع) و (مسبع) وهو الشائع وموضوع بحثنا هذا الذي سنوقفه لشاعرين معاصرين من شعراء مدينتي (حديثة) وهما نجيب سليم آل جعفر وثائر ثابت الحديثي ، وأود قبل الدخول لعالم الشاعرين الاشارة الى نقطة مهمة يكاد يجمع عليها شعراء الزهيري الاوائل تتمثل في تضمين الشاعر لحكمة او مثل شائع او تقرير حالة للشاعر ينهي بها نظمه ضمن قفل البيت اي شطره السابع ومثال ذلك قول الشاعر جاسم الخابوري :

گلبـي تمـزّگ بحسـبات الولـف فتّـي [1]

ومـن الـرِدا والهضـم مـا شـفت إلي فـتي [2]

المصلحـه بالثـَرد هَيـري ولـچ فتـّي [3]

لا هـي هنيّـه ولاهـي عالگلـب سَـهلا

ينراد مـن يحمـل العوجـه ايبدّلـه بسـهلا

انچـان خلّـك بـسْ أهـلا وتتبعـه سـهلا

اعلـم تـرى عشـرتك لا حـتّي ولا فـتّي [4]

وفيه يبدو المثل الشعبي (فلان لا حتي ولا فتي) والماخوذ من الفصيح (لا فت ولا حت.. اي لا يرتجى منه شيء) . او كقول الشاعر الحديثي سليم العبدالله:-

---

([1]) تفتته لقطع صغيرة (فتافيت)

([2]) شق

([3]) تفت الخبز وتقطعه

([4]) لا شيء (ما في يدي فت ولا حت) من الامثال العربية

يـا زيـن الاوصـاف يـا مـن چالبـدر وجنـاك
طـوبى لبيــت حــواك وأرثــك واجنــاك[1]
گصدي أجيبك على روس العدا واجناك[2]
وآگــول يــا زيــن جدمــك يمّنــه مــا هــوى
وآنا من أجلك صرت مجنون صاحب هوى
لـو يختبـر حالتـي نعمـان قاضـي الهـوى[3]
چنـت افتكـر بي عيونـك واقتـدي بوجنـاك

وتقرير الحال في قفل البيت واضحة جلية من خلال اتخاذ صفات المحبوب تفكراً وقدوة... والبيت من ضمن ما استشهد به الدكتور سعدي الحديثي في رسالته لنيل شهادة الماجستير عن الغناء في المنطقة الغربية كما غناه بصوته اضافة لبيت مشابه له (يا زين الاوصاف يا من چالبدر فرگاك) لنفس الشاعر وعنه اخذه العديد من المغنين وردده وسجلوه، وسوى هذين الشاهدين من الزهيري الكثير بذات المعنى والمبنى .

الزهيري في حديثة

انفرد في كتابة الزهيري بمدينة حديثة شاعران لم نعثر لثالث لهما وهما (ابراهيم داود الدللي) وسبق ان كتبنا عنه في العدد (2021/16م) من مجلتكم الغراء وسبطه (سليم العبدالله) الذي ورث عنه قول الشعر ونظمه ولم يضاف لهما شاعر اخر في هذا النمط من الشعر العامي حتى تسعينات القرن الماضي حيث برز في حديثة مجموعة من الشعراء زاولوا الكتابة فيه وان لم يرتقوا في شعرهم للشاعرين الرائدين (ابراهيم و سليم) . وممن كتب الزهيري في التاريخ المشار اليه وما تلاه عدا الشاعران موضوع بحثنا (نجيب وثائر) كل من المرحوم

(1) ربّاك واقتناك
(2) احتفظ بك او امتلكك (اجنيك)
(3) نعمان قاضي الهوى : هو النعمان بن المنذر وله مع الانس والهوى حكايات واحكام

عادل الدرة وياسر ابو ايوب ومهند ناطق وطلال السليم وبرزان عبد العزيز الهاشمي رحمه الله ومن شعره البيت :-

وجعـــان گلبـــي ودمعـــي عالـوجـــن لايجـــي

وثـوب الحـزن بـس إلي دون الخلـگ لايجي

المـاراد صحبــه إلـي ومهمــوم انــا لا يجــي

روحـي ســباها الــدهر بالضــيم والجــوري

صاوغتهــم اشـــرفي ومـــن الـــورد جـــوري

حمّـل سـلامي عـدل يـا صـاحبي لجـوري[1]

وگلـــه شـــاص الحمـــل لا يتعـــب ولا يجـــي

وله ابيات اخرى ليست بالكثيرة بذات المستوى كما لسواه ممن ذكرنا من الشعراء .. اما فيما يخص الشاعران نجيب وثائر فقد أوغلا في عالم الزهيري وكتبا مجاميع شعرية وعنهما نقول ...

اولا / نجيب سليم آل جعفر

ولد الحاج نجيب سليم ال جعفر الحديثي عام 1937م في حديثة في بيت شعر وادب ما فيه الا شاعر او محب للشعر مدمن سماعه وقراءته والتحدث والاستشهاد به فهو ابن شاعر وحفيد شاعر واخ لشعراء . ونجيب شاعر غزل من الطراز الاول . تميز شعره بجمالية مفرداته التي كان يحسن انتقائها وبساطة تركيبه القصيدة التي كان ينحو بها منحى الاندلسيين في موشحاتهم من تعدد في القوافي وسهولة ممتنعة إلا على الشعراء الحقيقيين الذين أهلتهم الفطرة ان يكونوا كذلك لذا نرى ان معظم قصائده مؤهلة لأن تكون مغناة لو تهيأ ملحن لها ولعل احساسه بذلك كان من اسباب ولوجه عالم الشعر العامي الذي تميز به عن سواه وكتب في جميع انماطه بقدرة وتمكن وله فيه مخطوطة شعرية جميلة أودعني إياها خوفا عليها من الضياع بعد ان كبر وشاخ .

---

(1) جوري : اسم علم

انهى نجيب دراسته الابتدائية والمتوسطة في حديثة التي غادرها ملتحقاً بالاعدادية الجعفرية في بغداد وعمل اثناء دراسته في دائرة بريد السراي/ بغداد قبل ان ينهيها ملتحقاً بمعهد (باستور للتحليلات المرضية) ليتخرج منه بعنوان مساعد مختبر اهله للتوظف في مستشفى الفلوجة حال تخرجه ومنها وبعد خدمة وظيفية لبضع سنين تنقل بين مستشفيات عديدة داخل المحافظة وخارجها حتى اذا بلغ السن القانوني احيل الى التقاعد نهاية ثمانينات القرن الماضي من اخر محطة وظيفية له في مستشفى حديثة التي غادرها والمدينة كذلك الى مدينة كركوك حيث اقام فيها وما يزال اطال الله عمره .

اصدر مجموعته الشعرية الاولى (لظى الوجد) عام 1974م وصدرت له عن اتحاد الادباء العراقي مجموعته الاخيرة (عندما تنز الجراح) اواخر العام الماضي وبين المجموعتين والتاريخين صدرت له خمس مجاميع شعرية هي على التوالي (ليل بلا نجوم ، مراسى الرحيل ، ليل في الدروب ، زوابع الخريف ، المحارة المستباحة) ويندرج شعره الفصيح ضمن السهل الممتنع السلس الجميل اما زهيريات الحاج نجيب فتتميز عدا الجمال بالرصانة والوجع الذي افرغه في معظم نظمه الشعري العامي بما في ذلك غزلياته فيه ، وفي شعر نجيب يتجلى طابع الشكوى من الجفاء ونكران الجميل لمن احب وصاحب وبذل واعطى كما تناول في زهيرياته الجانب السياسي الذي يخص بلده ،وهو رجل كريم بطبعه حلو المجلس رقيق في احاسيسه متمكن من صنعته . اما فيما يخص زهيرياته فقد وجدته قد تميز بها عن سواه بتكراره لمفردة موحدة معنى ومبنى في الشطرين الاول والسابع من البيت ، بل يكاد ان يكرر في قفل البيت (الشطر السابع) نصف الشطر الاول لا حرف الروي ومفردة القافية وحسب كما هو معتاد ، وفي ادناه مختارات من زهيرياته التي تجاوزت العشرون بيتاً كما مدون في مخطوطته عساها تنال رضا القارئ

الايـــام مهمـــا صفـــت يبقـــى بكـــدر حـــالها
من عگب طيب اللقا بضيم الهجر حالها[1]
ارواحنـــا اتعگـــدت يصعـــب علـــي حالهـــا[2]
وســـنين عمـــري گضـــن بـــين الســـهر والهـــم
حنضـــل شـــرابي صـــفا اطحـــن صـــبر والهـــم
والحيـــل منّـــي ركـــد مـــن الجـــدم للهـــام
چيـــف العـــلاج وصـــفت روحي بكـــدر حالهـــا

***

يامـــا بشـــوك وحســـك ودروب كلهـــا وحـــل [3]
جيتـــك انـــا معتـــني خطـــار عنـــدك واحـــل [4]
مـــا جيـــت قاضـــي الـــك انظـــر بـــأمرك واحـــل
ظنيـــت مـــا تردنـــي وتگـــول إلـــي خلّهـــا
وتخـــبط علينـــه العســـل يـــا صـــاحبي وخلهـــا
تضيّـــع ايـــامٍ لـــنا چنـــت انـــا خِلّهـــا [5]
شـــتريد حـــافي أظـــل وامشـــي بشـــوك ووحـــل؟

***

([1]) أحالها وصيّرها

([2]) حل عقدها

([3]) طين ممزوج بالماء

([4]) اقيم واستقر

([5]) الخليل والصاحب

هبـت علينـه صـبا مـن صـوبكم ماطـره
بيهـا يمـر خاطـري ولغيـركم مـا طـرا
سـقّان مـا لـي سـفن ابحـر ولا مـاطره[1]
ودروبكـم أوعـرت مـا ظـل بهـا عـادله
ببـلاد مـا حاكـمٍ أحكامـه عادلـه
صـار الغـدر بالشـعب يـا صـاحبي عادلـه[2]
يـا عـل غيـث الفـرج يـاتي بمـزن ماطـره
***

يـا مـا زرعـت الگلـب إلكـم مـزارع هيـل
وهِلـتْ المحبـه علـى راس الأحـبهم هيـل[3]
مـن حيـث بـدر الـدجى مـن اجلكم بي هـل
وانـواركم لجلجـت واضـوت علينـه وصـفت
وشـما كتبـت الشـعر والقافيـات وصـفت[4]
ما ظلْ سهم ينقسم للغير قسمه وصفت[5]
كلهـا الـك صافيـه ومعطـرات بهيـل
***

([1]) الماطور : المحرك للآلة ويطلق الاسم على الدراجة البخارية
([2]) عادة له
([3]) اهال ونثر
([4]) الوصف
([5]) صارت ودالت اليه

شكـواك يـا صـاحبي گلـي القلـم عـاده لـك
من يوم انا صرت الك عند المحب عادلك[1]
منــزل الــك بالگلــب مــا بيــه مــن عَادلــك
مــا لــي سـواكــم هــوى ولغيركـم ســالي[2]
اكتــب لهــم يــا قلــم مــن عنهــم سالــي[3]
انتـــم دوا ضامـــري وغيابكـــم سالـــي[4]
مُر التجافي صعب ، خلي الوصل عاده لك

***

ثانيا / ثائر ثابت الحديثي

هو ثائر ثابت حسن الظاهر الغساني الحديثي من مواليد 1963م . ولد ونشأ وانهى دراسته الابتدائية والمتوسطة والاعدادية في حديثة ثم التحق بعد ذلك بـ (المعهد الصحي الفني) ببغداد وتخرج منه عام 1986م ليلتحق بجامعة بغداد – كلية الاداب - قسم الاعلام وتخرج منها عام 2004م وكان قد سبق له ان توظف في مديرية مستشفى حديثة عام 1986م غير ان وظيفته هذه لم تقف حائلاً بينه وبين الاعلام الذي عمل في مجالاته المرئية والمسموعة والمقروءة كما شارك في العديد من المهرجانات الادبية داخل محافظته وهو ناشط في مجالات اخرى والناطق الاعلامي لمنظمة حمورابي لمراقبة الديمقراطية وحقوق الانسان وشاعر فصيح له مجموعة شعرية مطبوعة تحت عنوان (اشواق طائر الماء) تضم عشرون قصيدة من الشعر العمودي يقف فيها ثائر شاعراً متماسكاً متمكناً فيما يكتبه ، وله عدا ذلك مجاميع شعرية مخطوطة اخرى بالشعر القديم والحديث على السواء .

([1]) عدو لك
([2]) سالي : النسيان .. من السلو
([3]) سؤالي
([4]) سلني واذابني

كتب ثائر الشعر العامي بجميع انواعه وابدع فيها وله مخطوط في ذلك اطلعت عليه يضم بين دفتيه من الزهيريات ما يقارب الثلاثين بيتا تميزت جميعها بالمفردة الانيقة اضافة لجمالية التشكيل وسلاسة النظم ومن غريب ما يميز زهيرياته انها اقتصرت جميعها على الغزل دون ابواب الشعر الاخرى من فخر وشكوى مثلاً مما يرافق الزهيري وشعرائه بشكل عام ، ولعل لبساطة ثائر وانصرافه عن الآخرين وحكاية حب له كانت ولم تكتمل ، الاثر المباشر الذي طبع شعره العامي على وجه الخصوص بطابع الغزل دون سواه ، وثائر الشاعر رجل سخي طيب الخلق هادئ الطبع محبوب من معارفه غير مدع ولا مغرور ، ومن شعره اخترت ابياتاً في ادناه عساها تنال رضا المتلقي .

مشعل ضوانه علا يضوي وابد ما خِفت

وروحي بحچيها اوضحت واي شي ابد ما

واجدام الي بالهوى لغيرك ابد ما خفت[1]

أحو ينار الهجر تلهب حشاي وتنس

تخليت بالموزمه وعني تلوذ وتنس[2]

ذميت بيك الطبع وگفاتي إلكم تنس[3]

من الخلگ ما تستحي من الله ابد ما خفت؟

***

(1) اسرعت

(2) تتجنب

(3) تنسى

تسـبي الرصـافه وكـرخ يسـمر ولـك شـامتك
روض بربيـع العمـر عنبـر ولـك شـامتك[1]
شـحچي شسـولف بعد معروفه كل شـامتك
ابدمْي حبك صفا وبعضاي جسمي يسـر[2]
ومن بعد هجرك تظن للگلب ظل شي يسر؟
يطولـن ليـالي الجفـا ومـن بعـد عسـرٍ يسـر
يـا گلـب بالـك تـون يفـرح ولـك شامتـك

***

عنبـر يعطـر التـرف بيـه الـورد شـفتاه[3]
اسـكر بلايـه خمـر يـا نـاس مـن شـفتاه[4]
شـيرويه بيـك الگلـب لـو مـره اخـذ شـفتاه
عطشـان طـول العمـر لحظـات مـا ترويـه
سـالوفه لاهـل العشـگ بـيكم تظـل ترويـه
ابصـدك نجـوم الظهـر وبعـزّه لـك ترويـه[5]
يـا گلـب هـذا الـذي جنيـت مـن شـفتاه

***

([1]) الشم والتقبيل
([2]) يسري
([3]) شف وضعف وتاه
([4]) رأيته انا
([5]) تريه انت

حملك كسرلي الظهر ما ترضى حملي تشل
ويه زماني الغدر بعضاي جسمي تشل[1]
يمك صفت حالتي ولجرحي يمته تشل[2]
الروح ليك اشتهت وتهيم بمغازلك
صوفه وطواني الوكت يا ترف بمغازلك
ماي وجريت برمل دليني بمغازلك[3]
تفيض بربيعك چنت ، شجاك وعليّ

***

عنبر تفوح ومسچ يبقى الگلب شاملك[5]
تفيض بمحنه ووفى حلوات كل شاملك
فدوه انذرت كل هلي يا ترف والشام الك
تميت اباري الوكت بيك آنه أحصد واجن[6]
ما هيمالي الگلب حلوات راحن واجن
ضيعت سنّه وفرض والعگل شارد وجن
من شفت فوگ الحنچ عنبر ترف شاملك[7]

([1]) تشله .. تصيبه بالشلل
([2]) تشل .. تخيط
([3]) مغزى لك وهدف
([4]) تشل : تضعف .. من الوشالة وهي قلة الماء
([5]) يشملك بكاملك .. شامل
([6]) اجني : اقتني وامتلك
([7]) شامة لك

علمان عالمان من مدينتي•

بعد طواف بين مقالاتي المشورة في مجلة (صدى الريف) وجدتني قد أوقفت جل ما كتبته للادب العامي إذ لم اجد امتع منه تدويناً وقراءة ، وحتى لا يأخذني هذا الطواف الى الرسو في موانئ الادب وحسب ارتأيت الخروج على ذلك بعد ان طُلب مني مقالاً لعدد جديد من المجلة حين تأخرت في التواصل مع القائمين عليها جزاهم الله خيراً لظروف بيتية وصحية طارئة ، وكي لا أرهق نفسي في تتبع المصادر اتكأت على الذاكرة مستخرجاً بعض ما مركون بين رفوفها من حلو الحديث وممتعه فاخترت انتقاء حديث عن شخصيتين دينيتين مهمتين تركتا أثراً طيباً وذكراً حسناً في مدينتي (حديثة) من قبل ومن بعد وحتى هذه الساعة . إنهما العلمان العالمان الجليلان الحاج طاهر المغربي والسيد ابراهيم الآلوسي رضي الله عنهما وأثابهما عمّا تركاه أجراً ورحمة فإليهما اعتماداً على الذاكرة والاحاديث الشفاهية لا المدونة عساها تفي لهما بعض حقهما اللذان أهملهما الكتاب والمؤرخين والمدونين وعساني أُرضي القارئ وأرفده بما هو جميل ومفيد ... فإليهما :-

1// الحاج طاهر المغربي (حجي طاهر)

ذهب المرحوم دللي ابراهيم آل جعفر أواخر ثلاثينيات القرن الماضي الى بغداد زائراً ، ولأنه ممن نهج نهجاً دينياً قريباً من التصوف النقي المعتدل كان لا بد له وفي كل رحلة لبغداد من التوجه الى مقام وضريح الشيخ غبد القادر الگيلاني قدس الله سره للزيارة والتبرك والصلاة ، وهناك في ذلك الجامع وفي تلك الزيارة قال ما معناه : اعترضني رجل معمم تبدو عليه سيما الوقار من الغرباء الذين كانوا يقيمون في جامع الشيخ الگيلاني طالباً مني مرافقته إياي ، وحين أوضحت له أنني لست من أهل المدينة واني أقيم في مدينة بعيدة اسمها

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 37 لشهر ايلول 2022م

حديثة من مدن لواء الدليم (الانبار) وسأعود اليها بعد حين أجابني بأني أريد مصاحبتك حيث تقيم فرحبت به وكان له ما أراد مودعاً بغداد مرافقاً لي الى مدينتي . تلك كانت الخطوة الاولى التي خطاها الحاج طاهر المغربي بمعيتي وباتجاه مدينتي مودعاً المكان الذي أقام فيه وأحبه . إنه الحاج طاهر المغربي كما عرّف نفسه ، والحاج طاهر رحمه الله واحد من المجاهدين الليبيين الذين قاتلوا الطليان في ليبيا تحت قيادة الشهيد عمر المختار ومن مقاتليه الذين تشردوا في أصقاع الارض بعد استشهاد قائدهم حيث ترك مدينته الليبية (بنغازي) والتجأ لبغداد وأقام فيها ثم حط ركابه في حديثة غرب العراق ضيفاً مقيماً في ديوان صاحبه دللي الابراهيم رئيس آل جعفر وشيخهم واستمر كذلك حتى وفاته دون الإفصاح عمّا بداخله من أسرار ظلت مجهولة ولم يشأ صاحبه استكشافها حفظاً له ولمقامه مذ اتخذ منه أخاً وعدّه واحد من أفراد أسرته وإن ظهرت للرجل كرامات كان يتحدث بها الحديثيون وما زال الكثير منهم يورد بعضها ، وعنه يذكر أنه كان عابداً تقياً صبوراً عصبي المزاج أحياناً غير انه نظيف السريرة لذلك ترك في النفوس أثراً طيباً لما كان عليه من خلق وعلم وتواضع فأحبه الناس وأحبهم للحد الذي أثارت مكانته بعضاً من الموتورين فوشا به الى السلطة المحلية بعد إجراء التعداد السكاني الأول في العراق عام 1947م كونه غريباً وغير متجنس ويقيم عند دللي الابراهيم دون علم السلطة به وبسر قدومه لحديثة ومكوثه فيها مما اضطره الى التخفي لحين تدخل صاحبه بما لديه من مكانة في مدينته وإلغاء أمر ملاحقته ليحيا أثر ذلك مضطرباً ثم متخذاً القرار بمغادرة حديثة الى سوريا رغم اعتراض مضيفه الذي لم يفلح في ثنيه عما قرر وارتأى ، وشد الحاج طاهر رحاله مهاجراً من جديد لأسابيع عاد بعدها الى (بيت دللي) مبرراً عودته بطائف طاف عليه في منامه وهو قريباً من (دير الزور) السورية قائلاً له (لا تتعب نفسك وين تروح ما تموت إلا يم دللي) ولذلك - يقول - عدت إليكم من جديد . لقد أسعدت عودته دللي الذي كان قد أحبه وألِفه حتى عدّه واحداً من أسرته مطلقاً اسمه بعد وفاته على أصغر أولاده متبركاً بذكره وذكراه .

تنقل الحاج طاهر بعد استقراره بين حديثة وآلوس وقراها وصاحب رجالها غير أن اقامته الدائمة كانت في ديوان صاحبه ومنه يخرج واليه يعود دون أن يثير استفهاماً عند أحد رغم تحدث البعض من أهل القرى عن كرامات كانت تبدو على الرجل تتلخص في صبره وقدرته على شفاء المرضى بالرقية والقراءة وأشياء أخرى أفصح عن واحدة منها السيد علي بن محمد الآلوسي وهو من الرجال الصالحين رحمه الله بعد وفاته محدثاً عن سفرة له وإياه الى آلوس في يوم شتائي بارد لزيارة ضريحا رجلين من أولياء الله مدفونان في آلوس هما (مصطفى الحجي) و (عبد الواحد الطيار) وأنهما ما أن وصلا الى شواطئ (شريعة) آلوس حتى أُسقط في أيديهما إذ لم يجدا وسيلة النقل النهري (الشختور) في مكانها . يقول السيد علي ان الحاج طاهر التفت اليَّ قائلاً (ها سيد تعبرني لو أعبرك؟) وحين اندهشت لسؤاله وكيف لي وبم أعبر به ولا واسطة نقل تنقلنا الى الضفة الاخرى فما أحسست إلا بيد تمسكني من ذراعي وتسحبني بقوة وجدت نفسي بعدها على تراب آلوس . وحين حدّقت به مندهشا قال لي (سيد علي ، إذا واحد سمع باللي صار وأنا حي فلا تأمن عاقبة ما يحدث ولا تلوم غير نفسك) فأجبته : أبداً أبداً يا حجي . ولم يتحدث السيد علي رحمه الله بذلك إلا بعد وفاة الحاج طاهر حفظاً لسره ولما عاهده عليه . ومن كراماته ما يذكره الحاج عواد خضير الهاشمي نقلاً عن والده الحاج خضير العباس أنه كان في ديوانه في قريته البعيدة عن بيت دللي حيث يقيم الحاج طاهر ، وكان يعبث بسلاح ناري (مسدس) انطلقت منه سهواً رصاصة كادت أن تصيب احدهم ، يقول فما شعرت بعد برهة إلا بوقوف الحاج طاهر بباب الديوان مغتاظاً صائحاً بأعلى صوته (شسويت يا ابن عباس؟) فاستسمحته واعتذرت معاهداً على عدم تكرار ذلك ثانية . ومن كراماته حادثة مغادرته حديثة ثم العودة اليها تبعاً لرؤيا رآها وصرّح بها حين عاد ليستقر بعدها في ديوان دللي مرحباً به حتى وافته المنية عام 1952م . اعتبره صاحب البيت خلالها واحداً من أُسرته وأقام له مجلس عزاء (فاتحة) وواضب على تضحيته ثم منح اسمه لأصغر اولاده كما اسلفنا .

توفي الحاج طاهر ولم يتعرف عليه أحد من أهل بلده ولم يترك أثراً غير الذكر الحسن ومجموعة من كتب الفقه ما زال مكانها محفوظاً في مكتبة الاستاذ

المحامي محمود دللي آل جعفر. مات الغريب التقي الذي أحبه أهل حديثة ولم نعيهِ ولم نر له صورة إذ لا صورة له عند أحد حتى عام 1985م حيث كنت في زيارة لشقيقتي الكبرى (ام خالد) زوجة السيد (الياس أفندي السيد خضر الملا عبدالله الموسوي) الذي اتخذ من مدينة الحلة مستقراً له بعد تقاعده رحمهما الله ودار الحديث بيننا حول الحاج طاهر الذي كان من أحباء الياس افندي ففاجئتني بصورة للحاج طاهر كان قد التقطها له أبا خالد (الياس) رحمه الله حيث كان يداوم على زيارته ومجالسته ومرافقته في بعض سفراته وأهدتني إياها حين رأت اهتمامي بالحديث عنه وقمت بنشرها عام 2012م على موقع الفيسبوك مع نبذة عن صاحبها فتداولها الكثير من محبيه إذ كانت الصورة الوحيدة له وما أزال أحتفظ بالنسخة الأصلية لها وأعدها من أهم مقتنياتي . رحم الله الحاج طاهر المغربي وغمره بعفوه ورضاه ... أما الان فإلى العلم العالم الثاني السيد ابراهيم الآلوسي وهو واحد من التقاة ومن جلساء الحاج طاهر والاخ الشقيق للسيد علي الآلوسي الذي مر ذكره في الحديث اعلاه .

2// السيد ابراهيم الآلوسي

ولد السيد ابراهيم بن السيد محمد بن السيد داود الآلوسي من (بيت الحجي) نسبة الى جدهم الرجل الصالح (الحاج مصطفى الآلوسي) دفين (آلوس) ومن ذرية الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في (حويجة آلوس – حديثة) عام 1897م . ولما بلغ سن التعلم ألحقه والده في (الكتاب) للتعلم على يد المشايخ والملالي كما كان معمولاً في تلك الايام حيث أتم قراءة القرآن الكريم قراءة وإداءً حتى اذا توفى الله والده وهو دون سن الرشد لازم عمه السيد عبد الحميد الالوسي وأخذ عنه العلم فكان له بمثابة الاب والشيخ والمعلم وعليه قرأ العديد من كتب اللغة والفقه كما أخذ عن سواه من العلماء الأجلاء أمثال الملا محمد بن عيسى المشهداني والشيخ احمد شوقي والسيد سليمان الالوسي ثم الشيخ محمد سعيد الخطيب وغيرهم ، وتلا ذلك توظفه واعظا لمنطقة حديثة وريفها عام 1947م ملقٍ بمواعظه في جامع حديثة الكبير (الشرقي) الواقع في جنوبها وجامع القلعة في شمالها قبل استلامه الخطابة في الجامع الشرقي بعد وفاة خطيبه الرسمي السيد (شويش

الخطيب بن عبد الباقي بن عبدالله بن عبد الحميد الملقب – ابو مايلة – من آل ملا عبدالله وهم من الأسر الحديثية العريقة) وبعد ان تغير اسم الجامع الى (جامع الفاروق) عام 1950م تيمناً باسم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) فاتح العراق ومخلّصه من النفوذ الفارسي وأسوة بجامعي الفاروق في مدن (هيت) و(جبة) حيث تأسست الجوامع الثلاثة في وقت واحد وبعد الفتح الاسلامي المذكور للمنطقة ، ثم انتقل الى جامع (الخريزة) الواقع وسط حويجة حديثة بين الجامعين المذكورين أعلاه بعد إتمام بنائه عام 1958م ومنه أحيل الى التقاعد عام 1969م .

لقد كان السيد ابراهيم الالوسي من العلماء الأعلام في مناطق غرب العراق لاتصافه بطيب النفس والتواضع وجمال الحديث وصدقه وطريقته في إيصال الحديث للمتلقي باسلوب سلس مفهوم من الصغار والكبار على السواء لذلك كان وعظه مسموعاً ومطاعاً كما كان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم وله مجلسه وديوانه حيث أقام محدثاً وموجهاً للخير فيه وفي دواوين حديثة ومجالسها التي كان يتردد عليها بالنصح والموعظة الحسنة إضافة لجولات شهرية كان يزاولها بنشاط وهمة بين قرى وأرياف حديثة وما حولها مرشداً وخادماً لدعوة دينه عاملاً على تنقيته من البدع والخرافات التي سادت المجتمع موجهاً بضرورة التوبة الخالصة والاتمار بأمر الله والانتهاء عن نواهيه ومخالقة الناس بخلق حسن حتى ظهر تأثير دعوته لا على العوائل المسلمة وحسب بل تعداها الى بعض العوائل المسيحية التي كانت تكثر في حديثة ويستقر معظمها في محطة ك/3 لضخ النفط التابعة لشركة النفط العراقية آن ذاك وللحد الذي استعان بعضها به في ترقية أطفالهم إيمانا منهم بصدق الرجل وما يتمتع به من ذكاء وبساطة وحسن معاشرة في التعامل مع الجميع على اختلاف معتقداتهم داعياً الى التواصل والتزاور وصلة الأرحام والتسامي عن صغائر الأمور . ومن مآثره رحمه الله في المدينة أنه وبمعية التقاة ومنهم المرحوم دللي الابراهيم آل جعفر عملوا على إبطال عادة خروج النساء الى المقابر خلف الجنائز عند تشييعها ، واني لأذكر وما أزال أعي وأنا طفل آخر جنازة وقف المرحوم دللي الابراهيم لما كان له من كلمة مسموعة وبتعاون مع السيد ابراهيم حينها في وجه النساء وحال بينهن وبين مسيرتهن خلف جنازة لم أعد اذكر صاحبها حين كان يسير بها المشيعون الى مثواها الأخير ، وهذا ما يسجل له حين أنهى أسوأ عادة

جاهلية كانت تسود المدينة عدا عادات أخريات كالجهر في الافطار وفتح بعض المجالس والدواوين في نهار شهر رمضان . لقد احتل السيد ابراهيم مكانة رفيعة في قلوب الحديثيين وحاز على حبهم وثقتهم لذلك ما عادوا يقطعون أمراً يخص الدين وأحكامه دون استشارته والأخذ برأيه فيها . ولم يكن الرجل وقد شهدت بعض مجالسه رجل دين وحسب بل كان أديباً مثقفاً ومسلماً وسطياً ذا صوت شجي تخشع له القلوب في القراءة والخطابة على السواء وذو خط جميل وحافظة عجيبة لا تفوته صغيرة ولا كبيرة مستعيناً بما وعاه عن أساتذته وشيوخه ومتكئاً على مكتبة ثرية بمختلف العلوم كان يمتلكها فهو لا يُرى إلا قارئاً أو مصلياً ومسبحاً تشهد له المجالس بحسن المنطق وسداد الرأي كما ويؤثر عنه جمعه كتاباً في الفتاوي على مذهب الامام أبي حنيفة وآخر للقصائد الشعرية النبوية وثالث في الخطب المنبرية وكشكول جامع لشتى العلوم والمعارف ، ومما علمته عنه طاب ثراه أنه كان من أجمل من يؤدي المدائح النبوية مصاحبة الدف وإن لم اشهد ذلك بنفسي ، وله عدا ذلك مزايا أُخر جعلت منه علامة مضيئة في أجواء حديثة التي بكته حين توفاه الله في 1993/4/8م أرضا وسماء ورجالاً ونساء بألم وحزن ممض كنت شاهد وداعه الاخير مشاركاً في تشييعه الى مثواه في (مقبرة السيد علي / بني داهر- حديثة) وكان تشييعاً مهيباً شارك فيه عموم الحديثيين رغم الجو العاصف الممطر والغير مسبوق من قبل حينها والمصحوب برياح شديدة تسببت باقتلاع بعض الاشجار وقطع التيار الكهربائي عن المدينة . لقد بكت السماء والارض الفقيد الذي ترك خلفه ذرية صالحة يقوم عليها اليوم ولده الحاج السيد محمد سعيد الآلوسي أطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية منهياً حديثي هذا عن الفقيد طيب الله ثراه بذكر لبيتين من الشعر كان يرددها وفيها يقول شاعرها :-

يا لهف نفسي على شيئين لو جمعا　　عندي لكنت إذن من أسعد البشر

كفاف عيش وقاني ذل مسألة　　وخدمة العلم حتى آخر العمر

وقد حقق الله له ما تلهفت اليه نفسه فترك ذكراً طيباً له ولأسرته وذويه من بعده تغمده الله بواسع رحمته ورضي عنه وأرضاه .

مع الادب الشعبي الفلسطيني المقاوم•

لا أرى ونحن نعيش محنة اليوم المتمثلة بالحرب الطاحنة التي يخوضها اهلنا في غزة العزة منفردين بعد ان تخلى عنهم العرب ممثلون بحكومات وقيادات متصهينة وشعوب متخاذلة اتخذت نهج (المشي جنب الحيط) كما يقول اهل مصر ويفعلون ، تاركين اخوانهم وابناء جلدتهم محاصرين براً وبحراً وجواً من الاشقاء قبل الاعداء محرومين حتى من الماء والغذاء في مواجهة اعنف هجمة صهيونية صليبية إلا ان أمر - تبرئة للذمة - ومن باب (هذا ما اقدر عليه) وهو اضعف الايمان غير معذور رغم عجزي عن الفعل الذي يجب ان يكون سوى ان اذكّر بفلسطين ثورة وثائرين من خلال الوقوف مع ادبهم الشعبي (العامي) المقاوم الذي انطلق عام 1929 م متزامناً مع ثورة البراق الاولى وما تلاها في القرن الماضي ومتوافقاً مع ثورة القسام (الشيخ عز الدين) وما سبقها وتلاها من احداث وانتفاضات مبتدئاً بشاعر الثورة الفلسطينية الاول ورائد الشعر الثوري هناك الشاعر الشهيد نوح ابراهيم شاعر ومغني الاعراس المولود عام 1913 م متقدماً على وعد بلفور المشؤوم ببضع سنين والذي استمع اليه مصادفة الشيخ الشهيد عز الدين القسام في احد الاعراس فتمنى عليه ان يسخّر موهبته في النظم والغناء لخدمة القضية الفلسطينية التي بدأت معالم نكبتها تلوح في الأفق ، وقد انظم فعلاً الى تلك الثورة الممثلة بمجاميع الفدائيين الذين يقودهم الشيخ القسام طيب الله ثراه مبتدئاً تحوله بقصيدة شعبية مغناة يقول في مطلعها :-

كنّـــــا نغنـــــي بالأعـــــراسْ   جفـــــرا عتابـــــه ودحّيـــــه

واليـــــوم نغـــــني برصـــــاص   عالجهاديـــــة الجهاديـــــه

حتى اذا تعاظمت الثورة وظهر تأثيرها في الشارع الفلسطيني ارسلت حكومة بريطانبا الجنرال ديل الى فلسطين حاكماً عسكرياً مانحة اياه الصلاحية

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 39 لشهر اذار 2024م

في القضاء على الثورة ورجالها فكان ان واجهه الشاعر نوح بقصيدته الساخرة التي ترددت على السن الفلسطينيين في مظاهراتهم مما حدا بالمستر دل الى منعها بل ومنع الترويج لكل نتاج الشاعر ثم اعتقاله بعد ان كان قد خرج حديثاً من اعتقال سابق وفيها يقول نوح :-

دبرهـــــا يـــــا مســــــتر دلْ	**بلكـــي علـــى أيـــدك بتحِـــلْ**
لا تظــــن الأمـــــه بتمـــــلْ	**لكـــــن أنـــــت سايرهـــــا**
إن كنـــتْ عـــاوز يـــا جـــنرال	**بالقـــــوهْ تغيّـــــر هالحـــــال**
لازم تعـــــــرف بالتأكيـــــــد	**طلبـــكْ صـــعبْ مـــن المحـــال**
بدنـــــه نفهّـــــم بريطانيّـــــه	**حتـــــى تكفينـــــا شـــــرّهْ**
وتصـــــافي الأمـــــه العربيـــــه	**بمنـــــعْ البيـــــعْ والهجـــــرهْ**

الى آخر القصيدة التي لم تكن الاولى ولا الوحيدة التي صدح بها الشاعر وان كانت من اوائل قصائده بعد انضمامه الى مجاميع القسام الجهادية علماً بأنه لم يوقف قبل ذلك شعره على اغاني الاعراس التي نوهنا عنها سلفاً وانما كان ينبض بنبض الشارع الفلسطيني وانتفاضاته فنراه بعد ثورة البراق التي تفجرت في القدس عام 1929 م بتوجيه وقيادة من المجلس الاسلامي الأعلى الذي يرأسه الشيخ امين الحسيني احتجاجاً على تظاهرات واستفزازات صهيونية مدعومة من القوات البريطانية طافت شوارع القدس متوجهة نحو حائط البراق مدعية ملكيتها له وانه جزء من الهيكل المزعوم مسمية اياه بـ (حائط المبكى) تجاوزاً وافتراءً مما دعا الفلسطينيين الى التصدي لتلك الاستفزازات مشعلين ثورة شعبية شارك فيها الجميع ونتج عنها الكثير من القتلى والجرحى من الطرفين قبل ان تخمد تلك الثورة برصاص القوات البريطانية الداعمة لليهود حيث تم اعتقال الكثير من الثائرين والحكم بإعدام ثلاثة منهم وهم الشهداء الأوائل في فلسطين (محمد جمجوم ، فؤاد حجازي ، عطا الزير) ونفذ اعدامهم في سجن عكا عام 1930 م مما تسبب بانتفاضة جماهيرية اخرى كان من نتاجها مشاركة الشاعر نوح ابراهيم فيها بقصيدته المغناة الشهيرة عن الشهداء ومنها :-

مـن سـجن عكـا طلعـت جنـازي محمـد جمجـوم وفـؤاد حجـازي
جـازي علـيهم يـا شـعبي جـازي منـدوب السـامي وربعـه عمومـا

***

محمد جمجـوم مع عطا الزيـري وفــؤاد حجــازي عــز الذخيــري
بنظَـــرْ المقـــدم والتقاريـــــرِ بأحكـــام الظالـــم يعدِمونـــا

***

أمـي الحنونـه بالصـوت تنـادي ضاگـــت عليهـــا كـــل البـــلادِ
تنـادي فـؤاد(ي) مهجـة فـؤادي گبـــل التفـــرّگ تيودِعـــونا

الى اخر القصيدة التي شاعت وبدأ الشعب كله بغنائها مستذكراً ومذكراً بالشهداء الذين كانوا طليعة الثورة الفلسطينية الاولى قبل التحاق الشاعر بمجاميع عز الدين الجهادية مقاتلاً عنيداً كان مصيره الاستشهاد عام 1938 م بعد رثاءه لقائده الشيخ عز الدين القسام في قصيدة مغناة له منها :

عـــز الـــدين يخســـارِتك رِحـــتْ فـــداءْ لأمتـــك
مـــين بينكـــر شـــهامتك يـــا شـــهيد فلســـطيننا

ولو تجاوزنا الشاعر الشهيد نوح ابراهيم الى سواه لما وجدنا من يدانيه في موهبته رغم ظهور شعراء آخرين وزجالين فلسطينيين كان منهم من غدا شعره فلكلوراً مجهول القائل لإخفاء الشعراء اسمائهم وشخصياتهم حذراً من المطاردة التي تقود الشاعر للسجن ولساحات الموت احياناً ، ولعل ابرز النصوص الشعبية المغناة التي طافت فلسطين وخلّدت تأريخها الحديث قصيدة او اغنية (اولاد حارتنا) والشهيرة بلازمتها (يويا) التي يرددها الجميع بعد إداء المنشد لكل مقطع من انشودته وهي من أجمل ما وصلنا من الشعر العامي الثوري الفلسطيني وفيها يقص الشاعر حكاية فلسطين ومسيرتها منذ دخول اليهود لأرضها ولحين تحررها إن شاء الله وأراه قريباً . وأغنية (أولاد حارتنا) الأصلية عبارة عن أغنية يؤديها الاطفال أثناء لعبهم وبمفردات شعبية وطفولية تتشكل من مقاطع قصيرة ينتهي كل مقطع بكلمة (يويا) وهي من الفولكلور الفلسطيني الذي استفاد منه شاعر مجهول فنسج الاغنية بمفردات وطنية استعرض فيها

حال الفلسطينيين تحت الانتداب البريطاني ومعاناتهم من الهجرات اليهودية ومقاومتهم إياها التي استمرت لغاية اليوم حيث يخوض أهل فلسطين ممثلين بأهل غزة نصرهم الله أعتى حرب منفردين بعد تخاذل العرب وانكفائهم لمصالحهم مع الاسف والألم لما حدث ويحدث ، و(اولاد حارتنا) تؤدى من قبل مجاميع يتقدمها منشد يردد مقاطع الاغنية لترد عليه المجاميع ب(يويا) ، وقد شاعت هذه الاغنية اقليمياً وغناها مغنون فلسطينيون معاصرون كما استفاد منها البعض من شعراء العامية العرب كالشاعر المصري احمد فؤاد نجم الذي نسج على ذات المنوال قصيدته الشهيرة (بقرة حاحا) التي كتبها بعد هزيمة العرب وانتكاساتهم المخجلة في حزيران 1967 م مستخدماً في قصيدته الكثير من مفردات اغنية اولاد حارتنا ، ومبدلاً (يويا) بـ (حاحا) ، كما استخدم لحنها ذاته شريكه الفنان المعروف شيخ امام حين غنى بقرة حاحا بذات اللحن والاداء . وللفائدة ادرج مقاطع من القصيدتين الفلسطينية والمصرية في ادناه :-

1- اغنية اولاد حارتنا... من الفولكلور الفلسطيني وهي طويلة ومنها نأخذ:-

يولاد حارتنا .. يويا / نسفوا دارتنا .. يويا/ وطارتنا تطير .. يويا/ طير العصافير .. يويا/ تروي الاحزان .. يويا / وكان يما كان .. يويا / في سبت سبات .. يويا / إجو الخواجات .. يويا / اخذوا حارتنا ..يويا / كسروا لعبتنا .. يويا / ودواليب الدم .. يويا / موت عم وطم ..يويا / ورفضنا نهاجر .. يويا / گالوا الاوامر .. يويا / وگال اللي يگول .. يويا / شده وتزول .. يويا / ولا شده زالت .. يويا / ولا دنيا دارت .. يويا / وصرنا لاجئين .. يويا / بكرت التموين .. يويا / والامر الواقع ..يويا / قمع ومواجع ..يويا / ممنوع بنشكي ..يويا / وممنوع بنحكي .. يويا / طب نسكت ليش ..يويا / إدي لگمة عيش .. يويا / يلعن ابوها .. يويا / علّي جابوها .. يويا / وليش السكوت .. يويا /مهو كلو موت .. يويا

ويستمر الشاعر في وصف الحال والمواجهات بين المحتلين واهل البلد الى ان يقول في نهاية اغنيته :

وعالهل اساس.. يويا / يا كل الناس .. يويا / قرر هالشعب .. يويا /طريقو الصعب .. يويا / لازم يتحرر .. يويا / ويبني للمجد .. يويا / دولة الوعد .. يويا / فلسطينيه .. يويا / حره عربيه يويا .

2 – اغنية بقرة حاحا (المصرية) شعر :احمد فؤاد نجم وغناء :شيخ امام.. ومنها :-

ناح النواح والنواحه / على بقرة حاحا النطاحه/ والبقره حلوب ..حاحا/ تحلب قنطار ..حاحا / لكن مسلوب .. حاحا/ من اهل الدار .. حاحا / والدار يصحاب ..حاحا/ باحدعشر باب .. حاحا /غير السراديب ..حاحا/ وبحور الديب ..حاحا/ وفي يوم معلوم ..حاحا/ عملوها الروم ..حاحا/ زقوا الترباس ..حاحا/ هربو الحراس ..حاحا/ دخلوا الخواجات ..حاحا/ شفطوا اللبنات ..حاحا/ البقره انقهرت ..حاحا / في القهر انصهرت ..حاحا/ وقعت في البير ..حاحا / سألوا النواطير ..حاحا / طب وقعت ليه ..حاحا/ وقعت من الخوف ..حاحا /والخوف من ايه ..حاحا/ من عدم الشوف ..حاحا / وقعت من الجوع ومن الراحه / البقره السمره النطاحه .

واخيراً .. وبعد هذه الوقفة السريعة مع الادب الشعبي الفلسطيني المقاوم اضع القلم بإجلال كبير لفلسطين وغزتها الصامدة شعباً وادباء وفنانين واعلاميين ومقاومين اعادوا للشرف العربي البهاء الذي اضاعه حكام العرب منذ سقوط الدولة العثمانية ولهذا اليوم شاداً على ايادي اهل فلسطين الحبيبة مردداً معهم اغنيتهم الشعبية

شـدوا بعضـكم يـا اهـل فلسـطين شـدوا بعضـكم

مـــا ودعـــتكم رحلـــة فلســـطين مـــا ودعـــتكم

عـــاورق صـــيني لكتـــب بـــالحبر عـــاورق صـــيني

يفلســـطيني عـــالي جرالـــك يـــا فلســـطيني

ولن يجري لها بعد اليوم بإذن الله الا ما يسر الروح ويرفع الهامات بعزم المقاومة من أحفاد القسام وقادة الثورة الاوائل .

المولية .. او .. المواليا•

يا عين موليتين .. يا عين موليّه جسر الحديد انگطع من دوس رجليّه
درب الصبابا گطب عمّل برجليّه
لا الراح جاني ولا رد الخبر ليّه
فرفح گليبي عبالي المجبله هيّه

وعدا هذه الاستهلالة لأغاني أو اشعار المولية تلاعب الكثير من المؤدين لها بعجز البيت وأحيانا بصدره كما تهوى انفسهم ومخيلاتهم أو ما يخطر ببالهم ، وزج البعض عن جهل باستهلالة اغنية (اليادي او اليادة) وهي:-

عاليادي اليادي اليادي يا ام العبيديه مدري التجوز حلا والا العزوبيّه

ضمن المولية لتشابه الاغنيتين في الاداء ولكونهما يكتبان على بحر شعري واحد هو البسيط ، وبذات القافية والاسلوب يؤدي الحديثيون (اهل حديثة) اغنية (اليادي) مع تغيير بسيط في أداء الأغنية يتوافق مع توازن الدبكات التي لا يتقنها إلا المتمرسون من الجيل القديم في فن لعبة (الدبكة . الچوبي) لا رقصتها كما يحلو للمتأخرين تسميتها ، ولم اكن لأنتبه لهذا التغيير لو لم يفدني به احد المتمرسين في هذا الفن واعني به صديقي الشاعر الحديثي ستار الماز الذهب ، وأورد مثالاً لذلك من اغنية اليادي للتوضيح والذي يقول فيه شاعره :-

گلبي شبه سعفة الخضرا ولاويها والعلة البلحشا محد درا بيها
يا ابنية البلمهد والگلب هاويها تحرم عليّ النسا ما زالها حيه

وهي قريبة من المواليا ولذا يخلط الكثير من المؤدين في الدبكات بين النمطين الشعريين الغنائيين ، وحين يسأل سائل عن المولیتین او المولية وماذا تعني وما يعني بها شاعرها لن يجد جواباً شافياً لتسائله اذ اختلف اهل الاختصاص في معناها ونسبتها ايضا فقد ردها بعضهم لمعان لغوية متعددة منها (المولوية) وهي غطاء رأس يتزيا به المولوي المتشبه بالوالي أوالسيد ، ولا ارى

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 46 لشهر تشرين اول 2024 م

ارتباطا لهذا المعنى اللغوي وسواه مما تجنبت ذكره بروح المولية المغناة التي تعد من انماط الشعر العامي الذي كان اول ظهور له على رأي بعض الباحثين في التراث في واسط بالعراق إيام العصر الأموي حيث كان يردده غناءً العاملون في بساتين النخيل منهين غناءهم بمفردة يا مواليا ه اشارة لمولاتهم سادتهم من اصحاب الارض وقد غلبت هذه اللفظة عليه حتى صارت له اسما يعرف به ، وبذا يكون هذا الغناء عراقياً عربياً لا فارسياً كما يحلو للبعض ان يرده الى اتباع البرامكة وارتباطه بنكبتهم في العصر العباسي على يد الخليفة هرون الرشيد رحمه الله حيث قال اولئك ان هذا الشعر المغنّى من ابتكار الموالي الفرس وأنصارهم الذين اتخذوا منه سبيلاً لتأبين وبكاء اسيادهم من البرامكة في حين ربطه آخرون بالموال البغدادي (الزهيري) المتأخر عن سابقيه كثيراً ، إلا ان الباحث السوري محمد موسى الحومد رد كل هذه الآراء متفرداً برأي يرتكز الى معلومة وصل اليها وأراه الأقرب للقبول حيث ذكر في كتابه (شعراء المولية في القرن العشرين) الصادر بطبعته الاولى عن دار الغدير السورية للطباعة والنشر عام 2000 م وفي الصفحات 22 ، 23 أن هذا الشعر المغنّى لم يكن ببعيد في زمن ظهوره الذي قد لا يتعدى مع انتشاره اواسط القرن التاسع عشر معتمداً في رأيه على حادثة يرويها في كتابه تتلخص – نقلا عنه – بانحدار شاعر عراقي يدعى (ابن عوين الجبوري) من محل سكناه في الخابور القريبة من زاخو في الموصل بالعراق عام 1898 م الى الشام متنقلاً بين حواضرها حاملاً معه حكاية عشقه لامرأة تدعى (هدله الحمد) ، حتى اذا حط رحله في مدينة الرقة السورية مسبوقاً بشهرته الشعرية التقى في مقهاها الوحيد آنذاك ببعض شعراء الرقة الذين استمعوا له محدثاً إياهم بحكايته مع من احب ذاكراً لهم بيتاً من الشعر تركته له حبيبته قبل وفاتها تقول فيه:-

سـلم وزيـد السـلام ان جيـت لابـن عـوين

شـلون ينسـى الولـف واللـي نبـاهم زيـن

باحثاً عمن يصفها وينصفها شعراً بما تستحقه ، ثم قرأ عليهم رباعيته فيها حيث يشبهها بالجوازي التي تعني الغزالة قائلا :-

حبرٍ دفگ من على الگرطاس عين لها　　تشبه جوازي بحماد اهتيم عينو لها

حـط الهتيمـي على الميراد عنـو لهـا　　گالـت لتـاهم حبيبي ربـاة شـرجيـه

والمعنى العام للبيت هو :- ان عين الحبيبة سوداء يتدفق منها الكحل ، وهي تشبه الجوازي(الغزالة) في الصحراء التي تشابه صحراء ضاع وتاه فيها العاشق اهتيم . واظن انه يقصد (رميم) العاشق الذي تاه في الصحراء حسب روايات اهل البادية . ، لقد وضعها الصياد (الهتيمي) هدفاً لها ليصطادها ، فقالت له لا تتوهم (تخطأ) بي فأنا لست غزالة وإنما حبيبة من تربّى في الشرق .

وقد عقب على ابن عوين الجبوري الشاعر السوري درويش الجنعان قائلا:

شـهد العسـل مـن على الكاسـات ريـجٍ الهـا

لمـــن مشــت بالبـــلاد اطبـــول رجٍ لهـــا

تشـبه جـوازي بحمـاد امطالعـه رجـلٍ لهـا

شـافــت هتيمــي اجفلــت بفجــوج بريــه

ثم تلاه الشاعر محمد الذخيره وكان حينها ما زال صبيا بقوله :-

ليلـو ثنايـا التـرف المـازسـن الهـا　　جازيـةٍ تسجـد العـلّام سنـّه لهـا

الطير الاوشح صعد بالجو سنّه لها　　چلـچل عليهـا بجـنح وحـراب مدميـه

فما كان من الجبوري الشاعر العاشق إلا ان يقول حينها مخاطباً الشاعر الصبي (أسرعت بصيدها يا بني) علماً بأن الشعراء الثلاثة اتفقوا على تشبيه حبيبة الجبوري بالغزال . ومن هذه الجلسة التي جمعت الشعراء في مقهى مدينة الرقة انبثقت المولية وأخذت هويتها وحملت اسمها . واتفق مع الكاتب فيما يراه خاصة وان معظم المولية تتردد داخلها مفردة الريم والريام ، بل ان أحد اشهر أبياتها تضمن اسم (هدله الحمد) مشبهاً عينها التي تغزّل بها الشعراء بعيون الشاهين والطائر الحر ، والبيت المعني هو:

يا عين هدله الحمد يا عين شاهينه　　يـا عين حـرٍ على الصـيده مطلجينه

وان چان زلفـج طفـح بالـچ تلمينـه　　خلّي يـچلـچل على راسـي ورجليّـه

وهذا البيت مجهول القائل وقد يكون من شعر العاشق الجبوري نفسه .
والمولية كما ارى غناء عراقي الاصل فراتي الانتشار بدأ في الخابور قريباً من دجلة على لسان ابن عوين الجبوري ومنه تسلل الى الرقة ودير الزور ثم انحدر مع الفرات الى مدن غرب العراق تحديداً لذلك نراه يتردد بكثرة فائقة بل ويسيطر على أجواء الدبكات (الچوبي) في جميع الاعراس ومناسبات المسرات التي تنعقد في مناطقنا الغربية من العراق . وهو(المولية) المنظوم على بحر البسيط كما اسلفنا ويتشكل من رباعيات تأخذ الثلاثة اشطر الاولى منه قافية موحدة وينفرد الشطر الرابع بمفردة مستقلة تنتهي بالهاء الساكنة او الياء المشددة تفصل بين الواحدة والأخرى لازمة الموليا التي اوردناها في أول المقال ، وسنورد امثلة لذلك لاحقاً . اما المعنى الأقرب لمفردة المولية فأراها عكس سواي تتشكل من مفردتين مدمجتين معا هما (مو) و (لَيّة) . و (مو) مفردة عامية عراقية تفيد التأكيد للأمر مثل (مو گتلك غيوم الصيف چذابه ولا تمطر) ومعناها لقد اكدت لك ان غيوم الصيف لا مطر فيها ، كما وتفيد احيانا النفي مثال قول أحدهم للآخر متسائلاً : (أهذا الشيء لك ؟ وجوابه : لا .. مو ليّه) والمعنى : هل هذا الشيء لك ؟ والجواب لا .. ليس لي . اما (لَيّه) بفتح اللام وتسكين الياء المرتبطة بالتاء المدورة فمأخوذة من (اللي .. لوى الشيء لياً) اي فرض عليه غير ما هو قائم عليه فغير شكله ، ويرمز بها للوجع والألم .فحين نقول (يا عين مو ليتين - تأكيد -.. يا عين مو لَيّهْ - نفي-)فيعني اني يا عين مصاب بليتين لا ليّة واحدة وبوجعين لا وجع واحد ولهذا نفسر اللوازم التي ذكرناها في البدء بـ (انقطع الجسر الحديدي من كثرة رواحي ومجيئي اليكم) و (ان دربكن ايتها الصبايا مزروع بشوك ادمى قدمي) و (اني موجوع بسبب من فارقني وذهب ولم يرد لي منه خبر) و (لقد سر قلبي وابتهج اذ ظننت ان المقبلة نحوي هي من احب وارقب) .. ومن هنا اكاد اجزم بأن المولية نمط من الشعر العامي العراقي المُغنّى أوجده دون قصد أبو عوين الجبوري واستلمه اهل الشام في الرقة فكتبوا فيه وابدعوا ثم انتشر فيها اولاً وقبل ان ينتقل لدير الزور منحدراً مع الفرات الى غرب العراق تحديداً ثم حواضره الاخرى . وهو والغناء بشكل عام (نشاط انساني طبيعي يمارسه كافة البشر في كل المجتمعات والعصور) كما يقول الدكتور سعدي الحديثي في كتابه

الصادرعن منشورات الجمل /ط2016/1 م (جذور الغناء في الثقافة العراقية .ص19) . ولا غرابة في تمركز المولية رفقة دبكات (الجوبي)غرب الأنبار في العراق تحديدا اذا علمنا ان الانبار كانت (من المراكز الحضارية التي صمدت بوجه الغزوات الاجنبية وحافظت على منجزاتها الثقافية ومنها الغناء . فمن الانبار عاد النظر بن الحارث الى مكة المكرمة بعد ان اتقن اشكال الغناء الصوتي الذي طغى على الغناء المعروف بالنصب وأزاحه عن محله) كما يرى الدكتور سعدي الحديثي في ذات الكتاب ص52) .

والآن وبعد ان أفرغنا ما لدينا عن المولية او الموليا أعرض للقراء نماذج منها مجهولة القائل ، ومن المتداول في مناطقنا غرب العراق عساها تنال الرضى.. ومن الله التوفيق .

رباعيات مختارة من المولية

يـا عيـن مـو ليتـين وعيـن شـلوني ومنّي زغيـر هلـي بالعشـگ شـلوني
سـوده عليكم هلي لـو متت شيلوني ومـن عـرگ وجنـاتهن رشـو عَلي ميّـه

***

اهـلاً وسـهلاً ومـرحبتين بـاللي جـن لفرش وارش الـدرب للبيض لمن جن
لـو ما يگولـون انسحر وانهبل وانجن لصـوم ميـة سـنه اعـن الـزاد والميـه

***

يـا ريمـة العندكـم يحمـود مـا تضـني ما اريد منها ضنا بس تگعد بحضني
البطن بطن الغزال أبيض من الگطن وابيض من الخيمة العلبيگ مرميه

***

عالريمـة الحـدرت وجعـان وآعـن عالريگـوني بعسـل وبسـمن غدّنـي
لـو مـا هـوى بنـتكم مـا جيـت متعني ولا امشيت طول الدرب واتعبت رجليه

***

يـا شـوفـة الشـفتها وتلـم بفراشـه ما ظل غير الورد والجنبد انحاشـه

فكيت صندوگها وگلبت انا گماشه ولاعبتها من العشا لوجيه غبشيه

***

يا شوفة الشفتها تجرش بجاروشه والزلف عثگ النخل عالخد كركوشه

تمنيتها بربنه واطلع انا آحوشه وآگول بربن هلي رابي على الميه

***

يقرا بزيز وزبر يقرا بجزو عمّه وهموم گلبي علي اليوم ملتمه

الساعد الله خديد الترف لاشتمه واطبگ على رگبة الغرنوگ بيديه

***

يقرا بزيز وزبر يقرا بسبحانه وهموم گلبي علي اليوم سبحانه

آنا نطرت الخشف يايوم سبحانه تغسل جنابة عفن وتنگس الميه

واخيرا اختم بالرباعية ادناه للشاعر المرحوم ابراهيم داود الدلي المتوفى عام 1912 م والذي قاله متغزلاً بامرأة أحبها ايام كان مديراً لناحية كبيسة في العهد العثماني وهو الوحيد الذي وصلنا من شعره في المولية وبه اختم مقالي عساه ينال الرضا

ابراهيم نايم عليل اعله الوساده يعن من اجل ريم الغزال الوارده عالعين

حاچيتها بالترك وتگول (سكترسن) بالك طريج الهوى تگرب محاريه

عن محمود العبطة وأيامه الجميلة

1922م – 1986م•

في منتصف تشرين الثاني لعام 1986 م غادرنا الى رحمة الله ورضاه الاديب والباحث التراثي الاستاذ محمود العبطة المحامي ، ولي معه طيب الله ثراه وقفات وذكريات مذ تعرفت عليه في أحد يام شتاء بارد كان في بدايته رغم شمس ذلك اليوم المشرقة وكنت حينها أتخذ من (كرويتة) في كازينو بغداد الحديث المطل على ساحة الميدان المكتظة بباصات مصلحة نقل الركاب والراجلين والمنتظرين فيها ، وكنت حينها في العشرين من العمر شاباً مولعاً بالقراءة أمسك بيدي كتاباً اقرأ فيه عن الشاعر التشيلي بابلو نيرودا وذلك عام 1976 م في حين كانت تستقر على المنضدة أمامي علبة سجائر سومر ومجلة أدبية وكتابان حين استلتني من قراءتي تحية أداها كهل تجاوز الخمسين من عمره أنيق جميل المحيا بوجه يشع نوراً وتعتلي رأسه (شفقة) جميلة متخذاً مجلسه قبالتي واضعاً على ذات المنضدة (شفقته) وحقيبة بحجم محفظة (اللافكس) الشائعة آنذاك ثم استأذن ان يتناول أحد كتبي من مكانه وبدأ بتصفحه مسائلاً إياي عن انتمائي العائلي والمدينة التي قدمت منها لبغداد ، وحين أجبته لما اراد قال لي انا محمود العبطة دون أي صفة أخرى يلحقها باسمه فسرني ذلك التعريف إذ اني كنت محباً لهذا الرجل دون معرفته تبعاً لإعجابي بما كان يصدره من كراريس وكتيبات ادبية وتراثية ، ثم حدثني عن الشعر والشاعر والكتاب الذي كنت اقرأ فيه ببساطة وشفافية لم أعهدها من قبل بسواه كما وعدني بكتب في ذات الموضوع ووفى بذلك حين التقيت به في اليوم الثاني بذات المكان ومعه كتاب عن بابلو نيرودا للكاتب المصري الطاهر

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 49 لشهر اذار 2025 م

مكي أهداني إياه مع أحد أعداد مجلة (الحياة الثقافية) التونسية والمتضمنة ملفاً خاصاً

بالشاعر ، ومن حينها صار لي صديقاً وأستاذاً أكن له كل حب وتقدير أفضى لتواصل لقاءاتنا منذ ذلك الحين حتى صار اقرب الاصدقاء لي رغم التفاوت في السن بيننا بل ناقداً لبعض مما اكتبه ، وأذكر أنني دخلت ذات يوم الى مقهى الزهاوي فوجدته جالساً فيها ملوحاً لي بيده وما ان جلست بجانبه حتى استل من حقيبته مجلة (الطليعة الادبية) التي كانت قد نشرت لي نصاً شعرياً وهو يمسك بها قائلاً (يابه هاي شنو ؟ هاي قرآن مسيحي مو قصيدة) مشيراً الى قصيدتي المنشورة فيها ومنها (والجوى / والهم اذا طغى / فاستفحل واستشرى/ وأضحى من القلب قاب قوسين او أدنى/ فزلزل في النفس زلزالها / ونبّأ عن حزنها ما بها ...) الى اخر القصيدة مبدياً شديد إعجابه بها فقد كان رحمه الله شاباً تجاوز الخمسين متفوقاً علينا بنشاطه وهمته ومتابعته لكل جديد ، وكان مبدعاً في كل ما يكتب وحاداً في نقده لبعض من الشعراء والكتاب الكبار متسامحاً ومشجعاً لما تجود به اقلام الشباب . وأذكر اني وإياه ذهبنا ذات يوم الى قاعة المكتبة الوطنية المقابلة لوزارة الدفاع القديمة في ساحة الميدان لحضور مهرجان شعري لم أعد اذكر مناسبته وقد تناوب على القراءة فيه عدد من كبار الشعراء ومنهم سعدي يوسف ومحمود درويش واحمد دحبور وآخرين رحمهم الله ومن ضمن من قدم عريف الحفل المرحوم عبد الجبار البصري للقراءة واحد من كبار شعراء العراق بعد من ذكرت فاعتذر الشاعر حين اعتلى المنصة عن قراءة الشعر وأبدله بنص مسرحي من مسرحية له فما كان من العبطة الا ان انتفض منزعجاً موجها كلامه لي (شوف القرد .. عرف نفسه ما يگدر يجاري درويش فانهزم للمسرح) ، واذكر ان قصيدة محمود درويش كانت عن بيروت (بيروت خيمتنا الاخيرة) .. ومن جميل مفارقاته انه كان ينتقل من مقهاه في شارع الرشيد مشياً الى مكتبه (للمحاماة) في الكرخ مقابل وزارة الثقافة الحالية وكان يعمل معه شاب لطيف يعتمد عليه في الكثير من قضاياه الا ان المسكين لم يكن ينجو من توجيهات وانتقادات لاذعة مطعمة بسلاطة لسان أحياناً ومفردات بغدادية ينهال بها عليه فما يتكدر للشاب خاطر لأنه كان واثقاً من حب استاذه

له . في تلك السنين الحلوة اهداني رحمه الله معظم إصداراته وكان يلومني لأني لا أنشر مما اكتب الا نادراً وعذري ان الصحافة لا تنشر الا لمعروفين او محسوبين على فئة معينة فيقول الم تر كتيباتي على صغرها وفقر مظهرها ؟ ها انا أملأ بها المكتبات ولا أستمن جهة في إصدارها ، وحينها أخذ بعض قصائدي ونشرها في جريدة العراق بعد ان عرفني على اديب من كوادرها هو الاستاذ القاص شاكر السكري الذي تبنى نشر كتاباتي في الجريدة فيما بعد . لقد كان محمود العبطة صاحب علاقات واسعة ويحذره الكثير من جلاسه اذ لم يكن يوفر عنف نقده عن احد ممن كان يشاركه جلساته في مقاهي الزهاوي والشابندر ومنهم شعراء وكتاب كبار اذكر منهم شفيق الجايمقجي ومكي عزيز واكرم فاضل وسواهم ، ولي معه طيب الله ثراه ذكريات ما أزال أستمتع باسترجاعها منها ما كان يحدثني بها عن الادب الشعبي إذ له في مجالاته صولات وفتوحات فهو من أوائل كتاب مجلة التراث الشعبي ايام رئيس تحريرها الاستاذ ابراهيم الداقوقي الذي أصدر اول اعدادها عام 1962م وقبل ان تتحول الى مجلة حكومية رسمية وله فيها بحوث ومقالات كما انه كان اول من كتب عن نداءات الباعة في بغداد وعن رجل الشارع البغدادي حيث اصدر عنه كتابه الجميل الرائد عام 1962م (رجل الشارع في بغداد) ، ولحبه الكبير لبغداد ورجالها اصدر عدداً من الكتيبات عنها وعنهم منها (بغداد وثورة العشرين ، رؤساء تحرير جريدة الزوراء ، الفولكلور في بغداد ، الموسيقى في بغداد ، الخطيب وتاريخ بغداد ، عثمان الموصلي في بغداد، الفارابي في بغداد ، جمال الدين الافغاني في بغداد) وعدا ذلك كتب عن شعراء وكتاب بغداد (ادباء معاصرون ، محمود احمد السيد ، نوح وتغريد – في تكريم الشاعر خضر الطائي-، معروف الرصافي ، من ديوان الرصافي ، المتنبي ذلك الشاعر البدوي ، الوطنية في شعر حافظ جميل).. وقد عمدت الى جمع كل هذه الكتيبات في مجلد واحد احتفظت به في مكتبتي لحين ضياعها وضياعه معها أيام داعش والنزوح لا ردها الله . ومن الجدير بالذكر ومما لا يعرفه الكثير انه كان أول من كتب عن الشاعر السياب رحمه الله عام 1965م حيث أصدر عنه كتابه (بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الحديثة في العراق) والذي اعتُمد مصدراً لمعظم من درس السياب بعد ذلك ثم اتبعه عام 1971م بكتاب

آخر عنوانه (اضواء على شعر وحياة بدر شاكر السياب) . وله طيب الله ثراه فضل كبير على معظم الادباء الشباب خاصة وعلى الادب والفولكلور والتراث الشعبي في العراق عامة ما لا ينكره الا جاحد او جاهل . وفي الختام اود ان اذكر له انه استل زهيريات سليم العبدالله من مخطوطة كانت لدي وكتب بها مقالة طويلة وتقدم بها الى المركز الفولكلوري في بغداد لإصدارها تحت عنوان (زهيريات سليم الجعفر) غير ان المركز لم يقم يذلك ولم يفِ للكاتب بما وعد واحتفظ بالمخطوطة في ارشيفه كما احتفظت انا بمقدمته تلك ونشرتها عام 2013م ضمن ديوان الشاعر سليم العبدالله بعد تحقيقه وتصويبه كاملاً ثم أعدت نشرها في هذه المجلة بعددها المرقم 13 عام 2020 م . رحم الله الاستاذ الاديب محمود العبطة المحامي الذي كان كبيراً في كل شيء وكان الاقرب الي من سواه اذ لم ينقطع تواصلنا لحين قيام الحرب العراقية الايرانية وتجنيدي مكلفاً فيها حيث استقرت وحدتي العسكرية في البصرة وهناك قرأت نعيه على صفحات الجرائد في مثل هذه الايام من عام 1986م وأرسلت حينها برقية مواساة لعائلته من البصرة كما كتبت في تأبينه قصيدة لا ضير من تدوينها في ادناه تغمده الله بواسع رحمته ونفع اهل الادب والتراث بما كتب وأصدر وترك من إرث ادبي وتأريخي كبير.

ما انتهى من انتهى

وفاء لأستاذي الاديب محمود العبطة المحامي

حين نعته الجريدة
شرقتُ بالدمعِ
انكفأتُ لشرنقة الحزن الاسودْ
واعشوشبَ هماً في الروحْ
فتدلت من شفتيَ السيجارة رقبة مذبوحْ
سأقتل هذا الصمت وأمضي
ان (الصفنة) سكين تطعن خاصرتي

والصفنة عند الأزمة محنةْ
أسبلتُ رموش عيوني
أطرقتُ حزيناً للارضِ
ما أعمل في هذا اليم المتلاطم بالهمْ؟
طرقاتٌ تُسلمني لمقاهي
ومقاه تلفظني للطرقاتْ
محمود ماتْ
والمتنبي ما زال يُردد رجع الخطواتْ
بسكونٍ ملتاثٍ مسكون بالغبطةْ
ما مات العبطةْ
فحقيبته – كان – يقولْ
ما زالت تغفو فوق الطاولة الاولى من مقهى الشابندر
والقبعة التنقل عن ابن الستينْ
اناقة ابن العشرينْ
ما زالت تحكي عن كهل شاب وما شابْ
والموت القابع خلف البابْ ...
– قال الشارعُ –
لن يسلبني الـ(محمود) الخلق الطيبْ
أطرقتُ
أشعلتُ السيجار الواحد بعد العشرينْ
ودخلتُ لمكتبة مشرعة الأبوابْ
أبحثُ فيها عن محمود
فمحمود يقيناً ما مات

البصرة - 1986م

عن الأهازيج

المصاحبة للثورات وشعرائها•

تفتحت أعيننا في ستينات القرن الماضي وحال دخولنا المدارس الابتدائية على اناشيد وطنية قومية وعروبية في أغلبها كنا نؤديها في الحضور الصباحي المدرسي (الاصطفاف) بساحات مدارسنا حيث تعلو اصواتنا مجتمعة بـ (الله اكبر) و (رؤوس الحراب) و (موطني) وسواها .. في حين كانت الاذاعات العربية تبث عبر اجهزة الراديو على مسامعنا اغان عامية أخرى بذات المحتوى والمعنى مثل (والله زمان يسلاحي) و (جيشنا حامي حدودو) وغيرها كثير حتى اذا ما كبرنا احسسنا اننا كنا مجرد ببغاوات نردد ما يمليه علينا الحكام بشكل مباشر أوغير مباشر ، وتبين زيف تلك الاناشيد المصاحبة للشعارات التي ترفع معها ، ولا عيب في نصوص تلك الاناشيد ولا في شعرائها وإنما العيب في من استغلها ووظفها لتحشيد الشباب وكسبهم لأفكار ونظريات وتنظيمات تبين لنا فيما بعد انها مجرد كلام لم نر له تطبيقاً فعلياً وحقيقياً وظهر ذلك جلياً بعد نكسة حزيران 1967 م التي لم تصمد فيها جيوش العرب على عدتها وتعددها لأكثر من ثلاثة ايام خسرنا فيها كل شيء (الشرف الرفيع والقلاع والحصون / والمال والبنون) كما قال نزار قباني حينها رحمه الله فانصرفنا عنها وفي لهاتنا غصص وان ظلت آثارها كامنة في دواخلنا دون ان تنعشها كما انعشتها الاغاني والأناشيد الثورية العامية التي غطت الساحة بعد تلك النكسة المشؤومة آخذةً بنا الى ميادينها بعد ان اخذت بشعرائها ومؤدوها الى السجون او القبور كما حدث لعزيز علي وأحمد فؤاد نجم وصاحبه الشيخ امام الذي طافت أغانيه اروقة الجامعات وسيطرت على الشباب مستغلة إحباطات عانى منها العربي عموماً والشباب منهم على وجه الخصوص ، او ذهبت بهم الى الاستشهاد كما حدث لعبد الباسط الساروت وابو

• نشر في مجلة صدى الريف الموصلية بعددها 50 لشهر نيسان 2025 م

قينص الغزاوي وسواهم في اقاليم العرب حيث تفجر العنف الثوري عند الشباب نتاج الخيبة التي عاناها العربي من الانظمة الثورچية التي تبناها العسكر قولاً لا فعلاً حتى غدونا في السبعينات والثمانينات نستذكر مونولوجات عزيز علي ونتغنى بالحان الشيخ امام الموجعة في نقدها للأنظمة الحاكمة بدون استثناء امثال اغنيته (الثوري النوري الكلمنگي/ هلاب الدين الشفطنگي/ قاعد في الصف الأكلنگي/ شوكولاته وكارميلا) وسواها من النصوص المعنفة والموجعة في نقدها الساسة وأنظمتهم ، ثم اخذتنا اناشيد الثورة الفلسطينية التي كانت تبثها اذاعات العرب المتضامنة معها امثال (مدي يا ثورتنا مدي استمري ومدي/ النار سلاحي يبلادي وهذا هو ردي) و (طالعلك يعدوي طالع/ من كل بيت وحاره وشارع) إلا ان كل ما رددناه مع الثوار لم يكن ليخلّد شاعراً او فناناً محدداً اذ خفتت تلك الاناشيد وغابت عن الذاكرة مع غياب الثورة واندثارها فيما بعد كامب ديفد واتفاقيات العار في أوسلو التي قادت الى الاستسلام وضياع الثورة والثوار الحقيقيين بعد اغتيال وتصفية اكثرهم وتشريد الاخرين ممن اشعلوا شرارة تلك الثورة فغفى الجميع على اوجاع مكتومة وأصوات مبحوحة لحين حلول الربيع العربي عام 2011 م وانبثاق انتفاضاته في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا حيث عاد توهج الاناشيد الثورية وبلهجات ابناء تلك الشعوب ولعل ابرزها كانت انشودتا (سوف ابقى هنا) و(وين الملايين) الليبيتان اللتان رسختا في الذهن العربي وما تزال وظلت كذلك الامور حتى قيام الثورة السورية التي طالت واغرقت سوريا بفيض من الدماء والدموع والعنف الذي انتج فيما انتج اغان وأهازيج شعبية محفزة على الصمود على ايدي الزجالين السوريين ومن ابرزهم الشهيدان عبد الباسط الساروت وابراهيم القاشوش الذي كان اول من نادى بوجوب رحيل الرئيس السوري جهاراً بما كانت تجود به حنجرته من اهازيج وأغان شعبية داعية الى استنهاض الهمم وتغيير النظام من خلال تزعمه للمظاهرات السلمية متصدياً لرصاص الطغمة الحاكمة معتلياً المنصات وأكتاف المتظاهرين هاتفاً ومن خلفه الجموع بمفردة (حرية) ليعقبها بانشودته الشهيرة (يا الله ارحل يا بشار/ يا بشار ويا كذاب/ تضرب انت وهالخطاب/ الحريه صارت عالباب/ يا بشار وحاجه تدور/ دمك بحما مهدور/ وخطأك ما هو مغفور/ يالله

ارحل يا بشار/ يا بشار ويا جبان/ الشعب السوري ما يهان/ وبلا بشار وماهر/ وهالعصابه الهمجيه/ سوريا بدها حريه) لتردد الجماهير خلفه (حريه .. حريه .. حريه) ويرد عليها شبيحة النظام بالنار والرصاص الحي قبل ان تتطور الى البراميل المتفجرة والغاز الكيمياوي . هكذا كان حال ابراهيم القاشوش المولود في إدلب عام 1977 م والمقيم في حماة حيث كان يعمل وفيها تفجرت طاقته الابداعية في ايصال أماني الجماهير ومطالبهم برحيل النظام اسوة بمن سبقه من الانظمة التي غادر زعماؤها السلطة بين مختار ومجبر اثر انبثاق تلك الثورات التي ابتدأت في تونس بعد احراق المواطن التونسي (بو عزيزي) لجسده احتجاجاً على الضائقة التي عصفت به وسواه من التونسيين بعيداً عن انظار السلطة التي انشغلت عن هموم شعبها برغد العيش وترف ابنائها والمحسوبين عليها حالها كحال كل الانظمة التي انهار منها من انهار وتشبث بسلطاته من تشبث وهو في طريقه الى الزوال وقبل ان تئد قوى الدولة العميقة تلك الثورات في معظم الاقطار باستثناء سورية التي انطلقت ثورتها من درعا وامتدت لبقايا المدن السورية رافعة شعار السلمية بوجه نظام جائر أبى إلا مواجهة الثوار السلميين بالرصاص الحي الذي لم يشفع له لولا تدخل ايران عسكرياً بحرسها وجندها وميليشيات وأحزاب جندتها تحت شعارات طائفية مقيتة عجزت عن افشال الثورة التي صمد رجالها بوجه العتاة وحشودهم لحين تدخل روسيا عسكرياً بطيرانها الذي استخدم اعنف الاسلحة الى جانب طيران النظام الذي صب جام غضبه ممثلاً بقنابله وبراميله المتفجرة وأسلحته الكيمياوية التي ما استخدم أي منها ضد الكيان الصهيوني في يوم ما دافعاً بالثورة السورية الى الخيار العسكري ملحقاً بالمدن من الدمار ما لا يفعله عدو بعدوه ، وكي لا نذهب بعيداً عن موضوعنا نعود لاستذكار ابرز شعراء الاهازيج العامية الثورية غير الشهيد ابراهيم القاشوش الذي صدحت حنجرته بهتافه للحرية وما اضاف عليها من اهازيج علا بها صوته في تجمع حماة الكبير يوم 2011/6/27 م لتنتشر أهازيجه انتشار النار في الهشيم على السن السوريين في عموم مدنهم مما دفع بشبيحة النظام وأجهزته القمعية الى ايقاعه في كمين نصب له ليختطف ويغيّب عن المشهد اياماً ليعثر بعدها على جثته ملقاة في نهر العاصي مذبوحاً مقطوع اللسان

ممثلاً بجسده وقد اقتلعت حنجرته ليخلد في عليين وتغدو اهزوجته ايقونة على السن الثوار سلميين ومقاومين برز من بينهم الشهيد عبد الباسط الساروت الشاب الرياضي من حمص المولود عام 1992 م والمتميز عن اقرانه بنشاطه الكروي اذ كان حينها يشغل حارس مرمى منتخب سوريا للشباب في كرة القدم مبدعاً في موقعه ابداعاً لم يشغله عن الثورة التي عمّت البلاد فانظم اليها منشداً ثم مقاتلاً عنيداً غدا هدفاً مطلوباً لشبيحة النظام التي قامت بتصفية اشقاءه الاربعة حين عجزت عن الامساك به رغم حصارهم العنيف لمدينة حمص التي تمترس فيها مع رفاقه قبل انسحابه ومن معه باتجاه ادلب المحررة التي غدت مركزاً للثورة متزعماً لتنظيم جهادي شكّله من اقاربه وأبناء حيه (البياضة) من الشباب واسماه (كتيبة شهداء البياضة) . لقد كان الساروت مقاتلاً شرساً ومنشداً متميزاً في صفوف الثورة فلقبوه بـ (جيفارا الثورة) و (بلبل الثورة) اذ ارتجل الكثير من الاغاني والأهازيج اثناء مواجهاته متظاهراً ومقاتلاً ومن اشهر ما غناه وردده اهزوجة (جنه يا وطنا) التي كان يضيف عليها مرتجلاً المقاطع المؤججة لحماس الثوار حتى غدت لازمة لكل المتظاهرين والمقاتلين على السواء والتي ما زال يرددها السوريين بمختلف طبقاتهم بعد التحرير ومنها (جنه يا وطنا/ بترابك روينه/ وباحضانك ربينه/ وبمجدك علّينه/ للعليا وصلنه/ ثوري ثوري درعا/ بعتامينه انت شمعه/ حمص تنادي فزعه/ يا مسند حملنه) ماراً على بقية مدن سورية (حمص ، حلب ، حماة ، جسر الشغور، رستن ، الرقه ، القامشلي ، الساحل) .. مستنهضا اهلها للمشاركة بالثورة ضمن اغنيته (جنه يا وطنا) التي يختتمها بـ (دوري دوري دوري/ يا نوارس دوري/ يا شهيد بلادي/ ياسمين وجوري/ وادعو يا وطنا/ الشهاده حلمنه) .. وقد تحقق له ما اراد واستشهد في ريف ادلب مقبلاً غير مدبر عام 2019 م لاحقاً باشقاءه ورفاقه من شهداء سورية الأبية التي عادت حرة وذكرت وتذكرت الساروت فواظبت على ترديد اغانيه وأناشيده في كل الساحات ومنها اغنية ثوب جديد (يا يمه بثوب جديد .. زفيني جيتك شهيد .. والجنه بيتي الجديد .. يا يمه/ يا يمه زفيني .. وافرحي فيني .. وان فارگتك سامحيني .. يا يمه) واغنية سوريا ظلي واقفه ومنها (سوريه ظلي واقفه/ رغم الجروح النازفه/ ثورتنا هذي كاشفه/ ولا بد يلفي

العيد/ ثوري طواغيت العرب/ ناموسهم شهوه وطرب/ نسيتو اذا الشعب انغلب/ ما عاد سيف يفيد) ومن اغانيه التي يعلو فيها على الطائفية يقول (هذا الوطن.. يعشگ علي والفاروگ/ هذا الوطن .. بارواحنه انعليه فوگ/ هذا الوطن ..دمو يجري بالعروگ) واغان كثيرة اخرى ما زال السوريون يرددونها في تجمعاتهم واحتفالات انتصاراتهم . اما في فلسطين التي حجبت الاذاعات العربية اناشيدها بعد اتفاقية العار في اوسلو وما انتجت من سلطة عميلة لدويلة فلسطين التابعة ضمناً للكيان المحتل فقد تمترست قوى المقاومة الحقيقية في غزة حيث سلطة المقاومين ممثلون بـ(حماس) التي كتبت السطر الاول في حرب تحرير فلسطين يوم 7 اكتوبر 2023 م متحدية حرب الابادة الكونية عليها وفيها برز فنانون وأدباء وشعراء ومنشدون استشهد معظمهم خلال هذه الحرب الطاحنة ومنهم المنشد الشهيد حمزة ابو قينص المولود في حي اليرموك بغزة وفيها درس وتعلم وتخرج من جامعتها الاسلامية متخذاً من الانشاد الذي زاوله منذ صغره سلاح دعوة ومقاومة وان أوقف بعد اكتوبر جل اناشيده للشهداء الذين كان منهم اخويه ومعظم افراد عائلته التي ارسل بمن ظل حياً منها لجنوب غزة حين اعلنت منطقة آمنة ومنهم اطفاله الثلاثة وأمهم واختار لنفسه البقاء في منطقة الصراع شمال غزة رافعاً لشعار (من الشمال الى الجنة) وقد تحقق له ذلك في 2024/10/13 م بعد بثه لآخر اناشيده ومنها (اخي سوف تبكي عليك العيون ... وتسأل عنك دموع المئين/ فإن جف دمعي سيبكي الغمام ... يرصّع قبرك بالياسمين/ اخي ان قضينا ستحيا بنا ... كأن لم يمر عليك الفنا ..) الى آخر القصيدة الموجعة التي استشهد بعد تسجيلها ورواجها بأيام قليلة ورددها الكثير من المنشدين بعده وما زالت من ابرز اناشيد الغزاويين اليوم علماً بأن لحمزة رحمه الله اكثر من البوم غنائي أحبها اليه كما يقول في لقاء مسجل معه قبل استشهاده البومه (القابضون على الجمر) وفيه جل اناشيده الدعوية والجهادية اذ يعتبر نفسه مجاهداً وداعية مؤمناً في الوقت نفسه كما صرح قائلا (انا اعتبر نفسي فناناً داعية) وهو كذلك فعلاً يؤكد ما ذهب اليه انه أوقف كل اناشيده للشهداء عموما ولشهداء غزة خاصة اذ انه يرى (ان لا احد يستحق ان يُغنى له ويرثى اكثر من الشهداء) ، ومن أوجع اناشيده الشائعة انشودته (مع السلامة) في

تأبين الشهداء ومنها (مع السلامه يا مسك فايح/ مع السلامه .. مع رفة كل طير سارح/ مع السلامه يا غالي على گلبي/ مع السلامه يا رفيگي في دروبي/ ما غفت عيني/ ولا سكنت الجوارح/ من يوم طيفك غادر/ ولا طعم الهنه على فراگك/ وذبنه من يوم قررت تسافر).. الى آخر الانشودة الموجعة جداً حين سماعها إداءً والسماع غير القراءة . وبشكل عام فإن اناشيد الشهيد حمزة ابو قينص مؤلمة يكاد يتفطر القلب وجعاً حين الإصغاء اليها نادباً فيها خيبته كفلسطيني من مواقف الأشقاء العرب حكاماً ومحكومين ، ولحمزة الشهيد القاباً اضيفت لاسمه منها (صوت غزة الثائر) و (منشد غزة) و (راثي الشهداء) طيب الله ثراه . لقد استشهد حمزة وانتقل من شمال غزة الى الجنة التي اراد ولم يظهر بعده من يشغل الفراغ الذي تركه ، وما ذلك لخلو الساحة الغزاوية من المبدعين في مجال الفنون غير ان الظروف العصيبة التي يعيشها احرار فلسطين تحول دون ظهور ابداعات المبدعين مذ خذلها العرب وتخلى عنها العالم وإلا فساحات الابداع في فلسطين موفورة كوفرة مجاهديها ولسوف تظهر ذات يوم بعد زوال الاحتلال وسطوع شمس الحرية على غزة وأخواتها من المدن المحتلة.

رحم الله شهداء غزة وفلسطين وسوريا وكل شهداء الثورات العربية المغدورة ادباء وفنانين وكفاءات وعوام صمدوا وقاتلوا بأظافرهم بعد ان تخلى الجميع عنهم وما زالوا يقاتلون ويسجلون انتصارات وعلامات مضيئة في ليالي العرب المظلمة اليوم .. واخيراً وبعد هذه الإيجازات عن الفنانيين الشعبيين الاحرار ومساهماتهم نقول ان شعلة الثورة لن تنطفئ مهما علاها الركام وان من الوفاء لهم وجوب التذكير بهم عسى ان يكونوا قدوة للآخرين واللاهين والمثبطين وخدم السلاطين ممن يدّعون الثقافة والفن والأدب وهم عنها بعيدون .

حديث (الحديثة) والذكريات

(1)

نحن أبناء (الحديثه) .. الحديثة الأصل التي تتوسط الفرات وتتخذ من شطآنه بجهاتها الاربع مرافئ ومحطات طيب ولقاءات احبة ، وان اكتفت (الحديثة) بطيبة قلبها بتسمية (الحويجة) متخلية عن اسمها للمنطقة التي تمتد بين عانة شمالاً وهيت جنوباً فما ذلك إلا لأنها نبع إيثار وعطاء . وما كان ابناؤها إلا أشقاء توزعوا على بيوتات شدّت بعضها لبعض أواصر اخوة وثيقة إذ لا عشائرية فيها ولا قبلية وإن طغت حديثاً بعض المسميات على ابنائها . حديثيون التصقت بيوتهم ببعضها من (القلعة) شمالاً الى (ذيل البلد) جنوباً بمحلتين هما (القلعة) ومختارها الحاج احمد سعيد و(الشرقية) ومختارها الحاج عبد القادر محمد صالح وبين المحلتين يفصل زقاق ينحدر من (شط قسطل) بيت محمد السالم غرباً الى (بستان المقعد) المجاور لجامع الخريزة والعائد لبيت حسب الله وسعدالله شرقاً . نشأنا فيها وكأننا ببيت واحد تضمنا مدرسة عمر بن الخطاب الابتدائية في الفصل الدراسي شتاءً وتفرقنا صيفاً محلات ابتكرنا لها الأسماء صغاراً مذ كنا نشكّل في كل محلة فرقاً ومجاميع للعب والتواصل والتقاطع ثم التواصل عن طريق تشكيل جيوش ومدن نقيم داخل ساحاتها جادات وشوارع من صغير الحجر والحصى نسيّر فيها آلياتنا التي كانت عبارة عن عربات (عربابين) نصنّعها من العلب الفارغة وأغطية القناني (السيفون) والأسلاك المرنة نتجول بها بين جادات مدننا الصغيرة قبل الظهور بها في ازقة المدينة التي برز فيها من بين صبيتها اشخاص يتزعمون أطفالها ويحركونهم بما تقتضيه محلاتهم ومن هؤلاء على سبيل المثال حوري الجاسم في محلة (الخريزة) واسماعيل محروت في محلة (الشرقية) ونبيل النوري في محلة (القلعة) ونجيب عبد الحميد في محلة (بيت حجي ياسين او بستان هلاله) . تعلمنا فيها السباحة مبكرين وصنعنا الزوارق من الصفائح الفارغة التي تميز في صناعتها حوري الجاسم وحميد العلي وحسين العلي وياسين الحسن وآخرين ما عدت اتذكر اسماءهم . تلك كانت

بعض نشاطات طفولتنا السعيدة (الما نسيناها) وإن غاب بعضها عن الذاكرة التي سأستل من داخلها بعض ذكريات الصيف حصراً . ففي هذا الفصل ومع ابتداء العطلة الصيفية نبدأ اللعب ونستذكر من العابنا التي كنا نزاولها (الخوزل) و(الطوط) و(العظيم ما ضاع) و(الختيلة) و (الجفيفية) و(الحاح) ولكل منها اسلوب خاص بها وبطرق إدائها قد أعاود الكتابة عنها تفصيلاً وتعتمد جميعها على الجري والتمرين العضلي يضاف لها (الدعبل) وألعابه التي منها (الأورطة) و(الناقوس) و(النگيرة) و(الستاوي) . أما أهم ما في الصيف ولهوه فكانت السباحة في النهر إذ نحن أبناؤه الذين نشأنا على شواطئه وتعلمنا السباحة مبكرين مستعينين بـ (كرب النخل) حيث تربط ثلاثة منه بحبل يشد الى ظهر الطفل المراد تعليمه السباحة قبل ان يلقى الى النهر ليعوم بين ضجيج الاطفال ولهوهم ، وكم تعرضنا للغرق في النهر ونجونا متخذين من تلك المحاولات دروساً نتقن من خلالها فن العوم الذي أخذ كل وقتنا إذ ما أن ننتهي من تناول وجبة الغذاء حتى نيمم النهر مسرعين اليه ففيه السلوى والرياضة والصحبة الجميلة .

(2)

أذكر أننا كنا نذهب مجاميع باتجاه القلعة سالكين جرف النهر عراة بعد ان نودع ملابسنا في نوافذ سرداب (الخريزة) لنلقي بأجسادنا الغضة في الماء منحدرين (مسيسين) مع مجراه صاخبين مغنين مارين بمنتصف النهر مابين شواطئ الشامية ومعالمها المتمثلة بـ (قصر صبار) و (حديقة المدير) التي أُقيمت على أرضها بناية حديثة شغلتها الاسواق المركزية (اورزدي باك) ثم دائرة الآثار ولا أدري من يشغلها اليوم تليها دائرة البريد والبرق ثم مقهى (بيت محمد العبيد) بتوثثها الشامخة التي يستظل بها رواد المقهى يعقبها (ناعور محسّن) وعلى كتفه تربض (گهوة سلمان) فمرسى الزوارق (العبرة) يقابلها على جانب الحويجة (الحديثة الاصلية) ابتداءً من القلعة جامع القلعة و(ناعور المخاضة) ثم (ناعور حديد) فجامع الخريزة وسردابها ، وقد نستغل وصول (الرقي) محمولاً في باص خشبي او(لوري) فنهرع لإفراغه ورصفه في (چراديغ) البقالين وهم كل من

(عماش ، جاسم ، حامد واحمد الداهري) لننال اجر ذلك بـ(ركَية) لكل منّا تمثل أحلى أجر سرعان ما نتناولها فرحين متفرقين كل لغايته فمنا من يتخلى عن ملابسه ويرميها لأحدنا قبل ان يرمي بجسده في النهر سابحاً باتجاه (حصبة محسّن) الرملية الكائنه منتصف النهر ومنا من يهرع لـ(بلم هاشم) ورحم الله أبا وحيد كم كان يعاني من مشاكسات جيلنا آنذاك فينهمر علينا بالشتائم والسباب الذي لا يغيض أحداً منّا بل نتخذ منها سلوى خاصة وأن بعضنا ما أن يتوسط بلم هاشم النهر حتى يرمي بجسده اليه محدثا نثاراً من الماء يصيب الراكبين برذاذه المنبعث من ارتطام الاجساد بالماء ومحدثاً إرباكاً وتمايلاً لزورقه خاصة اذا ما لحق بالاول ثان وثالث ونحن بين لهو وضحك وتلق لأنواع الشتائم التي يفرغ أبو وحيد فيها غيظه وغضبه وهو يعض على سيكارة لا تفارق شفتيه ، ويا ويلنا لو قمنا بمثل هذا اثناء قيادة الزورق من قبل اخيه (ابو اسكندر) الذي (لا يضرب بعود ولا يريد شهود) وكنا نخشاه ونحاذر عنف رده إذا ما تجاوز أحدنا حدوده فـ(جابر) ليس كأخيه بل كان نزقاً عنيفا عكس ابا وحيد رحمهما الله وعوضهما عن تعبهما معنا الجنة . واذكر من طرق إغاظة ابا وحيد وإخراجه عن طبعه ما كان يقوم به طلاب الثانوية الذين يكتظ بهم زورقه بداية دوامهم صباحاً وحين عودتهم مساء وذلك بتعمد إحداث أرجحة البلم قصد إيصال الماء لداخله وإثارة ابا وحيد ، وما كنت من هؤلاء اذ لم يكن طبعي كذلك غير اني لا أخفي – وأقر بذلك – متعتي بما يحدث ، ومن الذكريات مع هاشم وزورقه الذي وردت لذاكرتي وكأني الساعة أعيش أحداثها امتلاء زورقه لأكثر من استيعابه ذات يوم حتى إذا ما توسط النهر مال ثم غرق بما ومن فيه من طلاب وأصحاب دكاكين من كبار العمر وكان الشتاء قد آذن بالدخول فطفت على وجه النهر (العلاليگ .. المجدولة من خوص سعف النخل) الفارغة والأوراق وكبار العمر الذين هرعت الزوارق لنجدتهم وانتشالهم من النهر ولولاهم لكان لذاك الحادث حديث موجع ، أما الشباب فسرعان ما عادوا لضفة النهر سابحين وقد تكون تلك الحادثة من جميل ما اتذكره ، رحمك الله يا إيقونة النهر الخالد ابا وحيد كم كنت محبوباً وحبيباً للجميع وكم تحملت من شباب الحويجة وطلابها ما لا يصبر عليه سواك ..

(3)

ومن جديد أعود للنهر وذكرياتي معه ومنها ما كنا نقوم به من تجمع اسفل بيت او (قصر حجي عايد الحمد) كما كنا نسميه في الطرف الشامي ورمي الحجر على شجرة تفاح كانت تطل على النهر حتى اذا تساقط الثمر كان جمع آخر لنا بانتظاره في (دوارة ناعور القايد) لالتقاطه وتجميعه ليكون سلوتنا ومعنى بهجتنا التي ما كانت تُغيض صاحب الشجرة ولا تدخلنا في خانة السراق . الله لأيامنا الجميلة التي غدت ذكريات نتسلى بسردها ومنها عبورنا سباحة من شط الخريزة في الحويجة الى بستان (القايد) في الشامية لنتسلق اشجار التين المطلة على النهر غير عابئين بجيوش (البرغش) الذي يوجعنا بلسعاته دون شكاية منا فما نحصل عليه من ثمر التين يعوض ذلك التعب ، وكنا صغاراً نتبارى في العبور من قرية (الخريزة) وسردابها الجميل الذي دفنه الجسر الخشبي ليعبر من فوقه لا بارك الله بمن أقامه الى (سِكر) ناعور القايد المسمى (منجل) كونه بامتداده من الناعور باتجاه الحويجة يأخذ شكل المنجل تاركاً بين نهايته وبقايا سِكر ناعور الخريزة فجوة كبيرة نطلق عليها تسمية (الباب) ويكون ماؤه عنيفا بانحداره لذلك يستحق من يستطيع تجاوزه وصولاً الى المنجل لقب الفائز مع الاشادة به فقد غدا كبيراً بين اقرانه وعنهم متميزاً ، كذلك كنا نحيا ، حتى إذا ما مرت السنون وكبرنا ودخلنا النصف الاول من سبعينيات القرن العشرين اتخذتُ بالنسبة لي منهجاً متفرداً في السباحة وذلك باستخدام (الچوب) اطار السيارة والتمدد عليه بعد تناول وجبة الغذاء مباشرة تاركاً ملابسي في واحدة من نوافذ سرداب الخريزة الذي يغفو اليوم تحت الجسر الخشبي منطلقاً في سياحة نهرية تبدأ من (ناعور حديد) منحدراً مع النهر جنوباً لأمرّ في سياحة مبهجة بنواعير (محسّن) و(القايد) في الجانب الشامي وسرداب الخريزة وقريته الخالية من النواعير و(بكرة) احمد الخليل المجاورة اليوم لبيت عقيل مسلم وما تزال بقاياها قائمة ليسلمنا ال(باب) النهري الفاصل بين ناعور (بستان حندول) في الجزء الشامي وناعور(دار حيار) في حويجة حديثة لمنفذ آخر وهو أيضا باباً يفصل بين ناعور(دوالي اليهود) الذي يلي ناعور حندول ويقابله ناعور (عويّش) في (بستان خصيب) ثم (ذيل البلد) واكتظاظ اشجاره لأصل بعد ذلك الى (حصبة اليابس)

بشقيها (الرصفان) والطينة الرملية المزروعة بالخضار من قبل شباب الحويجة واذكر منهم فلاح حسن وأخيه مرعي وآخرين أظن منهم انور جاسم ومجيد طه اذا لم تخني الذاكرة وعلى ذكر (مرعي) فلا يفوتنا الترحم على الگازينو الذي كان يديره ويمثل منتدى الحديثة الترفيهي الذي طالما لجأنا الى (الدوندرمة) التي كنا ننهل منها باكواب الـ(5 ، 10فلوس) والتي لم نجد الذ منها في كل مثلجات اليوم ، وعودة الى تتلك (الحصبة – اليابس) وما يزرع فيها من الخضار بأنواعها والبطيخ وسواهما، ومن اليابس أتجه شمالاً قاصداً (حصاب بيت احمد شاووش) الشرقية والغربية وحين يعجزني تيار النهر من السباحة عكس مجراه أحمل مركبي المتمثل بأطار السيارة (الچوب) خائضاً في النهر حيناً ومتسلقاً لحافات (الحصبة الشرقية) المكتظة بأشجار الغرب والطرفا بما تحمله من أعشاش طيور (الفاختة) التي كانت تغرينا أحياناً بتسلق الاشجار لأخذ فراخ تلك الطيور منشغل حيناً بها وحينا بالنظر لبستان (البراج) وناعورها الوحيد وأعشاش التين المتدلية على شاطئ النهر في الحويجة التي كثيراً ما غزوناها وأكلنا من تينها مواصلاً السير لمقدمة (الحصبة الشرقية) لأرتمي تحت شجرة منفردة مستظلاً بظلالها ومنتشياً بهوائها العذب مستمتعاً بخليج يفصل بينها وجسم الحصبة وكم كان خليجاً رائعا بجمال مائه والحصى الذي يملأ قاعه مشكلاً بتعدد ألوانه منظراً يخلب الالباب ، وكي لا يسرقني الوقت وبعد استراحة ولهو فيه لا يطول أغادره مواصلاً الخوض في الماء حيناً والسباحة حيناً متخذاً من (الكفارات) المنتشرة بين الحصبتين محطات استراحة لدقائق لا تتجاوز الثلاثة ولمن لا يعرف (الكفار) من الجيل الجديد فهو (صخرة كبيرة تستقر في قاع النهر مغمورة بالماء نتخذها محطات استراحة حين تنهكنا السباحة) متجاوزاً (شط الجامع – جامع الفاروق الحالي) لأصل بعد ذلك الى (الحصبة الغربية) المكتظة هي الاخرى كاختها بالاشجار يقابلها من جهة الحويجة (شط درنه) و(توثته) الكبيرة الشامخة المجاورة لبيت عبد الجبار محمد العبيد المطل على النهر بين شطي (درنة) و (حاشي) الذي يربض على جرفه (المفتول) وكنا نسميه (القبة) الملحقة ببيت عبد الجبار من الجهة الثانية له ويأخذني المسير باتجاه (الرحي) حتى اذا وصلت لمقدمة (الحصبة الغربية) ارتقيت (چوبي) واتجهت صوب الرحى المقابلة لناعور (الحمام)

سابحا قبل ان أنحرف به اتجاه الجزيرة قاصداً لحصبة رملية كبيرة تظهر فصل الصيف فقط وما عدت أذكر اسمها وتقع بين الحصبة الغربية والجزيرة وفيها وعلى رملها الصافي النقي الجميل اقضي وقتاً قد يتجاوز الساعة بين السباحة واللعب برمالها قبل أن أعاود الانسياب مع النهر ماراً بذات المعالم عابراً الى الحويجة لأرسو بـ(ذيل البلد) تاركاً إياه الى المكان الذي انطلقت منه حيث تنتظرني (دشداشتي) المحشورة في واحدة من نوافذ سرداب الخريزة قاطعاً المسافة بين المكانين سباحة احياناً وتارة سيراً على الاقدام بمحاذاة الشاطئ لأصل وقد اقتربت الشمس من الغروب مودعاً النهر ونشوة الحياة معه لبيت تغمرنا فيه الطيبة وراحة البال .

(4)

لله يا تلك الايام الجميلة كم تثيرين من شجون حين تذكرها تدفع بي لاستنزال اللعنات على من أقام الجسور وحجب عنا جمالية (البلم الهاشمي) ونسائم سرداب الخريزة المنعشة وجمالية (حصاب بيت احمد شاووش) الشرقية والغربية التي عبثت بها (دوب) الجسر الحديدي ملعون من أقامه ومزق به جمالية جزر الفرات وروعة طبيعتها ، وهل أُلام اذا ما استنزلت اللعنات على الجسرين وسد حديثة الاروائي الذي دمر طبيعة مدينتنا وما أفادنا بشيء منذ قيامه لحد هذه الساعة التي تحولت به مدينتنا لمدينة طاردة أهلها بعد ان كانت جاذبة للآخرين .

الله يا حديثة الحديثيين الأصلاء .. كيف لذاك النقاء الذي كان يغمر كل من فيك ان يتحول لتنابذ وفرقة لا تمت الى طباع الحديثيين بصلة ؟؟ وكيف غدوت يا مدينة الجمال والنقاء وصفاء القلوب الى مدينة طاردة لأهلها الأصليين بعد ان كنت ملتقى الأحبة والخلان في دواوين الحديثيين ومجالسهم ؟؟ وهل كتب علينا ان نكتب فيك الرثاء وان نراك تصارعين قدراً أهوجاً أضاع كل معالمك ومنها اصالة كان يتميز بها الحديثيون ونرجو لها البقاء وان يتمسك بها أبناؤنا من الجيل الذي أخذه الانترنيت الى ما يسيء لها ولهم متمنين عليهم ان يحافظوا على مدينتهم عامرة وأن يتجاوزوا مرارة الزمن الرديء الذي حل بها

حاثين إياهم على حفظهم للود الذي كان والبهجة التي يجب ان تكون وتسود بينهم وتشدهم لبعضهم فهم جميعا (صبيان حادث) وأبناء عمومة وخؤولة و(بيت) و(أهل) تحت مسمى (الحديثي) لا الشمري ولا العنزي ، ولا الهاشمي ولا الطائي ولا سواها من مسميات قبلية وافدة.

حديثيون ... حديثيون وحسب دون نعرات وعشائر تفرق لا تجمع فقد مضى عهد القبلية منذ زمن ولا نريد له أن يعود .

لنتمسك يا أبناء (الحديثة) ببعضنا أخلاء متصافين كما كان اباؤنا او لنقرأ على حديثتنا السلام بعد ان نستنزل واسع الرحمات والمغفرة لمن مر ذكره في هذا الحديث مع الاماني بالصحة وتمام العافية لمن ما زال حياً منهم وما هم بكثير أطال الله اعمارهم .

تم بعون الله